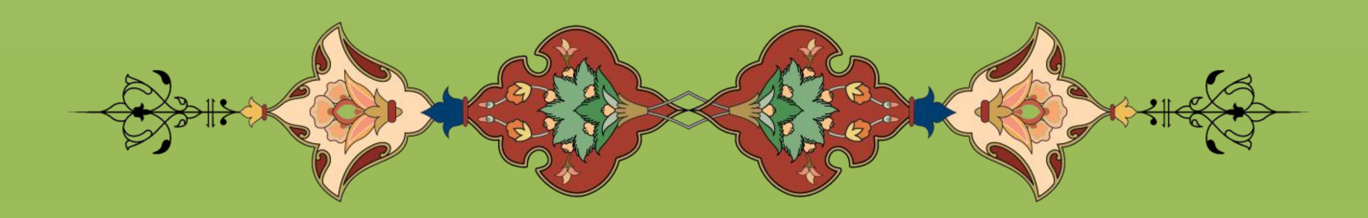
أثر نهج البلاغة
في تفاسير الإمامية
في القرن الخامس عشر الهجري



محسن كامل غضبان الخزاعي

(جامعة الكوفة)



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة / كلية الفقه
قسم علوم القرآن الكريم والحديث الشريف

أثـــر نهـــج البـــلاغة فـــي تفاســـير الإمامية في القرن الخامس عشر الهجري

رسالة قدمها إلى مجلس كلية الفقه/جامعة الكوفة الطالب

محسن كامل غضبان الخزاعي

وهي جزء مـن متطلبات نيل درجة الماجستير
في الشريعة والعلوم الإسلامية

بإشراف

أ . م . عبد الزهره لفته الجبوري

١٤٣٣هـ ٢٠١٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾

صدق الله العلي العظيم

[المائدة ٥٥]

الإهداء

إلى : مــن أخـــفى أعــداؤه فضــائله حسـداً ، وأخـــفى أوليـــاؤه فضـــائله

خـــوفاً وحــذراً وظـــهر فيما بيـــن هـــذين ما طبقت الشــرق والغـــرب

إلى: مــن أعطته الفصاحة قيـــادها ، وملكتّه زمــامها

اليـــك سيـــدي يـــا أميـــر المؤمـــنين

أُهـــدي هـــذه البـــضاعة المزجاة

فــأوف لي الكيل وتصــدق علي

إنَّ الله يجــزي المتصدقين

شكر وعرفان

أتقدم بخالص الشكر والإمتنان إلى الأستاذ المساعد عبد الزهره لفته الجبوري فلطالما أمد البحث بتوجيهاته المقومة والمصوبة، والشكر كل الشكر موصول للأستاذ المساعد الدكتور حسن الفياض على جهوده ومتابعته ومواكبته البحث خطوة خطوة، ويطيب لي أن اشكر أستاذي الفاضل الأستاذ المساعد الدكتور ستار الأعرجي الذي واكب البحث في معظم مراحله، واشكر الأستاذ الدكتور صباح عنوز على دماثة خلقه وحرصه الشديد على انجاز هذه الدراسة، كما وأتقدم بالشكر الجزيل للدكتور عادل عباس النصراوي إذ أمضيت الساعات الطوال معه، وقد لا تفوتني كلمات الشكر والامتنان والعرفان بحق استاذي الفاضل الأستاذ المساعد الدكتور علي الحجي على مواقفه النبيلة في كل مراحل الدراسة، واثني حامدا على ما قدمه الاستاذ محمد كاظم البكاء من جهد متفرد في اختيار العنوان ، ولا يفوتني تقديم وافر الشكر والعرفان والامتنان إلى كلية الفقه عمادة وأساتذة ولاسيما اساتيذي الأفاضل في قسم علوم القرآن الكريم والحديث الشريف كما يطيب لي أن اتقدم بوافر الشكر والامتنان إلى كل من منحنا جهده وعطائه ووقته سائلاً الباري عز وجل أن يحفظ الجميع وان يسدد خطاهم ويأخذ بأيديهم لما فيه الخير والسداد .

الباحث

المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على عباده الذين اصطفى محمد وآله الطاهرين ... وبعد.

فإنَّ دراسة كتاب نهج البلاغة تنطلق بالمتأمل إلى آفاق عظيمة السعة لشخصية رجل عظيم مثل الإمام أمير المؤمنين A الذي حارت العلماء في كنه معرفة شخصيته التي لا تفوقها أي شخصية سوى شخصية معلمه وَابن عمه وملهمه ومربيه نبيِّ الرحمة محمد k .

فهذا الكتاب لا تفنى فرائده ، ولا ينتهي بيانه ، فهو يمثل ذروة الكلام العربي الفصيح بعد كلام الله ، وكلام نبيِّه المصطفى k ، فقد أ ّصل البيان بأركانه، وحددَّ البلاغةَ بفنونها ، إذْ كان أمير المؤمنين A "إمام الفصحاء وسيد البلغاء وفي كلامه قيل دون كلام الخالق و فوق كلام المخلوقين ومنه تعلم الناس الخطابة والكتابة..."[١]

ولما يزل نهج البلاغة يثير أذهان الدارسين ويحفز فيهم همة العطاء ؛ كونه مليء العبارة دلالةً وإيحاءً، فهو أثرٌ لا تمله الأسماع ، ينبض بالحياة ،ولا شك أن سر ذلك: الحضور والتجلي القرآني الذي طبع صياغاته ومعانيه، الأمر الذي أعطى هذا الكتاب عظمةً وإشراقاً وإحاطة لا تجارى تدل بوضوح على عمق الترابط بين الإمام علي A والمنبع الإلهي الثر، الارتباط الذي جعله ينهل من الكأس الإلهي قطرة قطرة.

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد عز الدين أبو حامد بن عبد الحميد بن هبة الله المدائني (ت ٦٥٦هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، (دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، عيسى التابي الحلبي، ١٣٨٥ هـ-١٩٦٥م) ، ٢٤/١.

فأصبح نهج البلاغة عبارة عن تجليات قرآنية مشوبة بالعبق النبوي ، فالمتأمل فيه يمكنه أنْ يتلمس الآثار القرآنية، التي تحيل المتلقي مباشرة إلى أجواء القرآن الكريم دون كدٍّ ذهنٍ ، فهو أقرب للأعجاز منه إلى كتاب تنقضي آفاق إفاضاته على العلم ، إذْ لا يخفى على كل من أنْعَمَ النظر فيه بأنَّه أعظم كتاب بعد كتاب الله تعالى ، وحسبنا ما قالوا فيه أنَّه لا يوجد اسم أليق بالدلالة على معناه منه.

من هنا أقبل جملة من العلماء على شرحه ، وبيان مقاصده وكشف معانيه ، حتى كثر شراحه وتعددت مدارسهم ، إذْ وَجَدَ العلماء والأدباء وأهل البلاغة والفصاحة ، والتفسير ، وطلاب العلم ، ما يشدهم إليه، لغةً ، وبلاغةً ، وعقيدةً ، وفكراً ، وتفسيراً ، وتاريخاً، وأخلاقاً ... .

فكان له تأثيره الواضح ، وحضوره الواسع في منظومة المؤلفات التي حاولت استيعاب آفاق الرسالة الإسلامية ، عقائدَ، وأحكاماً، وأخلاقاً ، لاسيما تلك التي توجهت بجهدها لمحاولة الكشف عن معاني النص القرآني ودلالاته ، ومراده تعالى من كلامه .

ذلك الأمر الذي دفعني لمتابعة أثر نهج البلاغة في تفاسير الإمامية في القرن الخامس عشر الهجري؛ لعدم وجود دراسات مستوعبة لهذه الفكرة اكاديمياً.

وكانت أهمية البحث تنطلق على أساس بناء منظومة من الأسس والضوابط في تفسير القرآن الكريم التي أصل لها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب **A** ، فضلاً عن ذلك ممن أفاد من المفسرين في عملية توظيف نصوص نهج البلاغة في عملية التفسير.

وعلى وفق ذلك فقد كانت مشكلة البحث تدور حول فرضيتين:

الأُولى: إمكان الإفادة من المنهج الذي وضعه وأسس له الإمام أمير المؤمنين **A** وكيفية إفادة الباحثين منه في عملية التفسير.

الثانية: وجوب اتخاذ نهج البلاغة مصدراً من مصادير التفسير بوصفه كتاباً يمثل جزءً مهماً من تراث الإمام أمير المؤمنين A النابع من مضامين القرآن الكريم.

من هنا جاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء على الحضور الفاعل لأسس ومعايير فهم النص القرآني الذي بينه الإمام أمير المؤمنين A من خلال خطبه ورسائله ووصاياه مما حفل بها نهج البلاغة.

فهذا البحث يهدف إلى الكشف عن أثر نهج البلاغة في فهم النص القرآني، وإنتاج النموذج التفسيريِّ المستوعب لكافة الأُسس التي يبتني عليها التفسير.

كل هذه الاضاءات أسهمت في وضع الخطوط العامة لمنهجية هذه الدراسة التي اختارت أنْ تتناول (أثر نهج البلاغة في تفاسير الإمامية في القرن الخامس عشر الهجري) لخصوصية هذا القرن، إذ نشأت فيه مدرسة تفسيرية كبرى ضمت إلى دفتيها نتاجاً تفسيرياً إبداعياً أومأت إليه أنامل الإعجاب من المفسرين، وهذه المدرسة لم تأتي فجأة وإنما جاءت نتيجة خبرت تراكمية من تفاسير أخرى سبقتها أنضجت ملامح هذه المدرسة.

وكانت من الجوانب المهمة التي أخذت من وقت الباحث وجهده الكثير تحديد المساحة التي يتحرك فيها للكشف عن أثر نهج البلاغة في تلك التفاسير، وقد أسفرت عملية السبر والتدقيق التي هدفت إلى تحديد أي التفاسير أصلح لتكون مورداً لهذه الدراسة وتأكيد حضور نهج البلاغة فيها، فقد أسفرت عن تحديد مجموعة من تفاسير رائدة انماز قسم منها بشهرتها وقسم آخر اتصف بكثرة الأخذ عن نهج البلاغة فضلاً عن شهرته ، وبذلك كانت هذه الأمور أُسُساً تسير عليها الدراسة في عملية الاختيار، ولا يعني ذلك استبعاد غيرها.

وقد انتظمت الدراسة في مقدمة وثلاثةَ فصول وخاتمة.

تصدى الفصل الأول منها لمحاولة كشف جهود الإمام أمير المؤمنين A في خدمة القرآن الكريم ، وجاء متوزعاً على مبحثين ، استقرأ الأول منها "خصائص

الإمام علي A في فهم النص القرآني" ، وعالج الثاني : "ريادة الإمام في تفسير القرآن وعلومه".

وتكفّل الفصل الثاني بالكشف "عن مصدرية نهج البلاغة في التفسير" ، فجاء موزعاً على مبحثين ، تناول الأول : ضوابط فهم النص القرآني في نهج البلاغة ، ليختم بالثاني الذي جاءَ على ذكر بعض الأمثلة التفسيرية من نهج البلاغة .

فيما توقف الفصل الثالث عند المستويات التوظيفية (التطبيقية) لنهج البلاغة في تفاسير الإمامية في القرن الخامس عشر الهجري ، إذْ تناول المبحث الأول منه عينات الأثر في المستوى العقائدي ، وعالج الثاني تجليات الأثر في المستوى التعبدي ، وختم الفصل بالمبحث الثالث الذي استعرض نماذج تطبيقية في المستوى الأخلاقي.

وانتهى البحث بخاتمة ضمت توضيحاً لأهم النتائج التي وقف عليه الباحث ثم ذيلت بتوصيات واقتراحات.

وأخيراً اسأل الله سبحانه التوفيق والسداد، وأن يجعلني ممن وفقوا لخدمة الكلمة المخلصة إرضاء له واعترافاً بجميل منه علينا.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الأول

جهــود الإمــام أمير المؤمنين A

في خدمة القرآن الكريم

المبحث الأول: خصائص الأمام A في فهم القرآن الكريم.

المبحث الثاني: ريادة الإمام A في تفسير القرآن وعلومه وجمعه.

المبحث الأول

خصائص الإمام علي A في فهم النص القرآني

لا يخفى على دارسٍ جهد الإمام علي بن أبي طالب A في خدمة القرآن الكريم جمعاً وحفظاً وتفسيراً وتوضيحاً لدى الآخرين، الأمر الذي خلف إرثاً غنياً في مجال خدمة القرآن الكريم، وقد اتصفت هذه الخدمة بإحاطة الإمام A التامة بظروف النص وبيئات نزوله؛ لأنه كان قريباً من رسول الله k فقد روي عنه أنه قال:" كنت أسمع الصوت وأبصر الضوء سنين سبعا ورسول الله حينئذ صامت ما أذن له في الإنذار والتبليغ"[١]، وكذلك قوله A :" ... أرى نور الوحي والرسالة ، وأشم ريح النبوة ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله ، فقلت يا رسول الله ما هذه الرنة ؟ فقال هذا الشيطان أيس من عبادته، إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لست بنبي ولكنك وزير وإنك لعلى خير..."[٢].

وهذا الأمر يعني معرفته التامة بحيثيات النص القرآني وفهمه لها، وتميزه من سواه في تلك الإحاطة فهو ربيب النبي k وعلى أكتافه بعد رسول الله k قامت أعمدت الرسالة الإسلامية، لذلك كان هذا الفصل معنياً ببيان جهود الإمام أمير المؤمنين A في خدمة القرآن الكريم ولعلَّ أُولى هذه الأمور تفرده في تأصيل وتأسيس ضوابط التفسير، فهو أول من فسر القرآن الكريم بعد رسول الله k ، ولا ريب بأن تفسيره كان تفسيراً مبنياً على الدراية والخبرة بسبب قربه من الرسول الأكرم k ، ولدرايته الكاملة بأسباب النزول، فضلاً عن علاقته الراسخة بالقرآن الكريم، لذلك وصف بأنه القرآن الناطق.

من هنا انمازت خصائصه بتفردها في عملية فهم القرآن الكريم وقد ورث السلسلة الذهبية تلك الميزات فصارت سمات تميزهم من غيرهم.

---

(١) بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ) مؤسسة الوفاء ، بيروت ـ لبنان (د.ت) ،٢٥٥/٣٧.

(٢) نهج البلاغة ، الشيخ محمد عبده (ت ١٣٢٣هـ) دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، ط/١ (د ت)، ٢/ ١٥٨.

فلا يبعد الباحث لئن وجد أُسساً ومرتكزات تمثلها أتباع أهل البيت G لبيان عقيدتهم، وما هذه الأسس والمرتكزات إلا هي انبثاق من خصوصياتهم G إذ اعتقد الإمامية أن يكون الإمام اعلم الناس بعد رسول الله k ، إذْ لو لم يكن عالماً لم يؤمن أنْ يقلب الأحكام والحدود وتختلف عليه القضايا المشكلة فلا يجيب عنها أو يجيب عنها بخلافها"[1].

وهذا الأمر خلف اعتقاداً لدى الشيعة الإمامية بأنَّ الإمام له الولاية العامة في أمور الدين والدنيا لاتصافه بتلك الميزات المتجذرة في امتداد مدرسة أهل البيت G .

وورد تأكيد هذا المعنى من الأئمة الأطهار G ، بأنهم هم العالمون وغيرهم ينحدر عنهم بدرجات ، من ذلك ما روي عن الإمام الباقر A في تفسير قوله تعالى: ﴿. . . قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾[2] فقال: "نحن الذين يعلمون، وعدونا الذين لا يعلمون، وشيعتنا أولو الألباب"[3].

ومنه أيضاً ما روي عن الإمام أبي جعفر الباقر A أنَّه قال في هذه الآية: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾[4]، قال:"هم الأئمة"[5].

كما أنَّه A قال في الآية المذكورة وهو يخاطب أبا بصير:"أما والله يا أبا محمد ما قال بين دفَّتيِ المصحف؟ قلت: مَنْ هم جعلت فداك؟ قال: من عسى أنْ يكونوا غيرنا"[6].

---

(١) ظ: بحار الأنوار ، المجلسي ، ٢٥/ ١٦٥.

(٢) الزمر، ٩.

(٣) الكافي، (الأصول) محمد بن يعقوب الكليني، (ت ٣٢٩هـ)، منشورات الفجر، بيروت - لبنان ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، باب أن من وصفه الله تعالى في كتابه هم الأئمة، ١/ ١٢٦، و بحار الأنوار، ٢٩/٢٥، و ٢٤/ ١٢٠.

(٤) العنكبوت، ٤٩.

(٥) الكافي، ١/ ١٢٧.

(٦) الكافي، ١/ ١٢٧.

وغير ذلك من الأحاديث التي لا تبقي شيء من الظن يحوم حول درجة علم الإمام A ، وكونه أعلم الناس على الإطلاق بعد رسول الله k .

ومها يكن من أمر فأنَّ الإمام علي بن أبي طالب A قد اتصف بقدرات فكرية كانت نابعة من أديم المدرسة المحمدية، فجعلته مثالاً يحتذى به، وانعكس ذلك على تراثه الذي أصبح منارَ هداية في القول والمثل والحكمة، ومما يعضد ذلك ما توارد من أنباء وروايات حوله كقول بن عباس: "والله لقد أعطى علي بن أبى طالب تسعة أعشار العلم، وأيم الله لقد شارككم في العشر العاشر"[١].

كل ذلك أثمر خصوصيات أنفرد بها الإمام علي A من سواه وسيقف البحث عليها كما سيأتي ذكره وعلى النحو الآتي:

---

(١) دلائل الإمامة، محمد بن جرير الطبري(ت٩٢٣هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية مؤسسة البعثة، قم، ط/ ١، ١٤١٣هـ، ٢٢، و ظ: ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، محب الدين احمد بن عبد الله الطبري، (ت٦٩٤هـ)، مكتبة القدسي لصاحبها حسام الدين القدسي، القاهرة، ١٣٥٦هـ، ٧٨، و ظ: الغدير، الشيخ الأمين، (ت١٣٩٢هـ)، دار الكتاب العربي بيروت ـ لبنان، ط/٤، ١٣٩٧هـ ـ١٩٧٧م، ٣/ ٩٨.

الخصوصية الأولى: **الإحاطة بظروف نزول النص القرآني**:

إنَّ من أبرز خصوصيات الإمام أمير المؤمنين A في فهم النص القرآني التي مثلت جهداً متميزاً من جهوده في خدمة القرآن،هي الإحاطة التامة بظروف نزول النص القرآني وبيئاته، ولم تقتصر هذه الإحاطة على التفسير فقط، بل تعدت ذلك لتشمل ما له علاقة بالتفسير، كإحاطته بالأحداث والوقائع التي اقترن بها نزول النص القرآني وهو ما يسمى (بأسباب النزول) أو العادات والتقاليد التي كان يعيشها المجتمع الجاهلي خصوصاً في مكة والمدينة، أو الأوضاع السياسية والأخلاقية التي كان يعيشها المسلمون أنفسهم[1].

إذْ من الواضح أنَّ القرآن الكريم راعى الظروف والأوضاع السياسية والاجتماعية والنفسية والعادات والتقاليد التي كان يعيشها المجتمع الجاهلي، ولم يأتِ مجرداً عن كل هذه الظروف.

وبطبيعة الحال فإنَّ هذه الظروف تلقي بظلالها على فهم القرآن الكريم ومقاصده، لذا فأنَّ فهمها ومعرفتها له أثر كبير في فهم القرآن وتفسيره.

وهذا ما يؤكده أهل البيت G في بعض الروايات من خلال بيان معرفتهم بزمان نزول الآيات ومن نزلت فيه، وهذا التأكيد منهم لا يراد منه مجرد بيان سعة علمهم بالأحداث، وإنما لبيان ارتباط ذلك بفهم القرآن وتفسيره، لذا كان أئمة أهل البيت G يوجهون الانتقاد إلى أولئك الذين يفسرون القرآن الكريم دون هذه الإحاطة[2].

فليس من شك أنَّ من تعرض لتفسير القرآن دون هذه الإحاطة كان تفسيره منقوصاً لأنَّه فاقد لأبرز معايير التعامل مع النص القرآني، فالقرآن ينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض.

ومن المؤكد أنَّ هذه الإحاطة قدْ نشأت وتبلورت نتيجة العلاقة الراسخة بين الإمام A والقرآن الكريم، فهي وليدة ذلك الارتباط الموضوعي بين العدلين الكتاب

---

(١) ظ: علوم القرآن، السد محمد باقر الحكيم، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ط/ ٤، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م، ٣٤١.

(٢) ظ: علوم القرآن، محمد باقر الحكيم ، ٣٤٢.

والعترة، إذْ أنَّه رافق نزول القرآن الكريم على النبي k في كل مراحله، ابتداءً من النداء السماوي الأول: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[1]، واستمرت تلك المرافقة في كل المواقف والأحداث والمواقع، التي نزل فيها وعلى ضوئها القرآن الكريم إلى درجة عبر عنها الإمام A بقوله:(أنا القرآن الناطق)[2].

فعن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني، عن سليم بن قيس الهلالي، عن أمير المؤمنين A ، قال: "إنَّ الله طهرنا وعصمنا وجعلنا شهداء على خلقه وحجته في أرضه وجعلنا مع القرآن والقرآن معنا لا نفارقه ولا يفارقنا"[3].

وهذا بطبيعة حاله يؤكد حتمية ارتباط هذه الشخصية بكتاب الله العزيز، ورفدها بالعانية واللطف الإلهي، الأمر الذي ولد لدى الإمام A هذه الإحاطة التامة بالقرآن الكريم.

قال A : "سلوني قبل أنْ تفقدوني فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو سألتموني عن آية آية لأخبرتكم بوقت نزولها وفي من نزلت، وأنبأتكم بناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها ومحكمها ومتشابهها، ومكيها ومدنيها...."[4].

---

(١) العلق:١.

(٢) ينابيع المودة، سلمان بن إبراهيم القندوزي،(ت١٢٩٤هـ)، تحقيق: علي جمال اشرف، دار أسوة للطباعة والنشر، ١٤١٦هـ ،٢١٤/١.

(٣) وسائل الشيعة، الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط /١٣٩١،٤ هـ، الباب: ١٣ (باب القضاء).

(٤) الإرشاد، الشيخ المفيد(ت٤١٣هـ) تحقيق مؤسسة آل البيت A لتحقيق التراث دار المفيد، بيروت ـ لبنان، ط/٢، ١٤١٤هـ ـ١٩٩٣م، ١/ ٣٥.

وعن سعيد بن المسيَّب قال: "ما كان أحد من الناس يقول سلوني غير علي بن أبي طالب A "[١].

فقد رافق القرآن الكريم في كل مراحل نزوله ، حتى صار شاهداً على صدق الدعوة، قال أبو سعيد الخدري: "سألت رسول الله k عن قول الله (جل ثناؤه): ﴿وَقَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾[٢]، قال: ذلك وصي أخي سليمان بن داود فقلت: له يا رسول الله فقول الله تعالى: ﴿كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ ـ الآية ـ قال: ذلك علي بن أبي طالب"[٣].

وأكَّد هذا المعنى الإمام جعفر بن محمد الصادق A قال: "إيّانا عنى وعلي أولنا وأفضلنا وخيرنا بعد النبي k ، ووضع يده على صدره ثم قال: عندنا والله علم الكتاب كله"[٤].

فقد ورد في تفسير قوله تعالى تعالى:﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾[٥]، أنَّها نزلت بعلي A .

قال العلامة الطبرسي: " ويؤيد ذلك في نزولها في علي A ما روي عن الشعبي أنَّه قال: ما أحد أعلم بكتاب الله بعد النبي k من علي بن أبي طالب A

---

(١) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر، (ت٤٦٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ، ١/ ١١٤، و ظ: شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، عبيد الله بن احمد الحاكم الحسكاني (ت٤٧٠هـ)، تحقيق: الشيخ محمد باقر لمحمودي، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ـ مجمع إحياء الثقافة الإسلامية ــ ،١٤١١هـ – ١٩٩٠ م، ١/ ٥٠، و ظ: أسد الغابة في معرفة الصحابة، محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير (ت٦٣٠هـ)، دار الكتاب العربي بيروت ـ لبنان، (د.ت)، ٢٢/٤.

(٢) النمل ،٤٠.

(٣) روضة الواعظين، محمد بن الفتال النيسابوري (ت ٥٠٨هـ)، تحقيق محمد مهدي السيد حسن الخرسان، منشورات: الشريف الرضي، قم المقدسة (د ت)،١١.

(٤) الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي، (ت ٥٧٣هـ)، تحقيق مؤسسة الإمام المهدي(عج)، الناشر: المحقق، ١٤٠٩هـ، ٢/ ٧٩٧.

(٥) الرعد، ٤٣.

ومن الصالحين من أولاده"[١].

وقال السيد الطباطبائي في الميزان أنها نزلت بعلي بن أبي طالب A [٢].

إذن فكل هذا يؤكد امتلاك الإمام أمير المؤمنين A شخصية علمية متفردة، كونه أعلم صحابة النبي k ، فقد سُئل بن عباس أين علمك من علم ابن عمك فقال: "عليّ عُلِّم علماً علمه رسول اللّه k ورسول اللّه علمه اللّه، فعلم النّبيّ علم اللّه وعلم عليّ من علم النّبيّ، وما علمي وعلم أصحاب محمّد في علم عليّ إلاّ كقطرة في سبعة أبحر "[٣].

وهناك كثير من الأحاديث والروايات التي تشير إلى سعة علمه بالكتاب العزيز، فهو A "فهو رئيس الفضائل وينبوعها ، وأبو عذرها ، وسابق مضمارها ، ومجلي حلبتها ، كل من بزغ فيها بعده فمنه أخذ ، وله اقتفى، وعلى مثاله احتذى، وقد عرفت أن أشرف العلوم هو العلم الإلهي ، لان شرف العلم بشرف المعلوم ، ومعلومه أشرف الموجودات ، فكان هو أشرف العلوم"[٤].

من هذا المنطلق فقد أخذَ الإمام A على عاتقه خدمة القرآن الكريم، إذْ بذل جهداً في حفظه، وجمعه، ونَشْر ما جاء فيه من أحكام ومفاهيم، واتخذه دستوراً له في جميع أعماله ونشاطاته، حتى صار A هو القرآن الناطق الذي يجب إتباعه والتمسك به، لأنه ضمانة من الضلال، والانحراف.

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ أبو الفضل علي بن الحسين الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ)، تحقيق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، منشورات شركة المعارف الإسلامية، ١٣٧٩هـ ، ٥/ ٣٠١.

(٢) ظ: الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠١هـ)، تحقيق: الشيخ أياد باقر سليمان، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، (١٤٢٧ هـ ـ ٢٠٠٦ م)، ١١/ ٣١٧،٣١٨.

(٣) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر أشوب، (ت ٥٨٨هـ)، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٧٦هـ ١٩٥٩م، ١/ ٣١٠، و ظ: شرح نهج البلاغة ، أبن أبي الحديد ،١٩/١١.

(٤) شرح نهج البلاغة، أبن أبي الحديد ،١٧/١.

فمن لم يتمسك به لم يتمسك بالقرآن، ومن لم يعترف بولايته لم يعترف بالقرآن، انطلاقاً من قول رسول الله k : "إنِّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إنْ تمسَّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً... هم حبل الله المتين وصراطه المستقيم"[١].

---

(١) الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، (دار إحياء التراث العربي بيروت)، ٥ / ٦٦٣، باب مناقب أهل النبي k ، و ظ: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/ ٤، ١٤٠٥هـ،١/٣٥٥.

الخصوصية الثانية: الأخذ المباشر عن النبي k :

كان الإمام أمير المؤمنين **A** أَلْصَقَ الناس برسول الله k بل هو حسنة من حسناته، وأنَّ الرسول لم يكن ليُخفيَ عليه شيئاً مما كان ينزل عليه ؛ لأنَّه كان موضع سره، وحامل أختامه، ووارث علمه، وأقرب الخلق إليه، فضلاً عن عنايته الخاصة واهتمامه البالغ والمنقطع النظير به، كل ذلك من أجل إعداده إعداداً يتماشى وحجم المسؤوليات الجسام التي سوف تلقى على عاتقه الشريف، التي في صدارتها النهوض بأعباء الخلافة من بعده، لذا فقد علّمه ألف باب من العلم كما هو المشهور في كتب الحديث والسيرة، فأصبح أعلم الناس وأفقههم بكتاب الله وسنة نبيه[١] k .

ومما يدلنا على حجم ذلك الالتصاق بالنبي الأكرم k قوله **A** في كتابه لعثمان بن حنيف: "وأنا من رسول الله كالصنو من الصنو، والذراع من العضد"[٢].

فقد شبه نفسه إلى رسول الله k بالذراع الذي أصله وأُسُّه هو العضد، مبالغة في القرب، وهذه أعلى درجات القرب، والتي تكشف بجلاء عن ملازمته للنبي k واقتفائه أثره حتى وُصِفَ أنَّه كان ألزم له من ظله، فرزق علمه وفهمه فصار بحق باب مدينة علم النبي k ، إذْ إنَّه تربى في حجره فتسنم بذلك سنام الفخر والشرف فقال:" أنا وضعت في الصغر بكلاكل العرب، وكسرت نواجم قرون ربيعة ومضر، وقد علمتم موضعي من رسول الله k بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا ولد، يضمني إلى صدره، ويكنفني في فراشه، ويمسني جسده، ويشمني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول، ولا خطلة في فعل، ولقد قرن الله به k من لدن إنْ كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره، ولقد كنت أتَّبعه اتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علما، ويأمرني بالاقتداء به ولقد كان يجاور في كل

---

(١) ظ : الفصول المختارة، الشريف المرتضى، (ت ٤١٣هـ)، تحقيق: نور الدين جعفريان الاصبهاني، يعقوب الجعفري، محسن الجعفري، دار المفيد للطباعة والنشر، ط / ٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، بيروت ، لبنان، ١٠٧، و ظ: مناقب آل أبي طالب ، ١/ ٣٢.

(٢) نهج البلاغة، ٣ / ٧٣.

سنة بحراء فَأَراهُ، ولا يراهُ غيري"[١].

الأمر الذي حتَّم على المسلمين موالاته والاقتداء به بأمر من النبي k ، فقد ورد عنه أنَّه قال: "من سره أنْ يحيى حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنة عدن التي غرسها ربي فليوالِ علياً بعدى، وليوالِ وليَّه، وليقتدي بالأئمة من بعدي فإنَّهم عترتى خلقوا من طينتى، رزقوا فهماً وعلماً، وويل للمكذبين بفضلهم من أمتي القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي"[٢].

إذن فهذه الخصوصية التي لم يحضَ بها غير علي A كانت وليدة تلك الصلة الوثيقة بينه وبين النبي الأكرم k حتى صارت سمة الأخذ من رسول الله k سمة بارزة من سماة الإمام علي A في كل ميادين المعرفة، فقد عهد له بما لم يعهد لغيره، فقد قال أبن عباس: "كنَّا نتحدَّث أنَّ النبي k عهد إلى علي سبعين عهداً لم يعهد إلى غيره"[٣].

وكانت جميع آيات القرآن قد أملاها النبي k على علي A ، فخطّها بيده قال A : "إنَّ كل آية أنزلها الله جل وعلا على محمد k عندي بإملاء رسول الله وخط يدي، وتأويل كل آية أنزلها الله على محمد k ، وكل حلال وحرام أو حد أو حكم أو شيء تحتاج إليه الأُمة إلى يوم القيامة حتى إرش الخدش"[٤].

ولم يقف اهتمام النبي k وتعليمه للإمام إلى هذا الحد بل أنَّه كان يدعو الله له بالحفظ والعصمة وعدم النسيان، لذا قال A :" ودعا الله أنْ يحفظني وأنْ يعصمني، فما نسيت شيئاً قط منذ دعا لي، وإنّي قلت لرسول الله k : إنك منذ دعوت الله لي

---

(١) البحار، ١٤/ ٤٧٥، ظ: المعجم الموضوعي لنهج البلاغة، أويس كريم محمد، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد إيران، ١٤٠٨هـ، ١٠٧.

(٢) الكافي، الكليني، ١/ ٢٠٩، باب ما فرض الله عز وجل ورسوله k من الكون مع الائمة A .

(٣) حلية الأولياء، (باب علي بن أبي طالب)، ١ / ٦٨.

(٤) الاحتجاج: أبي منصور احمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، تحقيق الشيخ: احمد إبراهيم البهادري والشيخ: محمد هادي به، دار الأسوة للطباعة والنشر، إيران، ١١٤٢هـ،١/ ٣٥٧.

دعوة لم أنسَ مما تعلمني شيئاً ولم يفتني شيء"[١].

وقد أكَّد الإمام هذه الخصوصية بقوله: " وليس كل أصحاب رسول الله k كان يسأله ويستفهمه حتى أنَّهم كانوا ليحبون أنْ يَجيء الطارئ فيسأله حتى يسمع"[٢].

وهذا من أجلى مصاديق الأخذ المباشر عن النبي k إذْ بلغ حداً قال عنه: "هذا سفط العلم، هذا لعاب رسول اللّه k ، هذا ما زقّني النبيّ k زقّا زقّا، سلوني فإنّ عندي علم الأولين والآخرين، سلوني عن كتاب الله، فإنَّه ليس من آيةٍ إلاّ وقد عرفت أبليلٍ نزلت أو بنهارٍ، في سهْلٍ أو جبلٍ"[٣].

إذن فهذه الخصوصية بجميع معانيها والقرب من رسول الله k بكل تفاصيله، جعلت من شخصية الإمام A شخصية محيطة بالكتاب العزيز إحاطةً تامة، أهلته لفهم القرآن الكريم فهماً دقيقاً وشاملاً ومفصلاً، بنحو يتيح له تحديد المدلول اللفظي لسائر الكلمات والجمل والمقاطع التي اشتمل عليها القرآن الكريم، لأنَّ النبي k وبحسب بعض الأدلة قد فسر القرآن تفسيراً شاملاً وخاصاً تلقاهُ الإمام علي A تلقياً خاصاً[٤].

ومما يؤكد ذلك ايضاً ما قدمه الإمام A من تفسير معتمداً على ما أخذه عن رسول الله k فقد روي عنه أنه أسند تفسير قوله تعالى : ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً . . .﴾[٥] إلى النبي k بقوله A : قال رسول الله قوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً﴾ تفترشونها لمنامكم ومقيلكم ، ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ سقفا محفوظاً أن تقع على الأرض بقدرته تجري فيها شمسها وقمرها وكواكبها مسخرة لمنافع عباده

---

(١) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري (١٣٢٠هـ) تحقيق: مؤسسة أهل البيت G لإحياء التراث، ط/٢، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م، ١٧/ ٣٤٢.

(٢) الاحتجاج، الطبرسي، ١/ ٣٩٥.

(٣) الاحتجاج، الطبرسي، ١/٦١٠.

(٤) ظ: المدرسة القرآنية، السيد محمد باقر الصدر(ت ١٤٠١هـ)، مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، قم المقدسة، ط/٤، ٣٢٣.

(٥) البقرة ، ٢٢.

وإمائه[١].

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿. . . نُزُلاً مِّنْ عِندِ اللّهِ وَمَا عِندَ اللّهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ﴾[٢] قال A : قال رسول الله k : أنت الثواب وأنصارك الأبرار[٣].

وغير ذلك من الشواهد التي تظهر أن الإمام علي A كان يأخذ التفسير وينقله عن النبي k ، إذ من المؤكد أنَّ السنة النبوية قد استوعبت كل القضايا التي يحتاجها الإنسان في حياته، فضلاً عن استيعاب تلك القضايا من القرآن الكريم، ولذا فقد أصبح الكتاب والسنة هما المصدران الرئيسان لأحكام الشريعة، فعن الإمام الصادق A قال: "إنَّه ليس من شيء إلاّ وقد جرى به كتاب وسنة"[٤].

وعنه أيضاً أنَّه قال:"إنَّ الله تبارك وتعالى أنزل في القرآن تبيان كل شيء حتى والله ما ترك شيئاً يحتاج إليه العباد، حتى لا يستطيع عبد أنْ يقول: لو كان هذا أُنزل في القرآن إلاّ وقد أنزله الله فيه"[٥].

من هنا أكدَّ آل البيت A هذه الشمولية وهذا الاستيعاب للقران والسنة النبوية اللذين هما المصدران الرئيسان لأحكام الشريعة، ورفضوا أيَّ طريق آخر للوصول إلى مداليل القرآنالكريم ، حتى أنَّهم حضروا ذلك على أصحابهم ولم يسمحوا لهم بأنْ يسلكوا الطرق الاجتهادية وغيرها [٦].

---

(١) ظ : تفسير الإمام العسكري ، المنسوب الى الإمام العسكري (ت ٢٦٠هـ) تحقيق : مدرسة الإمام المهدي ، الناشر : المحقق – قم المقدسة ، ط /١، ١٤٠٩هـ ، ١٥٠، و ظ : تفسير القرآن الكريم برواية الإمام A علي عاشور ، دار الصفوة ، بيروت ـ لبنان ، ط /١ ، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١ م ، ٤.

(٢) آل عمران ، ١٨٩.

(٣) تفسير نور الثقلين ، عبد علي بن جمعة العوسي الحويزي (ت١١١٢هـ)، تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع ، قم المقدسة ، ط/٤، ١٤١٢هـ ـ١٣٧٠ ش. ١/ ٤٢٥.

(٤) مستدرك الوسائل ، ١٧/ ٢٠٢، و ١٨/ ٣.

(٥) البحار، ٦٥/ ٢٣٧.

(٦) ظ: علوم القرآن، السيد محمد باقر الحكيم، ٣٤٣.

ومن أهم القضايا التي استوعبتها السنة النبوية الشريفة هي عملية تفسير القرآن الكريم وتبيين مقاصده ومراميه، بياناً خاصاً تفصيلياً، فقد وردت أدلة نقلية وعقلية على أنَّ النبي k قام بعملية تفسير القرآن الكريم وبيان معانيه بشكل كامل.

من تلك الأدلة قوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾[١].

ومنها أيضاً قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٢].

وغير ذلك من النصوص التي تبين أنَّ النبي k هو الرائد والشارح والموضح للقرآن ؛ لأنَّ القرآن الكريم نزل عليه وهو أعلم بمحكمه ومتشابهه، وخاصة وعامه... وما إلى ذلك، إلى جانب ريادته في مجال التطبيق لمفاهيم القرآن الكريم[٣].

وفي مقابل هذا يرى بعض الباحثين: بأنَّ النبي k لم يفسر القرآن إلا بِعَدَد، كقول عائشة: من أنَّ رسول اللّه k ما كان يفسر شيئاً من القرآن إلا آياً بعدد، علمه إيّاهُنَّ جبريل[٤]، وهو عين ما ذهب إليه السيوطي[٥].

وقد استدل أصحاب هذا الاتجاه، بأدلة عديدة منها رواية عائشة، آنفة الذكر، كما أنَّهم استدلوا بالندرة في المأثور عن النبي k فيما يتعلق بتفسير القرآن الكريم[٦].

---

(١) البقرة، ١٥١.

(٢) النحل،٤٤.

(٣) ظ: لمحات من تاريخ القرآن، محمد علي الاشيقر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م ،٢٤٤.

(٤) ظ: التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، اوند للطباعة والنشر، (د. ت)، ١/ ٥١.

(٥) ظ: الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان،١٤٢٨ هـ ـ٢٠٠٧ م، ٢/ ٣٤٩.

(٦) ظ: الإتقان، ٢/ ٣٤٩.

والبحث ليس بصدد تقصي الروايات المتعلقة بهذا الشأن، وإنَّ ما أراد البحث إثباته هو أنَّ القرآن الكريم لابد من أنْ يوجه توجيهاً رسالياً كي يتمكن المسلمون من أنْ يصلوا إلى أهدافه ومضامينه، ويندمجوا بمفاهيمه اندماجاً حقيقاً.

لذا يعتقد أتباع مدرسة أهل البيت G أنَّه من أجل هذا التوجيه الرسالي للقرآن الكريم أحاط النبي الأكرم k علياً بتفسير القرآن تفسيراً خاصاً، حتى صارت هذه الإحاطة معلماً من معالم شخصية الإمام أمير المؤمنين A [١].

فقد ورد عنه أنه قال"ما نزلت على رسول الله k آية إلاّ أقرأنيها وأملاها عليَّ فكتبتها بخطي، وعلّمني تأويلها وتفسيرها"[٢].

الأمر الذي يظهر بجلاء قربه A من الرسول k ومعرفته أللدنية من رسول الرحمة لأنَّ الرسول يأخذ علمه من الإله، فأصبح واسطة لوصول المعرفة التي أومأ إليها الإمام علي بن أبي طالب A بجوانبها التفسيرية والتأويلية فضلاً عن تعلمه القراءة من فم النبي k وتدوينه لآيات الكتاب العزيز، وذلك يدل على تفرده في عملية الأخذ المباشر من نبي الرحمة، وأن النبي أحاطه بهذه العلوم التي في مقدمتها تفسير القرآن الكريم، فأصبح حينئذٍ مؤصلاً ومقعداً لكل أُسس العملية التربوية التي تتعلق بالقرآن الكريم

وهذا بحد ذاته عملية تأسيس مرجعية أهل البيت G ليس فقط على مستوى التفسير فحسب وإنَّما على كل المستويات، وفي جميع الجوانب الفكرية للرسالة، وما حديث الثقلين إلاّ خير دليل على ذالك، بقصد إيجاد من يحمل تراث القرآن الكريم، ويندمج به اندماجاً مطلقاً بالدرجة التي تتيح له أنْ يكون مرجعاً في فهم الأُمة للقرآن الكريم، وضامناً لعدم تأثر الأُمة في فهمها للقرآن بإطارات فكرية خاصة، ومسبَّقات ذهنية، أو رواسب جاهلية[٣].

(١) ظ: المدرسة القرآنية ، ٣٢٣.

(٢) الكافي،١ / ٦٤.

(٣) ظ: المدرسة القرآنية، ٣٢٣.

لذا نجد أنَّ أئمة أهل البيت G قد شددوا على هذا الأمر انطلاقاً من تعليم الرسول k علياً تفسير القرآن الكريم بشكل كامل من جهة، واستيعاب السنة لكل القضايا التي يحتاجها الإنسان في حياته من جهة أُخرى.

الخصوصية الثالثة: **إدراك الإمام A للبناء الكلي للنص القرآني**:

يمثل القرآن الكريم وحدة كلامية لا تتجزأ ، وتعاليمه وأحكامه مترابطة متكاملة بين بعضها بعضاً، ما يشبه الوحدة العضوية بين أعضاء الجسم الواحد، فبعضها يؤثر في بعض، ولا يجوز أنْ يفصل جزء أو أكثر عن سائر الأجزاء ، فالعقيدة تغذي العبادة، والعبادة تغذي الأخلاق، وكلها تغذي الجانب العملي والتشريعي في الحياة.

ولا بد لأجل فهمه وليكون المفسر في أجواء النص القرآني، وإدراك معانيه من أنْ تكون لديه نظرة شاملة للقرآن الكريم تتمثل بالنظر للقرآن على أنَّه وحدة موضوعية متماسكة، فلا يمكن فهم القرآن فهما تفصيلياً إلا من خلال النظر إلى أبعاد هذه الوحدة[١].

وتكمن أهمية إدراك البناء الكلي للقرآن الكريم في إنَّ فهم بعض القرآن متوقف على جميعه، وعدُّ السورة كلها أساساً في فهم آياتها، والموضوع فيها أساس في فهم جميع النصوص التي وردت فيها[٢].

بمعنى أن الوحدة الموضوعية للنص القرآني ترتبط بوحدة موضوعية كبرى يتجلى من خلالها البناء الكلي للقرآن الكريم، ومن هنا فأن فهم بعض القرآن متوقف على جميعه، وأن فهم السورة كلها متوقف على فهم آيتها، لذا فالموضوع فيها أساس في فهم جميع النصوص التي وردت فيها، أي أنَّ وحدة الموضوع للسورة متوقف على فهم آياتها ، ومن ثم فإنَّ هذه الوحدة الموضوعية ترتبط بالبناء الكلي للقرآن الكريم، الأمر الذي يتطلب إدراكاً وإمعاناً في الفهم من أجل الوصول الى مبتغى القصد القرآني.

فالقرآن الكريم هو كلام واحد يعبر عن تصور متكامل وشامل للكون والحياة والدين، لكن الحكمة الإلهية شاءت أنْ ينزل هذا الكل المتماسك على شكل آيات وسور، والأول هو غالب القرآن ومن أمثلته في السور القصار(سورة العلق) فأنَّ أول ما نزل منها (إقرأ) إلى قوله (ما لم يعلم)، (وسورة الضحى) فإنَّ أول ما نزل منها

---

(١) ظ: علوم القرآن، محمد باقر الحكيم، ٣٣٩.

(٢) ظ: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٤/ ٢٢٧.

(والضحى) إلى قوله تعالى: (فترضى)[1].

ومن أمثلة الثاني سورة الفاتحة، والإخلاص، والكوثر، والمسد، والبينة، وسورة النصر، والمعوذتان نزلتا معا[2].

وتجدر الإشارة إلى أنَّ نزول القرآن الكريم بشكل تدريجي وبشكل منجم كان لتحقيق أغراض عديدة من أبرزها هو الإمداد المعنوي المستمر للنبي k كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ القرآن جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾[3].

وقد أحاطت بالنزول التدريجي هذا ظروف وأحداث من شأنها أنْ تلقي الضوء على معانيه وأهدافه من ناحية، وكان لها تأثير في أسلوب العرض والبيان والمقاصد من ناحية أُخرى[4].

وبناءً على هذا فلا يمكن فهم القرآن الكريم فهما دقيقاً وفهما تفصيلياً من دون توفر نظرة شاملة لكل هذه الأبعاد والجوانب (الناسخ والمنسوخ، العام والخاص، المحكم والمتشابه...)، وغيرها من المسائل التي لها علاقة بفهم القرآن الكريم، إذْ تُعدُّ من أهم الخصائص التي يتم بموجبها ولوج العملية التفسيرية، فلا بد للمفسر من معرفة مطلق القرآن ومقيده... وجدله، والموهم بالاختلاف وغير ذلك مما يستلزمه التفسير.

من هنا تتضح أهمية هذه النظرة الموضوعية، والإدراك الكلي للنص القرآني التي تفرد بها الإمام أمير المؤمنين A دون غيره من معاصري الوحي، فهي فضلاً عن كونها وليدة رحم الإحاطة التامة بظروف نزول النص القرآني، كذلك فهي وليدة العلاقة الراسخة بين الإمام A والقرآن الكريم ، إذْ أنَّها مستوحاة من رؤية علمية وواقعية مستنبطة من القرآن الكريم وطبيعة العلاقة به.

---

(١) ظ: الإتقان في علوم القرآن، ١/ ٧٦.

(٢) ظ: الإتقان، ١/ ٧٦.

(٣) الفرقان: ٣٢.

(٤) ظ: لمحات من تاريخ القرآن، محمد علي الاشيقر، ١٠٢.

وقد تجلى كل ذلك في خطب الإمام A وكلماته، فنراه يقول: "ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق ولكن أُخبركم عنه ألا إنَّ فيه علم ما يأتي والحديث عن الماضي ودواء دائكم ونظم ما بينكم"[1]، أي أنَّه لا ينطق مع كل أحد إلاّ لمن توفرت لديه الإحاطة به.

وقال أيضاً: "إنّي لأعرف ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، وما حرف نزل إلّا وأنا أعرف فيمن أُنزل، وفي أيِّ يوم، وأيّ موضع أُنزل، أما تقرؤون: ﴿**إِنَّ هَـذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى**﴾[2] واللَّه هي عندي، وَرِثتها من حبيبي رسول اللَّه k ومن إبراهيم وموسى J ، واللَّه أنا الذي أَنزل اللَّه فيَّ: ﴿**وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ**﴾[3]، فإنّا كنّا عند رسول الله k فيخبرنا بالوحي فأعيَه ويفوتهم، فإذا خرجنا قالوا: مَاذا قَالَ آنِفًا"[4].

فحين تصل نظرته A إلى القرآن إلى حد الإحاطة بالحرف الواحد، وفي أيِّ يوم نزل لهو أجلى مصاديق ذلك الإدراك وتلك النظرة الموضوعية المستوحاة من إدراكه للبناء الكلي للقرآن الكريم من دون غيره من معاصري الوحي.

وما قوله A :" لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً في تفسير فاتحة الكتاب"[5] إلا هو خير دليل على ذلك الإدراك، وتلك النظرة المستوعبة لك جزئيات النص القرآني.

وللإمام A كلمة أُخرى في المعنى نفسه، جاء في بعضها:"... فنحن نعلم حلاله وحرامه... وسفريه وحضريه وفي أيِّ ليلة نزلت"[6].

---

(١) نهج البلاغة، ٥٥/١.

(٢) الفجر، ١٨، ١٩.

(٣) الحاقة، ١٢.

(٤) بصائر الدرجات، محمد أبن الحسن الصفار(ت٢٩٠هـ)، تحقيق: ميرزا حسن كوجه باغي، منشورات الأعلمي، طهران، ١٤٠٤هـ ، ١٥٥.

(٥) مناقب آل أبي طالب ، ٣٢٢/١.

(٦) بصائر الدرجات، ٢١٨.

وقوله A : "ما نزلت على رسول الله k آية إلاّ أقرأنيها وأملاها عليَّ فكتبتها بخطي، وعلّمني تأويلها وتفسيرها"[1].

وعلى وفق ذلك تتبين إحاطة الإمام علي A بالبناء الكلي للقرآن الكريم فهو عالم بأسباب نزوله وتفاصيل آياته ، تفسيراً وتأويلاً الى درجة معرفته لمعنى الحرف الواحد من حروف القرآن الكريم ، ومن هنا تتجلى الإحاطة التامة لديه بالبناء الكلي لكل أبعاد النص القرآني.

ومن الأمثلة على ذلك أن الخليفة عمر أتى بامرأة قد ولدت لستة أشهر فأمر برجمها ، فقال له الإمام أمير المؤمنين A إن خاصمتك بكتاب الله خصمتك ، إنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ. . .﴾[2]، ويقول جل وعلا : ﴿. . . وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً. . .﴾[3]

فإذا تمت الرضاعة سنتين وكان حمله وفصاله ثلاثين شهرا كان الحمل منها ستة أشهر ، فخلى عمر سبيل المرأة وثبت الحكم بذلك ، يعمل به الصحابة والتابعون ومن أخذ عنه إلى يومنا هذا[4].

فقد استدل الإمام أمير المؤمنين A على هذا الحكم من خلال الجمع بين آيتين ، إذ إنَّ استنباط الحكم من الآية الأولى متوقف على فهم الآية الثانية ، وهذا ما لم يتأتى لغيره من معاصري الوحي ، إذ إنه منبثق من رؤية علمية مستبطة من إدراكه للبناء الكلي للقرآن الكريم ، وحضور النص القرآني لديه ، ونظرته له على أنه كل منسجم ينطق بعضه بالبعض الآخر.

---

(١) الكافي،١ / ٦٤.

(٢) البقرة ، ٢٣٣.

(٣) الأحقاف ، ١٥.

(٤) الإرشاد ، ١/ ٢٠٦.

الخصوصية الرابعة: **اختصاصه بعلم التأويل**:

يُعدُّ التأويل من المفاهيم القرآنية المهمة التي توقف عندها المفسرون بوصفه عملية مرتبطة بأقصى مدارك الفهم القرآني، ولا يقدر على الخوض فيه إلا من حباه الله سبحانه وتعالى بموهبةٍ علميةٍ خارقة مستندة إلى علم أهل البيت **G** .

ولهذا الأمر كثرت الدراسات فيه وأختلفت الآراء حوله، ولكن ما يمكن القول فيه أن القرآن الكريم اشتمل على آيات يتوهم منها بحسب ظاهرها الاختلاف والتناقض، وقد أدرك العلماء أنَّهم لو فسروها على ظاهرها للزم من ذلك مفاسد كثيرة، كالتشبيه والتجسيم، وارتفاع محذور كهذا لم يكن ممكناً إلا بسلوك طريق التأويل بصرف الآيات عما تدل عليه بظواهرها، الأمر الذي حفز العقل الإسلامي الى دراسة غايات التأويل وفهم النص القرآني بالرجوع إلى المجاز.

وتُعدُّ الإمامية من الفرق التي وضعت للتأويل أُسساً وضوابطَ وحدوداً ذات أبعاد منهجية[١].

وليس البحث بصدد الحديث عن أهمية التأويل واتجاهاته وإنما لإثبات خصوصية تفرد الإمام بعلم التأويل.

ولما كان التأويل الحقيقة الواقعية التي تستند عليها البيانات القرآنية كما ذكر ذلك السيد الطباطبائي بقوله:" إنَّ الحق في تفسير التأويل أنَّه الحقيقة الواقعية التي تستند عليها البيانات القرآنية من حكم أو موعظة أو حكمة وأنَّه موجود لجميع الآيات القرآنية محكمها، ومتشابهها وأنَّه ليس من قبيل المفاهيم المدلول عليها بالألفاظ بل هو من الأمور العينية المتعالية عن أنْ تحيط بها شبكات الألفاظ وإنما قيدها الله (جل وعز) بقيد الألفاظ لتقريبها من أذهاننا بعض التقريب"[٢] فأن ذلك يتطلب فهماً خاصاً من لدن الرسول **k** واهل بيته الأطهار **G** ، ولما كان الرسول **k** "مدينة العلم

---

(١) كنز الفوائد، أبو الفتح الكراجكي (ت ٤٤٩هـ)، مكتبة المصطفوي، قم المقدسة، ط/٢، ١١١، ظ: مناهج المتكلمين في فهم النص القرآني، الدكتور ستار الاعرجي، بيت الحكمة، العراق بغداد، ٢٠٠٨م، ١١٧.

(٢) ظ: الميزان، ٣/ ٤٤.

وعلي بابها وهل تدخل المدينة إلا من بابها"[١] فلا بد أن يكون الإمام علي A قد علم التأويل وفهم مراميه على وفق قوله تعالى : ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولو الْأَلْبَابِ**﴾[٢] فقد ورد عن الإمام الصادق قال: "هو أمير المؤمنين والأئمة"[٣].

وبخصوص ذلك فقد وردت أحاديث كثيرة تكشف اختصاص أهل البيت G بهذا العلم إذ جاء قوله A مؤكداً علمه بالتأويل من دون سواه كما في النص الآتي "أين الذين زعموا أنَّهم الراسخون في العلم دوننا كذباً وبغياً علينا، أنْ رفعنا الله ووضعهم، وأعطانا وحرمهم، وأدخلنا وأخرجهم، بنا يستعطى الهدى ويستجلى العمى، إنَّ الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم لا تصلح على سواهم ولا تصلح الولاة من غيرهم"[٤].

فهنا بين الإمام A أنَّهم هم الراسخون في العلم من دون سواهم ، وقد ذكر القرآن الكريم أنَّ علم التأويل من مختصات الراسخين في العلم وأنّه أمر يقصر عن نيله الأفهام وتسقط دون الارتقاء إليه العقول، إلاّ نفوس من طهرهم الله وأزال عنهم الرجس، فان مثل تلك النفوس لها القابلية أنْ تمس القرآن وتقف على حقائقه كما دل على ذلك قوله تعالى:﴿**إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ**﴾[٥]، ومعنى ذلك أنَّ الكتاب المكنون الذي فيه القرآن لا يمسه إلا المطهرون، أو لا يمس القرآن الذي هو في الكتاب المكنون إلا المطهرون، وهم الذين طهرهم الله تعالى من الأدران ومن أرجاس المعاصي وقذارات الذنوب، وكذلك طهر قلوبهم من التعلق بغيره سبحانه[٦].

---

(١) الآمالي ، الشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ) ، مؤسسة البعثة قم المقدسة، ١٤١٧هـ. ٢٤٥.

(٢) آل عمران: ٧.

(٣) الكافي : ١/ ١٢٧.

(٤) نهج البلاغة، ٢/ ١٩.

(٥) الواقعة: ٧٧ ٧٩.

(٦) ظ: الميزان، ١٩ / ١٣٧.

فمسه هو العلم به وهو في الكتاب المكنون(١).

ومنها أيضاً ما رواه بريد بن معاوية عن أحد الصادقين J قال: "فرسول الله k أفضل الراسخين في العلم، قد علمه الله عز وجل جميع ما أنزل عليه من التنزيل والتأويل، وما كان الله لينزل عليه شيئاً لم يعلم تأويله، وأوصياؤه من بعده يعلمونه كله"(٢).

وعن الإمام الصادق A أنَّه قال: "نحن الراسخون في العلم ونحن نعلم تأويله"(٣).

فهذا الرسوخ كما هو مدلول الروايات السابقة يراه أتباع مدرسة أهل البيت G من أوضح مصاديق اختصاصهم بعلم التأويل، فضلاً عن تأكيد ثبوته لخاتم الأوصياء والحجج الإمام المهدي (عجل الله فرجه)، وافتراض أنَّ عصره هو عصر التأويل.

قال السيد حيدر الآملي: "فلو لم يكن مخصوصاً ـ أي علم التأويل ـ بهم وبتابعيهم لم يكن الله تعالى قيد التأويل بالإمام المنتظر منهم المسمى المهدي A في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاء فَيَشْفَعُواْ لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾"(٤)، فقد فسرت هذه الآية في القائم (عجل الله تعالى فرجه الشريف)(٥).

---

(١) ظ: الميزان، ٣/ ٤٨، و ظ: أصول التفسير والتأويل، السيد كمال الحيدري، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ـ لبنان ، ط/١، ٢٧٨.

(٢) الكافي، ١/ ١٢٧، و بحار الأنوار، ٧/ ٣٩.

(٣) الكافي، ١/ ١٢٦.

(٤) الأعراف ، ٥٣.

(٥) تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم ، السيد حيدر الآملي ، تنقيح : السيد محسن الموسوي التبريزي ، مؤسسة الطباعة والنشر ، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران ، ١٤١٤ هـ ، ١/ ٢٣٤، و ظ: تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي، (ت ٣٢٩هـ)، تحقيق: السيد طيب الموسوي الجزائري، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر قم إيران،١٤٠٤هـ، ١/ ٢٣٥.

وروي أنَّ النبي k قال: قال عيسى A : نحن نأتيك بالتنزيل، وأما التأويل فسيأتي به الفارقليط في آخر الزمان، والفارقليط عندهم هو المنتظر[١].

فزمان المهدي إذن يقتضي ظهور التأويل على ما هو عليه وظهور الشريعة على ما ينبغي فهو الذي يحلل الحلال ويحرم الحرام ويقيم دولة العدل الإلهي ويصل الناس في ظل تلك الدولة إلى السعادة الحقيقية.

ومن المعلوم أنَّ المهدي هو من ولدِ علي A وهو وارث علمه الذي هو علم رسول الله k ، وثبوت هذه الخصوصية له A يعني ثبوتها لجده علي A

ومن الجدير بالذكر أن ثبوت هذه الخصوصية للإمام وأهل بيته G لا يعني أنَّ غيرهم لا نصيب له من هذا العلم، وإلا فليست هناك ثمة قيمة للحث على تدبر القرآن الكريم؛ لأنَّه لن يؤدي إلى أيَّةِ غاية، بل أنَّ علماءنا يقولون بإمكانية حصول غيرهم على هذا العلم إلا أنَّه حصول مطلق كل بحسب استعداده، ووعائه الوجودي[٢].

لكن حق التأويل هو وظيفة الإمام المعصوم، لا مطلق التأويل، لأنَّ التأويل تأويلان، تأويل مطلق أو تأويل كامل تام وهو أعلى درجات التأويل وهو الذي يكون من مختصات الأنبياء والأئمة، ومن شايعهم على قدم الصدق والاستقامة[٣].

وآخر جعل الله في الناس قابلية على بلوغه وهو دون الأول الذي يعبر عنه بالتأويل المطلق أو مطلق التأويل[٤].

والأول لا يجوز أنْ يُأخذ إلا منهم وعنهم، ومن تخلف عنهم في خصوص هذا العلم وأسراره غرق في بحر الهلاك والضلال والجهل.

---

(١) ظ: عوالي اللاليء، ابن جمهور الاحسائي، (ت ٨٨٠هـ)، تحقيق: آقا مجتبى العراقي، مطبعة سيد الشهداء، قم المقدسة، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ط/ ١، ٤/ ١٢٤.

(٢) ظ: أصول التفسير والتأويل، السيد كمال الحيدري، ٣٤٤.

(٣) ظ: تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم، حيد الاملي، ١/ ٤٣٢، و ظ: أصول التفسير والتأويل: ٣٤٤.

(٤) ظ: العرفان الشيعي، خنجر علي حميه، دراسة في الحياة الروحية والفكرية لحيدر الآملي، دار الهادي، ط/١،١٤٢٥هـ، ٧٣٤.

فمن الأمثلة التي تظهر اختصاص الإمام A بعلم التأويل جوابه عندما سأله سائل من هؤلاء الحجج في قوله A : "... وعرف الخليقة فضل منزلة أوليائه ، وفرض عليهم من طاعتهم مثل الذي فرضه منه لنفسه والزمهم الحجة بأن خاطبهم خطاباً يدل على انفراده وتوحيده وبأن لهم أولياء تجرى أفعالهم وأحكامهم مجرى فعله ، فهم العباد المكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، قال السائل: من هؤلاء الحجج ؟ قال : هم وجه الله الذي قال: ﴿... فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ...﴾[1] هم رسول الله k ومن حل محله أصفياء الله الذين قرنهم الله بنفسه وبرسوله ، وفرض على العباد من طاعتهم مثل الذي فرض عليهم منها لنفسه"[2].

فقد التفت الإمام A الى مسألة التأويل فهو لم يأخذ عبارة "وجه الله" على ظاهرها وإنما وجد فيها تأويلاً يخص أولياء الله جل وعلا الذين قرنهم الله بنفسه وبرسوله، فقد أول "وجه الله" بالنبي وأهل بيته G لأن الله جل وعلا منزه عن الجسمية ولا يحيط به مكان ولا زمان.

لذا عندما سأله يهودي: "أين يكون وجه ربك ؟ فقال A : يا ابن عباس أئتني بنار وحطب فأتيته بنار وحطب فأضرمها ، ثم قال : يا يهودي أين يكون وجه هذه النار، قال : لا أقف لها على وجه ، قال : فإن ربي عز وجل عن هذا المثل ، وله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله"[3].

ونفس المعنى ورد في احتجاجه على الجاثليق عندما سأله نفس السؤال فقال A : "هذه النار مدبرة مصنوعة لا يعرف وجهها ، وخالقها لا يشبهها ، ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله ، لا يخفى على ربنا خافية"[4].

---

(١) البقرة ، ١١٥.

(٢) الاحتجاج ،٣٧٥/١.

(٣) بحار الأنوار، ١٠/ ٣.

(٤) التوحيد ، أبي جعفر محمد علي بن الحسين بن بابويه القمي (الصدوق) (ت ٣٨١هـ) ، تحقيق : هاشم الحسيني الطهراني ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة ، (د ت) ، ١٨٣.

ومثل ذلك ذلك رؤية الإمام A التأويلية عندما سأله سائل عما اشتبه عليه من الآيات التي منها قوله تعالى: ﴿. . . وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . . .﴾[١] قال: يخبر أنه لا يصيبهم بخير وقد تقول العرب : والله ما ينظر إلينا فلان ، وإنما يعنون بذلك أنه لا يصيبنا منه بخير ، فذلك النظر هاهنا من الله تعالى إلى خلقه ، فنظره إليهم رحمة منه لهم[٢].

وكذا الحال في قوله تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾[٣] قال: "فإنما يعني بذلك يوم القيامة أنهم عن ثواب ربهم محجوبون"[٤] فقال السائل: فرجت عني فرج الله عنك ، وحللت عني عقدة فعظم الله أجرك.

وكذلك رؤيته التأويلية في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[٥]، فقد عرض الإمام علي A لتأويل هذه الآية عندما سأله أحد المسلمين ، فقال A ": قد أعلمتك أن رُبَّ شيء من كتاب الله عز وجل تأويله على غير تنزيله ، ولا يشبه كلام البشر ، وسأنبئُك بطرفٍ منه فتكتفي أن شاء الله ، من ذلك قول أبراهيم :﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾، فذهابه إلى ربه توجهه إليه عبادةً واجتهاداً وقربة إلى الله عز وجل، ألا ترى أن تأويله غير تنزيله"[٦]

وغير ذلك من الشواهد التأويلية التي تظهر بوضوح اختصاصه بهذا العلم، إذ كان يستدير حوله السائلون لتميِّزه بالعصمة، فلا بد أن يكون رائداً في هذا العلم وغيره من العلوم.

---

(١) آل عمران ، ٧٧.
(٢) ظ: التوحيد ، ٢٦٥.
(٣) الإنفطار ، ١٥.
(٤) التوحيد ، ٢٦٥.
(٥ الصافات ، ٩٩.
(٦) التوحيد ، ٢٦٦.

المبحث الثاني

ريادة الإمام علي A في تفسير القرآن وعلومه وجمعه

أشار القرآن القرآن الكريم بصورة واضحة وجلية إلى أنَّ عملية تفسير القرآن الكريم تقع على عاتق النبي الأكرم k وأنَّه أول من تصدى للتفسير، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(١).

وكان تفسيره شاملاً لكل ما جاء في القرآن الكريم من عقائدَ، وعبادات، وأحكام ، ومعاملات، وكل ما يتعلق بالمجتمع الإنساني ابتداءً من الأُسرة إلى الجماعة إلى الأمة وعلاقة الحاكم بالمحكوم وعلاقة المسلمين بغيرهم من الأمم في الحرب والسلم ، وقد وردت عن النبي أحاديث صحيحة توضح وتفسر ما جاء في القرآن زيادة في الايضاح والبيان وهي الأحاديث المتواترة بالسند الصحيح ولذلك كانت السنة النبوية خير مفسر للقرآن الكريم(٢) .

ويتسع مفهوم السنة لدى أتباع مدرسة أهل البيت G فهي تشمل بالإضافة إلى سنة النبي k سنة المعصوم A المتمثلة بقوله وفعله وتقريره.

وقد اتضح لنا خلال الأبحاث السابقة أنَّ الإمام A كان يتمتع بشخصية علمية رائدة في كل ميادين المعرفة، ويُعدُّ الميدان القرآني من أهم الميادين التي أخذت مكان الصدارة في اهتمامات الإمام علي A إذْ أنَّه يتمتع بشخصية تفسيرية رائدة، تمثلت بمجموعة من الخصائص، جعلته يقف على رأس المفسرين؛ لمعرفته التامة بلغة القرآن الكريم وآياته ، وتفصيلاتها وما ينطبق عليها من تقسيم قرآني معروف من حيث الإجمال والتفصيل والخاص والعام وغير ذلك.

---

(١) النحل ،٤٤.

(٢) ظ : القرآن واعجازه العلمي ، محمد اسماعيل إبراهيم ، دار الفكر العربي، (د ت) ، ٣٥.

ولم تقف جهود الإمام **A** في خدمة القرآن الكريم على الحد المذكور وإنما شملت التأصيل لمجموعة من العلوم التي تُعدُّ علوم خادمة للعملية التفسيرية برمتها، مثل علوم القرآن، والنحو، والخط والإملاء والتجويد، فضلاً عما عرف به من بلاغة الأسلوب الذي أضفى على اللغة العربية قدسيتها وجمالها ، فكان مثالاً يحتذي به الأُدباء والكتاب في كل عصر .

أولا: الريادة في علم التفسير:

أخذ الإمام علي بن أبي طالب A موقع الصادرة بين الصحابة في كل ميادين المعرفة، ولاسيما في ميدان التفسير فهو أول من تكلم به بعد الرسول k ، ولم يكن وجوده في المقدمة عفواً بل هو اتفاق آراء المؤرخين كافة، والرواة التي أجمعت على أنَّه كان صدر المفسرين، والمؤيد فيهم وأكثر من روي عنهم من الخلفاء[١].

قال أبن أبي الحديد المعتزلي: "إذا رجعت إلى كتب التفسير علمت صحّة ذلك لأنّ أكثره عنه A ، وعن عبد اللّه بن عباس وقد علم الناس حال ابن عباس في ملازمته له وانقطاعه إليه وأنّه تلميذه وخريجه مدرسته، وقيل له أين علمك من علم ابن عمّك، قال: كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط"[٢].

وروي عنه أيضاً أنّه قال: حدّثني أمير المؤمنين A في باء (بسم اللّه الرّحمن الرّحيم) من أول اللّيل إلى الفجر ولم يتمّ[٣].

وعنه أيضاً قال: قال عليّ A : "لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً في تفسير فاتحة الكتاب"[٤].

فكان A أعلم المسلمين بعد النبي k بكتاب الله سبحانه تفسيراً وتأويلاً؛ لأنَّه باب مدينة علم النبي k الذي أشار إليه بقوله: "أنا مدينة العلم وعلي بابها"[٥].

فقد غذّاه النبي k من فيض علومه حتى قال A : علمني رسول الله k ألف باب من العلم ينفتح لي من كلّ باب ألف باب[٦].

---

(١) ظ: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٢/ ٣٧٢.

(٢) شرح نهج البلاغة، أبن أبي الحديد ، ١/ ١٩.

(٣) نهج الحق وكشف الصدق، العلامة الحلي، تحقيق: رضا الصدر، مؤسسة الطباعة والنشر دار الهجرة، قم المقدسة، ١٤٢١هـ، ٢٣٨.

(٢) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب،١/ ٣٢٣.

(٥) عيون أخبار الرضا،الشيخ أبو جعفر الصدوق محمد بن على بن الحسين بن بأبويه القمى (قده، ت ٣٨١هـ) تنقيح: الشيخ حسين الاعلمي، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات بيروت ـ لبنان، ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م، ١/ ٧١.

(٦) وسائل الشيعة ، الحر العاملي، ٨/ ٢٦٠.

وقال أيضاً: "فأنَّ عندي علم الأولين والآخرين، أما والله لو ثنيت لي الوسادة فجلست عليها، لأفتيت أهل التوراة بتوراتهم حتى تنطق التوراة فتقول: صدق علي ما كذب، لقد افتاكم بما أنزل الله في، وأفتيت أهل الإنجيل بإنجيلهم حتى ينطق الإنجيل فيقول: صدق علي ما كذب لقد أفتاكم بما أنزل الله في، وأفتيت أهل القرآن بقرآنهم حتى ينطق القرآن فيقول: صدق علي ما كذب لقد أفتاكم بما أنزل الله في، وأنتم تتلون القرآن ليلاً ونهاراً، فهل فيكم أحد يعلم ما نزل فيه، ولولا آية في كتاب الله لأخبرتكم بما كان وبما يكون، وما هو كائن إلى يوم القيامة، وهذه الآية هي قوله تعالى: ﴿**يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾[١]، ثم قال: "فوالذي برأ النسمة لو سألتموني عن آية آية أخبرتكم بوقت نزولها وفي من نزلت..."[٢].

فلم يكن علمه فقط بالقرآن الكريم ، وإنَّما بكل الكتب السماوية التي أُنزلت على الأنبياء السابقين بما فيها من عقائد وأحكام وتشريعات وأخلاق، وأخبار الأُمم السابقة وأحوالها... وغيرها.

وفي ضوء هذا كانت القدرة التفسيرية للإمام أمير المؤمنين A تستند إلى مؤهلات معرفية أهلته لبيان مقاصد النص القرآني عبر وسائل الاستنباط التفسيرية المختلفة.

فقد ورد عن النبي k أنَّه قرأ قوله تعالى: ﴿**وَتَعِيَهَا إذنٌ وَاعِيَةٌ**﴾[٣]، ثم التفت لعلي A وقال: سألت الله أنْ يجعلها أُذنك، قال الإمام A فما سمعت شيئاً نسيته[٤].

قال الرازي: "إنْ قلت: لِمَ قِيلَ أُذن واعية على التوحيد والتنكير؟ قلت: للإيذان بأنَّ الوعاة فيهم قلة، ولتوبيخ الناس بقلة من يعي منهم، وللدلالة على أنَّ الأُذن الواحدة إذا وعت وعقلت عن الله (جل وعز) فهي السواد الأعظم عند الله، وأنَّ ما سواها لا يبالي

---

(١) الرعد: ٣٩.

(٢) التوحيد، ٣٠٥ ، و الآمالي، الشيخ الصدوق، مؤسسة البعثة قم المقدسة، ١٤١٧هـ، ٤٢٣.

(٣) الحاقة: ١٢.

(٤) مناقب آل أبي طالب، ٢/ ٢٧٦.

بهم وإنْ ملئوا ما بين الخافقين"[1].

علماً أنَّ الرازي يستدل بالحديث المروي عن النبي k في قراءته لهذه الآية بأنَّها نزلت بعلي A [2].

وروى الكليني عن سليم بن قيس الهلالي: إنَّ أمير المؤمنين A كان يقول: ما نزلت آية على رسول الله إلا أقرأنيها وأملاها علي فكتبتها بخطي وعلمني تفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها ودعا الله لي إن يعلمني فهمها وحفظها، فما نسيت آية من كتاب الله، ولا علماً أملاه علي فكتبته منذ دعا لي بما دعا، وما ترك شيئاً علمه الله حلالاً كان أو حراماً ولا أمراً ولا نهياً كان أو يكون ولا كتاب مُنزل على أحد قبله من طاعة أو معصية إلا علمنيه وحفظته، ودعا الله أنْ يملأ قلبي علماً وفهماً وحكمة ونوراً، فقلت: "يا رسول الله بأبي أنت وأمي مذ دعوت الله لي لم أنس شيئاً ولم يفتني شيء لم أكتبه أو تتخوف علي النسيان فيما بعد، فقال: لست أتخوف عليك نسياناً ولا جهلاً"[3].

لقد جاءت هذه الأحاديث وغيرها في جوانب كثيرة مؤكدة اهتمام الرسول k بهذه الشخصية التي حظيت بجعل تكويني أهله لأن يكون ولياً لله سبحانه وتعالى ، وأميراً للمؤمنين وإماماً من قبل أن تعقد له له الخلافة ، إذ قال رسول الله k "أنت يعسوب الدين وأمير المؤمنين"[4] وفي رواية أخرى : "هذا يعسوب المؤمنين وقائد الغر المحجلين"[5] .

لذا كان يقول :"انا يعسوب الدين واмير المؤمنين..."[6] واليعسوب ذكر النحل

---

(١) تفسير الرازي، (ت ٦٠٦هـ)، (د .ت) ط/٣، ٣٠/ ١٠٥.

(٢) تفسير الرازي، ٣٠/ ١٠٥.

(٣) الكافي، ٣٨/١.

(٤) بحار الأنوار ، ٦٧/٣٥. باب اسمائه A وعللها.

(٥) بحار الأنوار ، ٦٧/٣٥. نفس الباب

(٦) التمحيص ، محمد بن همام الإسكافي (ت ٣٣٦هـ) ، تحقيق : مدرسة الإمام المهدي A الناشر: المحقق ، قم المقدسة ، (د ت) ، ٤٨ .

وأميرها[١]، وهي كناية عن سيد القوم وأميرهم.

ومثل ما منحه هنا سيادة القوم وهم المؤمنين فقد منحه في حديث آخر السيادة العلمية إذْ قال :"أنا مدينة العلم وعلي بابها"[٢] ، وغير ذلك من الأحاديث التي أسست لمرجعية الإمام أمير المؤمنين الفكرية والتفسيرية.

مرجعية الإمام A الفكرية والتفسيرية:

لقد كان الإمام أمير المؤمنين A المتلقي الأول الذي يفقه ما ينزل من القرآن الكريم بعد الرسول k لتميزه بقدرات استيعابية خلفتها موسوعته الثقافية الناهلة من عطاء الوحي الإلهي بوصفه ربيب الرسالة إذْ جعله الله الأُذن الواعية فتلقى وتمثل كل ما نزل من القرآن الكريم، فأسس بذلك مرجعية فكرية لكافة المسلمين واعترف بهذه الحقيقة حتى المناوئين لمنهجه من أمثال الحجاج بن يوسف الثقفي وأضرابه ممن يكنون له العداوة، وخير الفضل ما شهد به العداءُ.

فقد روي أنَّ يَزِيد بْن أَبِى مُسْلِمٍ خَرَجَ مِنْ عِنْدِ الْحَجَّاجِ فَقَالَ: "لَقَدْ قَضَى الأمير بِقَضِيَّةٍ فَقَالَ لَهُ الشَّعْبِىُّ: وَمَا هِىَ؟ فَقَالَ: قَالَ: مَا كَانَ لِلرَّجُلِ فَهُوَ لِلرَّجُلِ وَمَا كَانَ لِلنِّسَاءِ فَهُوَ لِلْمَرْأَةِ فَقَالَ لِلشَّعْبِىِّ: قَضَاءُ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ، قَالَ: وَمَنْ هُوَ؟ قَالَ: لاَ أُخْبِرُكَ، قَالَ: مَنْ هُوَ عَلَىَّ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ أَنْ لاَ أُخْبِرَهُ قَالَ: هُوَ عَلِىُّ بْنُ أَبِى طَالِبٍ قَالَ: فَدَخَلَ عَلَى الْحَجَّاجِ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ الْحَجَّاجُ: صَدَقَ وَيْحَكَ إِنَّا لَمْ نَنْقِمْ عَلَى عَلِىٍّ قَضَاءَهُ قَدْ عَلِمْنَا أَنَّ عَلِيًّا كَانَ أَقْضَاهُمْ"[٣].

وهذا يعني أنَّ علي بن أبي طالب A كان مرجعاً ليس للصحابة فحسب وإنما لعامة الناس على أختلاف مذاهبهم وتنوع مشاربهم.

وأما الصحابة فكلهم أخذوا عنه، فمن شواهد ذلك أنَّ عمر استعجم عليه شيء وتنازع معه اثنان فكتبا إليه أن يتجشم بالحضور فكتب إليهما : العلم يؤتى ولا يأتي ،

---

(١) شرح نهج البلاغة ، أبن ابي الحديد ، ١٢/١.

(٢) بحار النوار ، المجلسي ، ٣٠١/ ٤٣.

(٣) السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند حيدر آباد، ط / ١، ١٣٤٤ هـ، باب: متاع البيت يختلف فيه،٧٣/٢.

فقال عمر : هناك شيخ من بني هاشم وإثارة من علم يؤتى إليه ولا يأتي ، فصار إليه فوجده متكئاً على مسحاة فسأله عما أراد فأعطاه الجواب فقال عمر : لقد عدل عنك قومك وانك لأحق به ، فقال A : إنَّ يوم الفصل كان ميقاتا[١].

ورجع إليه أيضاً في قضية شرب الخمر لأنَّ القرآن الكريم لم يبين حداً لشارب الخمر فأشكل الأمر على الخليفة عمر فقال الإمام علي A : "إنه إذا شرب سكر ، فإذا سكر هذى ، وإذا هذى افترى ، فيحد به حد المفتري"[٢]

قال أبن شهر آشوب : "وقد ظهر رجوعه إلى علي A في ثلاث وعشرين مسألة حتى قال : لولا علي لهلك عمر"[٣].

ومن أمثلة ذلك أيضاً رجوع الخليفة عمر بن الخطاب إليه عندما بعث له ملك الروم برسالة يسأله فيها عن تفسير سورة (الحمد) ، فكتب الإمام A إلى ملك قائلاً : "ورد كتابك وأقرأنيه عمر بن الخطاب، فأما سؤالك عن (اسم الله تعالى) فإنه اسم فيه شفاء من كل داء ، وعون على كل دواء ، وأما (الرحمن) فهو عون لكل من آمن به ، وهو اسم لم يسم به غير الرحمن تبارك وتعالى وأما (الرحيم) فرحم من عصى وتاب وآمن وعمل صالحا وأما قوله: (الحمد لله رب العالمين) فذلك ثناء منا على ربنا تبارك وتعالى بما أنعم علينا وأما قوله : (مالك يوم الدين) فإنه يملك نواصي الخلق يوم القيامة ، وكل من كان في الدنيا شاكاً أو جباراً أدخله النار ، ولا يمتنع من عذاب الله شاك ولا جبار ، وكل من كان في الدنيا طائعاً مديماً محافظاً إياه أدخله الجنة برحمته وأما قوله : (إياك نعبد) فإنا نعبد الله ولا نشرك به شيئا وأما قوله : (وإياك نستعين) فإنا نستعين بالله عز وجل على الشيطان الرجيم لا يضلنا كما أضلكم وأما قوله : (اهدنا الصراط المستقيم) فذلك الطريق الواضح ، من عمل في الدنيا عملاً صالحا فإنه يسلك على الصراط إلى الجنة وأما قوله (صراط الذين أنعمت عليهم) فتلك النعمة التي أنعمها الله عز وجل على من كان قبلنا من النبيين

---

(١) ظ : مناقب آل أبي طالب ، ٣١١/١.

(٢) الخلاف ، ٥/ ٤٩١.

(٣) مناقب آل أبي طالب ، ١/ ٣١١

والصـديقين ، فنسـأل الله ربنـا أن يـنعم علينـا كمـا أنعـم علـيهم وأمـا قولـه : (غيـر المغضوب عليهم) فأنت وأمثالك يا عابد الصليب الخبيث ضللتم من بعد عيسى بن مريم (عليه السلام) فنسأل الله ربنا أن لا يضلنا كما ضللتم"[١].

ومن الشواهد الأخرى التي تكشف عن الدور الريادي للإمام علي A في مجال تفسير القرآن الكريم قوله: "كذبت قريش واليهود بالقرآن وقالوا : سحر مبين تقوله فقال الله : ﴿الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢] ذلك الكتاب أي يا محمد هذا الكتاب الذي أنزلنه عليك هو بالحروف المقطعة التي منها : (ألف لام ، ميم)، وهو بلغتكم وحروف هجائكم فأتوا بمثله إن كنتم صادقين واستعينوا على ذلك بسائر شهدائكم ، ثم بين أنهم لا يقدرون عليه بقوله : ﴿قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾[٣] " ثم قال الله : (ألم) هو القرآن الذي افتتح بألم ، هو ذلك الكتاب الذي أخبرت موسى فمن بعده من الأنبياء ، فأخبروا بني إسرائيل أني سأنزله عليك يا محمد كتاباً عزيزاً ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[٤]، (لا ريب فيه) لا شك فيه لظهوره عندهم كما أخبرهم أنبياؤهم أنَّ محمداً ينزل عليه كتاب لا يمحوه الباطل يقرؤه هو وأمتهم على سائر أحوالهم (هدى) بيان من الضلالة (للمتقين) الذين يتقون الموبقات ، ويتقون تسليط السفه على أنفسهم حتى إذا علموا ما يجب عليهم علمه عملوا بما يوجب لهم رضا ربهم"[٥].

---

(١) بحار النوار، المجلسي ، ١٠/ ٦٠ ،٦١، باب احتجاجه على النصارى ، و: مصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ، حسن الميرجهاني الطباطبائي (ت ١٣٨٨هـ)، ٤/ ١٢٠، ١٢١.

(٢) البقرة ، ١، ٢.

(٣) الإسراء ، ٨٨.

(٤) الشورى ،٤٣.

(٥) بحار الأنوار ، المجلسي ، ١٠/ ١٤، ١٥، باب احتجاج أمير المؤمنين A على اليهود.

وهكذا فقد كان عطاء الإمام علي بن أبي طالب A التفسيري عطاءً غير محدود كما جاء في هذا البحث للأسباب التي ذُكرت سابقاً المتمثلة بقربه من النبي k ومعرفته بخفايا القرآن الكريم بدءً بأسباب نزوله حتى فم دلالات معانيه ، وإذا لا حظنا تفسيره لوجدناه قد امتاز بالوضوح والإبانة والموسوعية التي تُنبئُ عما ذكره البحث سابقاً.

فقد سأله أبن الكواء وهو على المنبر: "ما الذاريات ذروا ؟ فقال : الرياح ، فقال: وما الحاملات وقراً ؟ قال : السحاب ، قال : وما الجاريات يسراً ؟ قال : الفلك ، قال: فما المقسمات أمراً ؟ قال الملائكة.[١]

وجهلوا تفسير قوله تعالى :(إنَّ أول بيت وضع للناس) فقال له رجل : هو أول بيت ؟ قال : "لا قد كان قبله بيوت ولكنه أول بيت وضع للناس مباركا فيه الهدى والرحمة والبركة وأول من بناه إبراهيم ثم بناه قوم من العرب من (جرهم) ثم هدم فبنته قريش[٢].

الأمر الذي افتقر إليه الجلة من الصحابة فقد كانت الرواية عنهم في التفسير نزرة جداً[٣].

قال جلال الدين السيوطي: "أما الخلفاء فأكثر من روي عنه منهم علي بن أبي طالب A والرواية عن الثلاثة نزرة جداً..."[٤]، بل أنَّ الرواية عن أبي بكر تكاد تكون معدومة أو أنَّها لا تتعدى عدد أصابع اليد.

وعلل السيوطي قلة الرواية في التفسير عن الخلفاء بقوله: "وكأنَّ السبب في ذلك تقدم وفاتهم كما أنَّ ذلك هو ذات السبب في قلة الرواية عن أبي بكر(رضي الله عنه)، ولا أحفظ عن أبي بكر، (رضي الله عنه)، في التفسير إلا آثاراً قليلة جداً لا تكاد

---

(١) مناقب آل أبي طالب ، ٣٢٢/١.

(٢) مناقب آل أبي طالب ، ٣٢٢/١.

(٣) ظ: علوم القرآن، محمد باقر الحكيم: ٢٨٤.

(٤) الإتقان في علوم القرآن، ٣٧٢/٢.

تتجاوز العشرة[١].

والحقيقة أنَّ هذا السبب لم يكن سبباً مقنعا كما علل السيوطي ذلك بتقدم وفاتهم، وإنَّما السبب يعود إلى أنَّ فهم الصحابة للقرآن الكريم كان فهماً إجمالياً، ولم يكن فهماً تفصيلياً ؛ إمّا لعدم اطلاعهم على مدلول الكلمة القرآنية المفردة من ناحية لغوية، أو لعدم وجود استعداد فكري يتيح لهم فهم المدلول الكامل، أو لفصل الجملة أو المقطع القرآني عن الملابسات والأمور التي يجب أنْ يقرن المقطع بها لدى فهمه .

قال الدكتور محمد حسين الذهبي: "ولو أنَّنا رجعنا إلى عهد الصحابة لوجدنا أنَّهم لم يكونوا في درجة واحدة بالنسبة لفهم معاني القرآن الكريم بل تتفاوت مراتبهم وأشكل على بعضهم ما ظهر لبعض آخر منهم، وهذا يرجع إلى تفاوتهم في القوة العقلية وتفاوتهم في معرفة ما أحاط بالقرآن الكريم من ظروف وملابسات"[٢].

وخلاصة ما تقدم ذكره يتبين لنا أنَّ الإمام علي **A** كان مرجعاً فكرياً استدار حوله السائلون بوصفه النواة التي انطلقت منها مدرسة أهل البيت **G** فلا بدَّ أن يكون الرائد الأول بعد النبي k في ميدان التفسير، وليس هناك من شك في أنَّه **A** وظف هذه الجهود في مجال خدمة القرآن الكريم والعقيدة الإسلامية، مما أسهم مساهمة فاعلة في حفظ الشريعة من الزيغ والانحراف.

---

(١) الإتقان، ٢/ ٣٧٢.

(٢) التفسير والمفسرون، ٢/١٠.

ثانياً: ريادة الإمام A في علوم القرآن الكريم:

يُعدُّ البعد المعرفي من أهم الأبعاد والسمات التي يجب توفرها في المفسر لتؤهله لتحمل أمانة الكشف عن الحقيقة وتجليتها لمن يجهلها من البشر ويعبر عنها بآداب العالم أو سمت العلماء، وتتمثل في جملة العلوم المساعدة والضرورية للكشف عن المراد الإلهي، والتي بدونها تذهب الجهود هدراً من دون جدوى، لأنها لم تُتهيأ لها الأسباب الكفيلة الموصلة إلى الكشف عن الحقيقة التي نطمح إلى تجليتها وبيانها.

واصطلح العلماء على تسمية هذا البعد المعرفي بشروط العالم، وقد وضعوا أيدينا على جملة آداب وشروط ينبغي توافرها في المفسر حتى يوفر لنفسه الأسباب الموصلة إلى حقائق القرآن الكريم ومن جملة هذه الشروط:

١. معرفة أسباب النزول.

من فوائد هذا العلم معرفة الحكمة الباعثة على التشريع ، وتخصيص الأحكام ، فهو سبب قوي في فهم معاني القرآن الكريم[١] .

إذ إنَّ (العبرة بعوم اللفظ لا بخصوص السبب) ، فالحكم لم يكن حكراً على السبب الذي نزل به، أو الحادثة التي اقتضت نزوله ، وإنما هو حكم عام ينطبق على كل ما من شأنه أن يطبق عليه.

لذا فقد بدأ الإمام علي بن أبي طالب A بوضع الضمانات اللازمة لوقاية الأحكام المستنبطة من القرآن الكريم ، وصيانتها من التحريف، فقد سبق غيره في الإحساس بضرورة اتخاذ هذه الضمانات، لذا فقد أصَّل A لهذا العلم بقوله : "ثم أنزل عليه الكتاب نوراً لا تطفأُ مصابيحه ، وسراجاً لا يخبو توقده ، وبحراً لا يدرك قدره ..."[٢]، فقد أستعرضت هذه الخطبة أموراً ذات شأن كبير، قال عنها السيد الخوئي: "استعرضت هذه الخطبة كثير من الأمور المهمة التي يجب الوقوف عليها، والتدبر في معانيها، فقوله: (لا يخبو توقده) يريد بقوله هذا وبكثير من جمل هذه الخطبة أن القرآن

---

(١) ظ : الإتقان ، ١/ ٥٩.

(٢) نهج البلاغة ، ٢/ ١٧٧.

لا تنتهي معانيه ، وأنه غض جديد إلى يوم القيامة فقد تنزل الآية في مورد أو في شخص أو في قوم ، ولكنها لا تختص بذلك المورد أو ذلك الشخص أو أولئك القوم ، فهي عامة المعنى"[1].

وقد أكدَّ الإمام الباقر A هذه القاعدة بقوله:" لو أنَّ الآية إذا أُنزلت في قوم ثم مات أولئك القوم ماتت الآية لما بقي من القرآن شيء ولكن القرآن يجري أوله على آخره ما دامت السموات والأرض ولكل قوم آية يتلونها هم منها من خير أو شر"[2].

وهكذا فإنَّ للقرآن الكريم اتساعاً من حيث انطباقه على كل ما من شانه أنْ يَقبل الانطباق وأنْ كان خارجاً عن مورد نزول آياته.

وستأتي الأبحاث القادمة على بعض الشواهد التفسيرية الواردة عن الإمام علي A على وفق هذه القاعدة (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب).

٢. معرفة الناسخ والمنسوخ .

يعد علم الناسخ والمنسوخ من العلوم الخادمة للتفسير الذي هو أشرف العلوم وأجلها.

ومن الجدير بالذكر أنَّ هذه العلوم كانت تُؤخذ وتروى عادة بالتلقين والمشافهة، حتى مضت سنون على وفاة النبي k ، وتوسعت الفتوحات الإسلامية، وبدرت بوادر تدعو إلى الخوف على علوم القرآن، والشعور بعدم كفاية التلقي عن طريق التلقين والمشافهة، نظراً إلى بعد العهد بالنبي نسبياً واختلاط العرب بشعوب أخرى، لها لغاتها وطريقتها في التكلم والتفكير ، لذا بدأ الإمام علي بن أبي طالب A بوضع الضمانات اللازمة لوقاية القرآن الكريم وصيانته من التحريف، فقد سبق غيره في الإحساس بضرورة اتخاذ هذه الضمانات، فكان A أول من أَسَّس لعلوم القرآن الكريم، فقد أملى ستينَ نوعاً من أنواع علوم القرآن، وذكر لكل نوع مثالاً يخصه، وذلك

---

(١) البيان في تفسير القرآن ، السيد الخوئي ، البيان في تفسير القرآن، السيد أبو القاسم الخوئي(ت١٤١١هـ) منشورات : دار العلم للأمام السيد الخوئي، النجف الأشرف، ١٤١٠هـ. ١٩٨٩م ، ٢٢.

(٢) البحار، ١١٥/٨٩.

في كتاب يروى عنه وهو الأصل لكل من كتب في أنواع علوم القرآن الكريم[1].

ومن تلك العلوم علم الناسخ والمنسوخ الذي لاقى نصيباً وافراً من الدراسة والتدوين عند القدماء ، فقد أفرد لهذا العلم من مؤلفات عديدة ، وقد أحصيت أسماء المؤلفين في هذا الباب فبلغت العشرات[2].

وهو من العلوم التي تسهم مساهمة فاعلة في بيان النص القرآني ومعرفة الأحكام، فلا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله تعالى ، إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ وأنَّ كل من يتكلم في شئ من علم هذا الكتاب العزيز ولم يعلم الناسخ والمنسوخ كان ناقصاً.[3]

ومما يؤيد ذلك ما روي عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب **A** من أنه دخل الكوفة فرأى عبد الرحمن بن دأب صاحب أبي موسى الأشعري وقد تحلق عليه الناس يسألونه وهو يخلط النهي بالأمر والإباحة بالحظر، فقال له **A** : "أتعرف الناسخ من المنسوخ ؟ قال لا ، فقال هلكت وأهلكت ، قال أبو من أنت ؟ قال أبو يحيى ، قال أنت أبو أعرفوني وأخذ أُذنه ففتلها ثم قال : لا تقضي في مسجدنا بعد"[4].

فقد حذر الإمام علي **A** من التصدي لتفسير القرآن الكريم من دون الإحاطة التامة بعلوم القرآن التي تجلت أهميتها لأهل بيته **G** فقد أكد أهمية هذا العلم وغيره من علوم القرآن الإمام الصادق **A** فيما روي عنه أنه قال: "... وذلك أنَّهم ضربوا بعض القرآن ببعض، واحتجوا بالمنسوخ وهم يظنون أنَّه الناسخ، واحتجوا بالمتشابه وهم

---

(١) ظ: أعيان الشيعة ، السيد محسن الأمين (ت١٣٧١هـ)، تحقيق : حسن الأمين ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ـ لبنان ، (د . ت) ١، ٩٠، و ظ: الشيعة وفنون الإسلام، السيد حسن الصدر، (د. ت) ٢٥.

(٢) ظ : الناسخ والمنسوخ في كتاب الله تعالى ، قتادة بن دعامة السدوسي (سنة ١١٧ هـ) ، تحقيق: حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ط/٣، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٨ م ، ٩، ١٠.

(٣) ظ : الناسخ والمنسوخ في كتاب الله تعالى ، قتادة بن دعامة السدوسي ، ٩، و ظ : الإتقان في علوم القرآن ، ٢/ ٤٠.

(٤) الناسخ والمنسوخ في كتاب الله تعالى ، قتادة بن دعامة السدوسي ، ٩، و ظ : مسند زيد بن علي بن أبي طالب ، منشورات : مكتبة الحياة – بيروت – لبنان ، ٣٥٨.

يرون أنَّه المحكم، واحتجوا بالخاص وهم يقدرون أنَّه العام، واحتجوا بأول الآية وتركوا السبب في تأويلها، ولم ينظروا إلى ما يفتح الكلام وإلى ما يختمه، ولم يعرفوا موارده ومصادره إذْ لم يأخذوه عن أهله فضلوا وأضلوا، واعلموا رحمكم الله أنَّه من لم يعرف من كتاب الله عز وجل الناسخ من المنسوخ، والخاص من العام، والمحكم من المتشابه، والرخص من العزائم، والمكي والمدني، وأسباب التنزيل، والمبهم من القرآن في ألفاظه المنقطعة والمؤلفة، وما فيه من علم القضاء والقدر، والتقديم والتأخير، والمبين والعميق، والظاهر والباطن.... فليس بعالم بالقرآن ولا هو من أهله، ومتى ما ادعى معرفة هذه الأقسام مدع بغير دليل فهو كاذب مرتاب مفتر على الله الكذب ورسوله ومأواه جهنم و بئس المصير "[١].

فقد أوضح الإمام الصادق بعد جده علي A مكانة هذا العلوم من بين بقية العلوم الأخرى لتعلقها بكتاب الله العزيز وحاجة العلماء إليه في تفسيره والوقوف على أحكامه.

ومن الأمثلة على ذلك في تراث الإمام علي بن أبي طالب A أنه سُئل يوماً عن قوله تعالى : ﴿. . . اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ . . .﴾[٢] قال : "والله ما عمل بهذا غير أهل بيت رسول الله نحن ذكرنا الله فلا ننساه ونحن شكرناه فلا نكفره ونحن أطعناه فلا نعصيه فلما أنزلت هذه الآية قالت الصحابة لا نطيق ذلك فأنزل الله ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ . . .﴾[٣] ، فتناهى إلى أذهان بعض الصحابة أنها نسخت بهذه الآية فقال أبن عباس وهو يروي عن الإمام علي A أنها لم تنسخ ، ولكن حق تقاته أي أن يجاهدوا في الله حق جهاده ، ولا تأخذهم في الله لومت لائم ، ويقوموا بالقسط ولو على

---

(١) وسائل الشيعة، الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ)، باب عدم جواز استنباط الأحكام النظرية من ظواهر القرآن إلا بعد معرفة تفسيرها من كلام الأئمة A ، ١٨/ ١٤٧، و ظ: البحار، ٨٩/ ٧٢.

(٢) آل عمران ، ١٠٢.

(٣) الطلاق ، ١٦.

أنفسهم وآبائهم وأمهاتهم[١].

وغير ذلك من الأمثلة التي تكشف عن دراية شاملة من لدن الإمام A بناسخ القرآن ومنسوخه وما يترتب عليه من أحكام.

٣. معرفة المحكم والمتشابه.

تجلى اهتمام الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب A بعلوم القرآن الكريم منذ بدايات نزوله، فقد رصد موضوعاته وكان له باع في الحديث عنها وقد عضد حديثه بتطبيقات قرآنية.

فمثلاً في قضية المحكم والمتشابه كان يرى A أنَّ المحكم الذي لم ينسخه شيء في القرآن الكريم فهو قول الله عز وجل ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا . . .﴾[٢] وانما هلك الناس في المتشابه لأنهم لم يقفوا على معناه ولم يعرفوا حقيقته فوضعوا له تأويلاً من عند أنفسهم بآرائهم واستغنوا بذلك عن مسألة الأوصياء ونبذوا قول رسول k وراء ظهورهم ... وأما المتشابه من القرآن فهو الذي انحرف منه، متفق اللفظ مختلف المعنى ، مثل قوله عز وجل : (. . . يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ . . .)[٣] فنسب الضلالة إلى نفسه في هذا الموضع ، وهذا ضلالهم عن طريق الجنة بفعلهم ، ونسبه إلى الكفار في موضع آخر ونسبه إلى الأصنام في آية أخرى[٤].

وهكذا فقد كان ميدان تطبيقه الآيات المتشابه إذ إنه كان يوفر حصانة لسائليه خشية التشكيك بكتاب الله تعالى لأنَّه قد ذم في كتابه العزيز متبعي المتشابه بقوله :

---

(١) ظ : مناقب آل ابي طالب ، أبن شهر آشوب ، ٢ / ٢٥، ظ : تفسير القرآن الكريم برواية الإمام A علي عاشور ، ٦٣.

(٢) آل عمران ، ٧.

(٣) المدثر ، ٣١.

(٤) ظ : بحار الأنوار، ٩٠ / ١٢ ، و ظ : جامع أحاديث الشيعة ، السيد البروجردي (ت ١٣٨٣هـ)، المطبعة العلمية ـ قم ، ١٣٩٩هـ ، ١/ ١٦٣.

﴿. . . فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ . . .﴾[١] ووصفهم بالزيغ وابتغاء الفتنة.

ومن أمثلة ذلك في تراث الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب A جوابه لشخصٍ اشتبهت عليه بعض آيات القرآن الكريم ، فكان شاكاً بكتاب الله تعالى ومعتقداً أنه يكذب بعضه بعضاً، فقد روي أنَّ رجلاً أتى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب A فقال: يا أمير المؤمنين إني قد شككت في كتاب الله المنزل ، قال له A : ثكلتك أمك وكيف شككت في كتاب الله المنزل ؟ قال: لأني وجدت الكتاب يكذب بعضه بعضاً فكيف لا أشك فيه ؟ فقال علي بن أبي طالب A : إن كتاب الله ليصدق بعضه بعضاً ولا يكذب بعضه بعضاً، ولكنك لم ترزق عقلاً تنتفع به ، فهات ما شككت فيه من كتاب الله عز وجل ، قال له الرجل: إني وجدت الله يقول: ﴿فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾[٢] وقال أيضاً: ﴿. . .نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ . . . ﴾[٣] وقال: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً﴾[٤] فمرة يخبر أنه ينسى ، ومرة يخبر أنه لا ينسى ، فأني ذلك يا أمير المؤمنين قال: هات ما شككت فيه أيضاً ، قال: وأجد الله يقول: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفّاً لا يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً﴾[٥] وقال : ﴿. . .ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ . . . ﴾[٦] وقال: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾[٧] وقال : ﴿قَالَ لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾[٨] وقال : ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ

---

(١) آل عمران ، ٧.
(٢) الأعراف ، ٥١.
(٣) التوبه ، ٦٧.
(٤) مريم ، ٦٤.
(٥) النبأ، ٣٨.
(٦) العنكبوت ٢٥
(٧) ص،٦٤.
(٨) الذاريات ،٢٨ .

عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[1] فمرة يخبر أنهم يتكلمون ومرة يخبر أنهم لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً ، ومرة يخبر أن الخلق لا ينطقون ويقول عن مقالتهم ﴿. . . قَالُواْ وَاللّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[2]، ومرة يخبر أنهم يختصمون ، فأني ذلك يا أمير المؤمنين وكيف لا أشك فيما تسمع ، وقد هلكت إن لم ترحمني وتشرح لي صدري فيما عسى أن يجري ذلك على يديك ، فإن كان الرب تبارك وتعالى حقاً والكتاب حقاً والرسل حقاً فقد هلكت وخسرت ، وإن تكن الرسل باطلاً فما علي بأس وقد نجوت .

فقال علي A : قدوس ربنا قدوس تبارك وتعالى علواً كبيراً ، نشهد أنه هو الدائم الذي لا يزول ، ولا نشك فيه ، وليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، وأن الكتاب حق والرسل حق ، وأن الثواب والعقاب حق ، فإن رزقت زيادة إيمان أو حرمته فإن ذلك بيد الله ، إن شاء رزقك وإن شاء حرمك ذلك ، ولكن سأعلمك ما شككت فيه، ولا قوة إلا بالله ، فإن أراد الله بك خيراً أعلمك بعلمه وثبتك ، وإن يكن شراً ضللت وهلكت ، أما قوله : ﴿ **نسوا الله فنسيهم** ﴾ إنما يعني نسوا الله في دار الدنيا ، لم يعلموا بطاعته فنسيهم في الآخرة أي لم يجعل لهم في ثوابه شيئاً فصاروا منسيين من الخير وكذلك تفسير قوله عز وجل : ﴿**فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا**﴾ يعني بالنسيان أنه لم يثبهم كما يثيب أولياءه الذين كانوا في دار الدنيا مطيعين ذاكرين حين آمنوا به وبرسله وخافوه بالغيب ، وأما قوله : ﴿**وما كان ربك نسياً**﴾ فإن ربنا تبارك وتعالى علوا كبيراً ليس بالذي ينسى ولا يغفل بل هو الحفيظ العليم ، وقد يقول العرب في باب النسيان: قد نسينا فلان فلا يذكرنا أي أنه لا يأمر لنا بخير ولا يذكرنا به، فهل فهمت ما ذكر الله عز وجل ، قال : نعم ، فرجت عني فرج الله عنك وحللت عني عقدة فعظم الله أجرك.

---

(١) يس ، ٦٥.

(٢) الأنعام ، ٢٣.

قال **A** : وأما قوله: ﴿**يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً**﴾ وقوله : ﴿**والله ربنا ما كنا مشركين**﴾ وقوله : ﴿**يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً**﴾ وقوله : ﴿**إن ذلك لحق تخاصم أهل النار** وقوله : ﴿**لا تختصموا لدي وقد قدمت إليكم بالوعيد**﴾ وقوله : ﴿**اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون** ﴾ فإن ذلك في مواطن غير واحد من مواطن ذلك اليوم الذي كان مقداره خمسين ألف سنة ، يجمع الله عز وجل الخلائق يومئذ في مواطن يتفرقون ، ويكلم بعضهم بعضا ويستغفر بعضهم لبعض أولئك الذين كان منهم الطاعة في دار الدنيا للرؤساء والأتباع ويلعن أهل المعاصي الذين بدت منهم البغضاء وتعاونوا على الظلم والعدوان في دار الدنيا ، المستكبرين والمستضعفين يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضاً والكفر في هذه الآية البراءة ، يقول: يبرأ بعضهم من بعض ، ونظيرها في سورة إبراهيم قول الشيطان: ﴿**إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِنْ قَبْلُ**﴾[1] وقول إبراهيم خليل الرحمن : ﴿. . . **كَفَرْنَا بِكُمْ** . . .﴾[2] يعني تبرأنا منكم ، ثم يجتمعون في موطن آخر يبكون فيه فلو أن تلك الأصوات بدت لأهل الدنيا لأذهلت جميع الخلق عن معائشهم ، ولتصدعت قلوبهم إلا ما شاء الله ، فلا يزالون يبكون الدم ، ثم يجتمعون في موطن آخر فيستنطقون فيه فيقولون: ﴿**والله ربنا ما كنا مشركين** ﴾ فيختم الله تبارك وتعالى على أفواههم و يستنطق الأيدي والأرجل والجلود فتشهد بكل معصية كانت منهم ، ثم يرفع عن ألسنتهم الختم فيقولون لجلودهم : ﴿**وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي**

---

(١) إبراهيم ، ٢٢.

(٢) الممتحنة ، ٤.

﴿أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ . . . ﴾[١] ثم يجتمعون في موطن آخر فيستنطقون فيفر بعضهم من بعض ، فذلك قوله عز وجل : ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾[٢].

٤. المجمل والمبين.

يعدُّ المجمل والمبين من العلوم التي تسهم في عملية فهم النص القرآني ، إذ إنَّ له أثر بالغ في في فهم مقاصد القرآن الكريم ، ولا سيما ما يتعلق منها بالجانب العبادي ، إذ إن معظم العبادات جاءت مجملة في القرآن الكريم .

لذا عدَّ هذا العلم من السمات التي يجب توفرها في المفسر، كي يتمكن من ولوج التفسير، التي أصَّلَ لها الإمام أمير المؤمنين A فقد كان الرائد الأول في هذا العلم، إذْ ورد عنه في نهج البلاغة قوله: " كتاب ربكم فيكم مبينا حلاله وحرامه وفرائضه وفضائله وناسخه ومنسوخه ، ورخصه وعزائمه ، وخاصه وعامه ، وعبره وأمثاله ، ومرسله ومحدوده ، ومحكمه ومتشابهه مفسراً مجمله ومبيناً غوامضه[٣].

وكان ميدان تطبيقه الآيات المجملة ، فمن أمثلة ذلك على سبيل المثال لا الحصر، فقد وردت الفتنة في القرآن الكريم مجملة في قوله تعالى : ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[٤]، وقد ورد تفصيلها في قول الإمام علي A : "الفتن ثلاث حب النساء وهو سيف الشيطان ، وشرب الخمر وهو فخ الشيطان وحب الدينار والدرهم وهو سهم الشيطان ، فمن أحب النساء لم ينتفع

---

(١) فصلت ، ٢١.

(٢) عبس ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦، و ظ : التوحيد ، الشيخ الصدوق ، ٢٥٠ـ ٢٦٩.

(٣) نهج البلاغة ، ١/ ٢٦.

(٤) البقرة ، ١٩٣.

بعيشه ، ومن أحب الأشربة حرمت عليه الجنة ، ومن أحب الدينار والدرهم فهو عبد الدنيا"[1].

فنرى أن الإمام علي بن أبي طالب A قد فصل ما ورد من إجمال في هذه الآية الكريمة ، انطلاقاً من معرفته التامة بهذه العلوم التي تعد الأساس في عملية تفسير القرآن الكريم.

٥. القراءات القرآنية.

تعدُّ القراءات القرآنية من المسائل التي حظيت باهتمام المسلمين منذ نهضتهم الأولى على يد رسول الله k وصحابته الكرام إلى يومنا هذا وقد تتطوع لهذا العلم عدد كبيرٌ من علماء الإسلام لتعلقه بكتاب الله تعالى، فقد أنزله الله تعالى مُصرَّفًا على أوسع اللغات تيسيرًا للأمةِ ورفعاً للحرج عنها وما ذاك إلا دليلٌ من دلائلِ إعجازه وبديعِ نظمهِ، إذْ أنَّه جمع لغات العرب، فضلاً عن بعض الأحرف والكلمات الغريبة التي ترجع في أصلها إلى لغات مختلفة، كاللغة الفارسية والسريانية، والهندية، والحبشية، والنبطية والتي يبلغ تعدادها أكثر من مائة لفظة، علماً أنَّ أول من صنف في هذا العلم هو أبان بن تغلب[2].

ولمَّا كان للقراءات القرآنية أثرٌ بالغٌ في استنباط المعاني القرآنية والأحكام الشرعية إذْ تُعدُّ من جملة الخصال والمزايا التي ينبغي أنْ يتحلى بها المفسر ليكون قادراً على ولوج التفسير، فقد عدها بعضٌ من أول المزايا التي يجب توافرها في المفسر، اذْ إنَّها ذات أهمية جليلة في أستنباط بعض الأحكام الشرعية من القرآن الكريم ، ولاسيما عند من يرى حجيتها ، كما أستدلوا على حرمة وطئ الحائض بعد نقائها من الحيض وقبل أن تغتسل بقراءة الكوفيين غير حفص، قوله تعالى ﴿...وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى

---

(١) الخصال ، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ) ، تحقيق وتصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة ، ١٤٠٣هـ - ١٣٦٢ ش ،١١٣، و بحار الأنوار ، ٢/ ١٠٧.

(٢) ظ: لمحات من تاريخ القرآن، محمد علي الأشيقر، ٣٩١.

يَطَّهَرْنَ. . .﴾[1] بالتشديد[2] .

لذا فقد جاء دور النبي k في تبليغها للصحابة، بما يتعلق به من حركة الفم، واللسان، والشفتين عند النطق بالحرف، إذْ تلقّى الصحابة تلك الآيات من رسول الله k ، تلقياً مباشرًا عن طريق المشافهة[3].

ولعلَّ من أنصع الأدلة التيّ تبيِّن كيف كان النبي k يتلقى القرآن الكريم ، ويتلقى قراءته من جبريل A قوله تعالى: ﴿**لا تُحرّك بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ، إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ، فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ**﴾[4]، فالآية تُؤكدُ أمر تكفل الله تعالى تعليم النبي k قراءة القرآن وحفظه، فقد روي أنَّ النبي k إذا لُقِّن الوحي نازع جبرائيل القراءةَ خوف النسيان، ومعنى لا تحرك به لسانك ما دام جبرائيل يقرأ، إنَّ علينا جمعه في صدرك وإثْيان قراءته[5].

ويرى السيد الطباطبائي انَّ معاجلة النبي جبرائيل A في القراءة هي لعلمه بالقرآن الكريم مسبقاً، فأمره الله تعالى أنْ ينصت حتى يقضى إليه وحيه[6].

ومن المقطوع به أنَّ النبيَّ k كان يُقرئ صحابته القرآن الكريم كما تلقَّاه من جبرائيل A من دون زيادةٍ أو نقصانٍ أو تغييرٍ، إذْ ليس له أنْ يتقول على الله سبحانه بحرف واحد، قال تعالى: ﴿**وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ**﴾[7].

---

(١) البقرة ، ٢٢٢.

(٢) البيان في تفسير القرآن ، السيد الخوئي ، ١٨٧.

(٣) ظ: لمحات من تاريخ القران، ٢٤١.

(٤) القيامة:١٦ ١٨.

(٥) ظ: تفسير جوامع الجمع، الشيخ الطوسي، (ت ٥٤٨هـ)، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامية، قم المقدسة، ١٤٢١هـ، ٣/ ٦٨٣.

(٦) ظ: الميزان، ٢/ ١٨،

(٧) الحاقة، ٤٤ ، ٤٦.

فمـا كـان مـن رسـول الله k إلا أنْ يُقـرئ أصـحابه القـرآن الكـريم كمـا أُنـزل، ويصحح لهم أخطاءهم إذا قرأوا بخلاف قراءته، فعن الأعمش عن أبي بكر بن أبي عياش في خبر طويل: " أنَّه قرأ رجلان ثلاثين آية من الأحقاف فاختلفا في قراءتهما فقال ابن مسعود: هذا خلاف ما أقرؤه فذهبت بهما إلى النبي k فغضب وعلي عنده فقال علي: "رسول اللّه k يأمركم أنْ تقرأوا كما عُلِّمتم"[1].

الأمـر الـذي يكشـف أنَّ الإمـام علـي A كـان أول المتلقـين للقـراءة القرآنيـة الصحيحة من النبي k ؛ بحكم ملازمته له وقربه منه، وأخذه المباشر عنه كما بين البحث ذلك، إذْ أنَّه كان يقول: "وليست منه آية إلّا وقد أقرأنيها رسول الله k "[2].

ومما يـدلنا علـى إحاطـة الإمـام التامـة بقـراءة القـرآن الكـريم ، أنَّـه كـان يصـحح للصحابة أخطاءهم في القراءة، والتي تؤدي بدورها إلى فهم خاطئ للنصوص الكتاب العزيز.

من ذلك ما روي: "أنَّ زيداً لما قرأ (التابوه) قال علي A :أُكتبه (التابوت) فكتبه كذلك[3].

لأنَّ القراءة الخاطئة تعطي نتائج مغلوطة، لذا كان الإمام علي A حريصاً كل الحرص على أنْ تكون القراءة القرآنية صحيحة لتعطي نتائج صحيحة.

وليس معنى هذا أنَّ الإمام A هو من وضع علم القراءات القرآنية، لكن ما أراد البحث إثباته أنّهَ هو الأصل في القراءة الصحيحة للقرآن الكريم بعد النبي k .

فقد قال أبن مسعود: "ما رأيت أحداً أقرأ من علي بن أبي طالب A للقرآن، وهذا كاشف عن علاقة الإمام علي A بالقرآن الكريم ، فعند الاختلاف بقراءة معينة كان يُرجع إليه فيها لتكون الحجة فيها أبلغ .

---

(١) مناقب آل أبي طالب ، ١/ ٣٢١.

(٢) الاحتجاج ، ١/ ٢٠٧.

(٣) الاحتجاج، ١/ ٣٢١.

ومن أمثلة ذلك ما نقله النحاس إذ قال :"قرأ أبن عباس ومجاهد وعكرمة والضحاك أبو العالية (كِتاباً) ، وروي عن أبن عباس ولم تجدوا (كُتّاباً) قال أبو جعفر وهذه القراءة شاذة والعامة على خلافها وقلَّ ما يخرج شيء عن قراءة العامة إلا كان فيه مطعنٌ نسق الكلام يدل على كاتب قال تعالى قبل هذا ﴿... وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ...﴾[1] وكتاب يقضي جماعة ... هذه قراءة علي صلوات الله عليه وأهل الكوفة وأهل المدينة"[2].

وبهذا يتبين أنه كان المرجع لعموم المسلمين عند الاختلاف في قراءة القرآن الكريم ، فالقراء السبعة إلى قراءته يرجعون، فحمزة والكسائي يعولان على قراءته A ويرجعان إليه ويوافقان أبن مسعود فيما يجري مجرى الأعراب[3].

وأما نافع وأبن كثير وأبو عمرو فمعظم قراءتهم ترجع إلى ابن عباس وابن عباس قرأ على أُبي بن كعب وعلي A والذي قرأه هؤلاء القرّاء يخالف قراءة أُبي فهو إذن مأخوذ عن علي A "[4].

وأما عاصم فقرأ على أبي عبد الرحمن السلمي وقال أبو عبد الرحمن: "قرأت القرآن كله على علي بن أبي طالب A فقالوا أفصح القراءات قراءة عاصم لأنَّه أتى بالأصل وذلك أنَّه يظهر ما أدغمه غيره ويحقق من الهمز ما ليَّنه غيره ويفتح من ألألفات ما أماله غيره"[5].

إذن تحصَّل من خلال ما تقدم أنَّ الإمام علي A هو الرائد الأول في هذا الميدان والجميع قد رجع ، حتى أولئك الذين اشترطوا في أصل القراءة الصحيحة شروط ، أولها: موافقة العربية ولو بوجهٍ، وثانيها: موافقة خط أحد المصاحف العثمانية

---

(١) البقرة ، ٢٨٢.

(٢) أعراب القرآن ، أبي جعفر أحمد بن محمد بن أسماعيل النحاس (ت ٣٣٨هـ) ، اعتنى به الشيخ : خالد العلي ، دار المعرفة ، بيروت ـ لبنان ، ط /٨ ، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م ، ١١٧ ، ١١٨.

(٣) البحار، ٤٠/ ١٥٦.

(٤) مناقب آل أبي طالب ، ١/ ٣٢١.

(٥) المناقب، ١/ ٣٢١.

ولو احتمالاً، وثالثها: صحة السند[1]، فهي بالنهاية تعود اليه ، فمن حيث موافقة العربية، فعلي أول من نبَّه إلى هذا العلم، ومن حيث موافقتها لأحد المصاحف العثمانية، فأنَّ أول مصحف جمع في الإسلام هو مصحف علي A كما تشير الروايات[2].

وأما من حيث صحة السند فقد تناول البحث مجموعة الروايات التي تؤكد أنَّ أصل القراءة الصحيحة يعود للإمام علي A .

---

(١) ظ: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ـــ لبنان، ط/٣ ، ١/ ١٥.

(٢) ظ: فهرست ابن النديم البغدادي، ٣٠.

ثالثاً: ريادة الإمام A في جمع القرآن الكريم:

تشاغبت الآراء حول جمع القرآن الكريم ، فمنهم من قال إنَّ أول من جمع القرآن في مصحف مرتب الآيات هو الخليفة أبو بكر سنة أثني عشر للهجرة بعد موقعة اليمامة(١).

ومنهم من يرى أنَّه جمع في عهد الخليفة عثمان بن عفان بعد أنْ أمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوا الصحف بالمصاحف(٢).

وآخر يقول إنه جمع في زمن عمر بن الخطاب ، إذ إنه سأل عن آية من كتاب الله فقيل كانت مع فلان فقتل يوم اليمامة فقال أنا لله ، وأمر بالقرآن فجمع فكان أول من جمعه في المصحف(٣).

إلا أن عقيدة أتباع آل البيت G أن أول من أمر بجمع القرآن وقام بتنظيم آياته وأثبتها في مواضعها المرادة لله عز وجل هو الرسول الأعظم k ، فهو الذي بدرايته وحفظه أتم السور ورتبها ، وأشرف عليها، فأن مثل هكذا أمر يحتاج إلى تسديد مباشر من الوحي.

إذ لا يعقل أن يتركها هكذا يتخبط بها أهل الأهواء فيصبح القرآن الكريم دُولة لأمزجتهم وميداناً لآرائهم ، أو يضيع بموت حفظته ، وهو كتابُ آخر الرسالات وانقطاع وحي السماء.

لذا فكل ما روي بشأن جمع القرآن الكريم لا يمكن التعويل عليه ؛ لأنه مشوب بالتناقض والتعارض، لذا فقد وقف السيد الخوئي في تفسيره "البيان" على هذه الروايات وأظهر تناقضها وتعارضها، وأبطل حجيتها(٤).

---

(١) ظ: مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح (ت١٤٠٧هـ)، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، ط/٦، ١٩٦٩م ٧٤.

(٢) ظ: مباحث في علوم القرآن، ٧٨.

(٣) البيان في تفسر القرآن ، ٢٥٩.

(٤) البيان في تفسر القرآن ، ٢٦٣ ـ ٢٦٩.

إذ قال :"أن إسناد جمع القرآن إلى الخلفاء أمرٌ موهوم ، مخالف للكتاب، والسنة ، والإجماع ، والعقل".[1]

فهي معارضة للكتاب لأن كثيراً من آيات الكتاب الكريمة دالة على أن سور القرآن كانت متميزة في الخارج بعضها عن بعض ، وان السور كانت منتشرة بين الناس، حتى المشركين وأهل الكتاب ، فإن النبي k قد تحدى الكفار والمشركين على الإتيان بمثل القرآن ، وبعشر سور مثله مفتريات ، وبسورة من مثله ، ومعنى هذا أن سور القرآن الكريم كانت في متناول أيديهم.

ومخالفةٌ للسنة ، فقد أُطلق لفظ الكتاب في قول النبي k : " إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي"[2] وفي هذا دلالة على أنه كان مكتوباً مجموعاً ؛ لأنَّه لا يصح إطلاق الكتاب عليه وهو في الصدور ، بل ولا على ما كتب في اللخاف، والعسب ، والأكتاف ، إلا على نحو المجاز والعناية ، والمجاز لا يحمل اللفظ عليه من غير قرينة.

ومخالفة لحكم العقل ، فإن عظمة القرآن في نفسه ، واهتمام النبي k بحفظه وقراءته ، واهتمام المسلمين بما يهتم به النبي k وما يستوجبه ذلك من الثواب ، كل ذلك ينافي جمع القرآن على النحو المذكور، "أنَّ العقل يحكم بأنَّه إذا كان القرآن الكريم متفرقاً متشتتاً منتشراً عند الناس وتصدى لجمعه غير المعصوم يمتنع عادةً أنْ يكون جمعه كاملاً موافقاً للواقع"[3].

ومخالفة لما أجمع عليه المسلمون قاطبة من أن القرآن لا طريق لإثباته إلا التواتر، وروايات الجمع تقول : إن إثبات آيات القرآن حين الجمع كان منحصراً بشهادة شاهدين ، أو بشهادة رجل واحد إذا كانت تعدل شهادتين.[4]

---

(١) البيان في تفسير القرآن ، ٢٧٤.

(٢) الإنتصار ، الشريف المرتضى ، (ت٤٣٦هـ) ، تحقيق : مؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة ، ١٤١٥هـ ،٨٠.

(٣) الميزان،١٢/ ٨٩.

(٤) ظ : تفسير البيان ، السيد الخوئي ، ٢٦٩ ـ ٢٧٣.

فالحق إذن أن النبي k ما كان ينتهي من تلقي الوحي إلا ويأمر الكتبة ليدونوا ما سيمليه عليهم ، فكلما نزل قرآن من السماء أمر به k فدون، حتى أن بعضهم كان يفتخر بجمعه في مصحفه بإملاء من رسول k لذا كان الإمام أمير المؤمنين A يفتخر إذ قال: "إنَّ كل آية أنزلها الله جل وعلا على محمد k عندي بإملاء رسول الله وخط يدي"[١].

وأكد هذا الأمر الإمام أبي جعفر الباقر A ، قال جابر بن عبد الله: "سمعت أبا جعفر يقول: ما ادعى أحد من الناس أنَّه جمع القرآن كله كما أُنزل إلا كَذِبَ، وما جمعه كما نزَّله الله تعالى إلا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده" [٢].

فبين الإمام A بجلاء إنَّ القرآن الكريم لا يمكن أنْ يُجمع إلا على يد معصوم، فهو دون سواه من توافرت لديه الإحاطة الشاملة بالكتاب العزيز، وهذا ما بيَّنته الأبحاث السابقة، إذْ عُدَّ هذا الأمر من خصائص المعصوم A ، فقد سُمِعَ الإمام الصادق يقول: "إنَّ من علم ما أُوتينا تفسير القرآن وأحكامه وعلم تغيِّر الزمان وحدثانه..."[٣].

ومما لاشك فيه أنَّ دراية الإمام المعصوم بحدثان الزمان، وقراءته للغيب من وراء حجب، تجعله أشدَّ الناس حرصاً على حفظ القرآن الكريم وجمعه، خصوصاً وقد بدأت الإرهاصات الأولى للفرقة بين المسلمين تطفو على السطح.

وجاء في احتجاج الإمام علي A على جماعة من المهاجرين والأنصار: "أيها الناس إنِّي لم أزل منذ قبض رسول الله k مشغولاً بغسله، ثم بالقرآن حتى جمعتُهُ كلَه في هذا الثوب، فلم ينزل الله على نبيه محمد k آية من القرآن إلا وقد جمعتها وليست منه آية إلا وقد أقرأنيها رسول الله k وعلمني تأويلها"[٤].

---

(١) الاحتجاج ، ١/ ٣٥٧.

(٢) الكافي ، ١/ ١٣٥،١٣٦.

(٣) الكافي ، ١/١٢٦.

(٤) الاحتجاج، الطبرسي،١ / ٢٠٧.

فأول من جمع قرآناً بعد وفاة رسول k هو الإمام علي A ، ففي الفهرست لابن النديم، أنَّ علياً A حين رأى من الناس عند وفاة النبي طيرةً أقسم أنَّه لا يضع عن ظهره رداءه حتى يجمع القرآن، فجلس في بيته ثلاثة أيام، حتى جمع القرآن وهو أول مصحف جمع فيه القرآن من قبله[١].

وفي الطبقات الكبرى: "أن عليا أبطأ عن بيعة أبي بكر فَلَقِيَهُ أبو بكر فقال أَكَرِهْتَ إمارتي فقال لا ولكنني آليت بيمين أن لا أرتدي بردائي إلا إلى الصلاة حتى أجمع القرآن قال فزعموا أنه كتبه على تنزيله فلو أصيب ذلك الكتاب كان فيه علم قال بن عون فسألت عكرمة عن ذلك الكتاب فلم يعرفه"[٢].

---

(١) ظ: فهرست ابن النديم البغدادي (ت٤٣٨هـ)، تحقيق:رضا تجدد، (د.ت) ٣٠.

(٢) الطبقات الكبرى ، محمد بن سعد ، ٢/ ٣٣٨.

الفصل الثاني

نهج البلاغة مصدراً في التفسير

المبحث الأول: ضوابط فهم النص القرآني في نهج البلاغة.

المبحث الثاني: الشواهد التفسيرية في نهج البلاغة.

إنَّ نهج البلاغة مصدرٌ تراثي كبير أنتجه الإمام علي A وقد تميز بالإبداع ، لذا فقد أثرى الفكر الإسلامي ولإنساني بكل مجالات الحياة ، ولاسيما الأدبية والتفسيرية بشيء لا يمكن تجاهله؛ لنَّ الإمام الإمام علي A كان يستمد معانيه من القرآن الكريم ويتمثلها ليكون نتاجه ذلك التمثل ، وأي نتاج يأخذ من القرآن الكريم معانيه أرقى وأسمى من ذلك ، لهذا كانت معاني نهج البلاغة ثمرة ثمرة من ثمرات فهم الإمام علي A التام للنص القرآني على وفق الخصوصيات التي أشار إليها البحث سابقاً.

فتواصل الباحثون مع تلك المعاني بشتى أنواع التلقي لتصبح محطةَ حجةٍ تسندُ آراءهم وهنا كان التاصيل، لأنّ المفسر في بعض المعارف لا ينفد إلى حلة تفسيرية حتى يأخذ من أقواله A ما يعضد ويقوي ويرشح حجته ، وهذا عين التأصيل؛ **لأنَّ كلام الإمام A** اصبح بمثابة ضوء ينير الدرب للسالكين ، فكلما وقع الحافر على الحافر أي المعنى الذي توصل إليه المفسر مع المعنى الذي أراده الإمام A فإنّ ذلك يشكل قوة لرأي المفسر.

ولم يأتي الأخير ليأخذ نص الإمام A كيف ما شاء ، وإنما يكون الاختيار على وفق ضوابط فهم النص القرآني مثلما أراد لها الإمام علي A فتكون لدى الباحث مرجعية وضوابط مستمدة من نهج البلاغة.

ولما كان النهج متنوع المشارب الفكرية والثقافية فانَّ أفكار المفسرين قد تتنوع هي الأخرى على وفق اعتمادهم عليه بوصفه مصدراً ممولاً لثقافتهم الخاصة ، ولا غرو في ذلك فهو يمثل جزء مهماً من تراث الإمام أمير المؤمنين التفسيري.

لذا جاء هذا الفصل معنياً بإيضاح ضوابط فهم النص القرآني على وفق ما جاء في نهج البلاغة ، فضلاً عن ذكر بعض الأمثلة التفسيرية التي تؤكد ما يراد تطبيقه في هذا الفصل.

المبحث الأول

ضوابط فهم النص القرآني في نهج البلاغة

إنَّ أوامر القرآن الكريم تتوالى على أسماع المسلمين تأمرهم بالتدبر والتفكر والنظر والاعتبار وتتواتر على أذهانهم تدعوهم للنظر في مضامين القرآن الكريم وارتفاق خيره والانتفاع بتوجيهه وإرشاده حتى يصل المسلمون إلى فهم سليم للقرآن الكريم وإدراك عاقل لمراد الله تعالى كل بحسب سعة فهمه وتوفر أدواته، إذْ ليس للقران بعّد واحد، نعم له بعدٌ عام ميسر للجميع ينير الطريق ويهدي البشرية إلى سواء السبيل، وله أيضاً أبعاد أُخرى للعلماء والمتفكرين، لأُلئك الطامحين إلى مزيد من الارتواء، وهؤلاء يجدون في القرآن الكريم ما يروي ظمأهم إلى الحقيقة، ويغرفون من بحره قَدرَ آنيتهم، وتتسع الآنية باتساع دائرة السعي والجهد والإخلاص وإتباع أسلم القواعد والأُسس المنهجية في فهم النص القرآني[١].

ومما لا شك فيه أنَّ كل العلوم المتصلة بالقرآن الكريم تُعدُّ معرفتها قواعد مهمة يبتني عليها فهم النص القرآني، التي إنْ أدركها المفسر ووضعها في حسبانه وذهنه قصر عليه مسافات طويلة في الفهم والإدراك[٢]، وهو ما بينته المباحث السابقة، والذي عُدَّ من خصوصيات الإمام علي **A** في فهم القرآن الكريم.

وهكذا فقد شكلت هذه العلوم مرتكزاً أساساً من مرتكزات فهم الإسلام، وركناً عظيماً من أركان الاهتداء إلى صحيح الأحكام، وباباً واسعاً من أبواب الفهم الصحيح للقرآن الكريم وطريقاً من طرق التوصل إلى إدراك معانيه عبر وسيلة آمنة وضابطة أساسية من الضوابط التي أنْ أخذ بها المفسر والباحث والقارئ نجا من الزيغ والسقوط في فهم

---

(١) ظ: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، مطبعة أمير المؤمنين، قم إيران، ط ١/، ١٤٢١ هـ، المجلد الاول، ٥.

(٢) ظ: الإتقان، ١٩/١.

غير صحيح أو رأي غير عاقل[1].

فضلاً عن ذلك عملية فهم النص القرآني المستندة على ضوابط استقها باعتماده على استنطاق نصوص نهج البلاغة وصولاً إلى عملية الفهم.

وقد رصد البحث ضوابط فهم النص القرآني عند المفسر من خلال اعتماد نصوص نهج البلاغة فوجدها تتفاوت فيما بينها من حيث الحضور في تفاسير بعضهم.

وربما كان التدرج المنهجي في هذا المبحث لتسلسل تلك الضوابط معتمداً على هذه السمة التي وردت سلفاً.

---

(١) ظ: المدرسة القرآنية: ٢٢٠

أولاً: استنطاق القرآن الكريم:

نزل القرآن الكريم بلسان العرب وعالج قضاياهم وعبَّر بلغتهم عن مراده على عهد الله تعالى في إنزال الكتب وإرسال الرسل ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾[١].

ولما كان العرب قوماً فصحاء فقد أدركوا دلالات القرآن الكريم، وفقهوا معانيها بحسب ما أراده الله تعالى لهم حينما نزل القرآن الكريم ، فقد كان لسانه ﴿. . . **لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ**﴾[٢]

لذا حاول جمع من أعلام المفسرين أنْ ينهجوا منهج استنطاق القرآن الكريم، أي أنَّهم اعتمدوا تفسير القرآن بالقرآن؛ وذلك لما ورد عن النبي وأهل بيته **G** من أنَّ القرآن يفسر بعضه بعضاً وينطق بعضه ببعض، قال رسول الله **k** : "إنَّ القرآن ليصدق بعضه بعضاً فلا تكذبوا بعضه ببعض"[٣].

وذات المعنى ورد في خطبة الزهراء **H** الكبرى قالت: "كتاب الله الناطق، والقرآن الصادق، والنور الساطع، والضياء اللامع، بينة بصائره، منكشفة سرائره، متجلية ظواهره، مغتبطة به أشياعه، قائد إلى الرضوان إتباعه، مؤد إلى النجاة أسماعه، به تُنال حجج الله المنورة، وعزائمه المفسرة، ومحارمه المحذرة، وبياناته الجالية، وبراهينه الكافية، وفضائله المندوبة، ورخصه الموهوبة، وشرائعه المكتوبة"[٤].

وقال الإمام أمير المؤمنين **A** : " وَكِتَابُ اَللَّهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ نَاطِقٌ لاَ يَعْيَا لِسَانُهُ وَبَيْتٌ لاَ تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ وَعِزٌّ لاَ تُهْزَمُ أَعْوَانُهُ... كتاب الله تبصرون به، وتنطقون به، وتسمعون به، وينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض ولا يختلف في الله ولا

---

(١) إبراهيم،٤.

(٢) النحل ،١٠٣.

(٣) ظ: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي المتقي الهندي(ت٩٧٥هـ)، تحقيق: بكري حياني، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م ،٦١٩/١، الحديث: ٢٨٦١.

(٤) الاحتجاج: ٢٥٨/١.

يخالف بصاحبه عن الله"[1].

ولهذا تعد عملية استنطاق القرآن الكريم من أبرز معالم نظرية أهل البيت A في فهم القرآن الكريم فهماً دقيقاً وتفصيلياً.

قال الإمام أمير المؤمنين A : "إنَّ الله تعالى بعث رسولاً هادياً بكتاب ناطق وأمرٍ قائم لا يهلك عنه إلا هالك وإنَّ المبتدعات المتشابهات هن المهلكات إلا ما حفظ الله منها"[2].

وتجدر الإشارة إلى أنَّ عملية استنطاق القرآن الكريم لا تتأتّى لكل أحد إلا لأهل البيت A ؛ إذْ إنّ في القرآن الكريم من الأسرار ما لا يدركها إلا المعصوم والندرة من أصحابه.

قال A : "ذلك القرآن فاستنطقوه ولنْ ينطق ولكن أُخبركم عنه ألا إنَّ فيه علم ما يأتي والحديث عن الماضي ودواء دائكم ونظم ما بينكم[3]" أي أنَّه لا ينطق مع كل أحد، إلاّ مع أهل البيت G ومن سار على هديهم واتبع منهجهم في إدراك مضامين القرآن الكريم.

فمن أمثلة هذه القاعدة في تراث أهل البيت G ما أُثر عن الإمام الحسن العسكري A في تفسير قوله تعالى: ﴿**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ** . . .﴾[4] "أي قولوا : اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم بالتوفيق لدينك وطاعتك وهم الذين قال الله عز وجل: ﴿**وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقاً**﴾[5].

---

(١) نهج البلاغة، ٢ / ١٧.

(٢) نهج البلاغة، ٢ / ٨١.

(٣) نهج البلاغة، ٥٥/١.

(٤) الفاتحة ، ٧.

(٥) النساء ،٦٩.

وحكي هذا بعينه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : ثم قال : ليس هؤلاء المنعم عليهم بالمال وصحة البدن وإن كان كل هذا نعمة من الله ظاهرة ، ألا ترون أن هؤلاء قد يكونون كفاراً أو فساقاً فما ندبتم إلى أن تدعوا بأن ترشدوا إلى صراطهم ، وإنما أمرتم بالدعاء بأن ترشدوا إلى صراط الذين أنعم عليهم بالإيمان بالله وتصديق رسوله وبالولاية لمحمد وآله الطاهرين ، وأصحابه الخيرين المنتجبين ، وبالتقية الحسنة التي يسلم بها من شر عباد الله ، ومن الزيادة في آثام أعداء الله وكفرهم ، بأن تداريهم ولا تعزيهم بأذاك وأذى المؤمنين ، وبالمعرفة بحقوق الاخوان من المؤمنين"(١).

نخلص من خلال ما تقدم إلى أنَّ الإمام علي بن أبي طالب A أَسَّسَ لمنهج تفسير القرآن بالقرآن من خلال تأمل النص القرآني والتدبر فيه، وعدم إسقاط الأفكار المسبقة عليه، وذلك لمعرفة أسراره وتثوير مضامينه، فهو متجدد وينطق بعضه ببعض، ويدل على معانيه، فالكل يأخذ منه ولا ينقص منه شيء، ففيه علم الأولين والآخرين وفيه تبيان لكل شيء.

وكان لهذه القاعدة التي أَسَّس لها الإمام أمير المؤمنين A في نهج البلاغة كبير الأثر في "تفسير الميزان" للسيد الطباطبائي إذْ إنَّه بنا منهجه عليها، واستدل صراحة على صحة منهجه بما ورد عن أمير المؤمنين A في نهج البلاغة بقوله: "وقال علي A يصف القرآن على ما في النهج ينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض "الخطبة"، هذا هو الطريق المستقيم والصراط السوي الذي سلكه معلمو القرآن وهداته صلوات الله عليهم"(٢).

---

(١) تفسير الإمام العسكري ، المنسوب للإمام العسكري، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي قم المقدسة ، الناشر : المحقق ، ١٤٠٩هـ ، ٤٨ ، و ظ : معاني الأخبار ، الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسين بن بابويه القمي العروف (بالصدوق) (٣٨١هـ) ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم المقدسة ، ١٣٧٩هـ ـ ١٣٣٨ش ، ٣٧ ، و ظ : بحار الأنوار ،٢٤/ ١٠، و ظ : تأسيس الأئمة لأصول منهج فهم النص القرآني ، ستار جبر حمود الأعرجي ، مركز الرسالة ، ط /١، ١٤٣٢هـ ،١٣٢.

(٢) الميزان، ١/ ١٢.

ومن خلال طريقة استدلال السيد الطباطبائي على صحة منهجه يتبين لنا حجم التأثر بكتاب نهج البلاغة ليس في التفسير فحسب وإنما في المنهج أيضاً.

فقد أفاد السيد العلامة هذا المنهج ليس في الميزان فقط، بل في نتاجاته القرآنية كلها، كما هو الحال في (مقالات تأسيسية في الفكر الإسلامي)"[1].

(١) ظ: مقالات تأسيسية في الفكر الإسلامي، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، تعريب خالد توفيق جواد علي ط/١، ١٤١٥هـ ، ٣١٨، ٣١٩.

ثانياً: النهي عن تفسير القرآن بغير الأصول المعتمدة:

لعل هذا الموضوع بالذات يحوي مجموعة من أُسس فهم القرآن الكريم وضوابطه، فهذا المفهوم تندرج تحته جملة من المصاديق، فالتكلم في القرآن بالرأي، والقول في القرآن بغير علم، وضرب القرآن بعضه ببعض، كل ذلك يحوم حول معنى واحد وهو الاستمداد في تفسير القرآن بغير الأصول المعتمدة[١].

التكلم بالقرآن بالرأي.

المقصود به هو تفسير القرآن الكريم بالاستقلال والإنفراد والاختصاص، أي أنْ يستقل المفسر في تفسير القرآن الكريم بما عنده من الأسباب، ويعدُّ هذا التفسير من أخطر أنواع التفسير بدلالة جملة من الأحاديث الواردة عن النبي وأهل بيته G ، كقوله k : "من فسر القرآن برأيه فقد افترى على الله الكذب"[٢] ، وكذلك قوله k : "من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار[٣].

ومنها قول الإمام علي بن أبي طالب A : "إنّما بِدءُ وقوع الفتن أهواءٌ تُتَّبع وأحكام تُبْتَدع يُخالف فيها كتاب الله"[٤].

ومن تلك الروايات التي حذرت من مغبة الوقوع في ورطة التفسير بالرأي قول الإمام الصادق A : "من فسر القرآن برأيه إنْ أصاب لم يؤجر وإنْ أخطأ خرَّ أبعدَ من السماء"[٥].

وعليه فأنَّ التفسير بالرأي "لا يخلو عن القول بغير علم كما يشير الحديث النبوي الشريف، الأمر الذي يؤدي إلى وقوع الآية في غير موقعها ووضع الكلمة في غير موضعها، ويؤدي كذلك إلى تأويل بعض القرآن أو أكثر آياته بصرفها عن ظاهرها"[٦].

---

(١) ظ: أصول التفسير والتأويل، كمال الحيدري، ١٤٥.

(٢) الوسائل، ٢٧/ ١٩٠، كتاب القضاء، الباب ١٣، من أبواب صفاة القاضي، الحديث، ١٣.

(٣) الوسائل، ٢٧، ١٨٩.

(٤) نهج البلاغة، ١/ ٩٩.

(٥) الوسائل، ٢٧/ ٢٠٢، الباب ١٣، الحديث ٦٦.

(٦) أصول التفسير والتأويل، ١٤٤.

وبالتـالي يجـنح بصـاحبه الـى فسـادٍ فكـري تتسـحب آثـاره علـى الأمـة الإسـلامية فيحدث شرخاً في النسيج الاجتماعي والثقافي مسببا أمراضـاً فكريـة طالما عانت منها الأمة الإسلامية.

وإذا علمنـا أنَّ الله سبحانه وتعالى قد أمر بالتدبر والتفكر والإمعان في نصوص القرآن الكريم فأنَّ هذا الأمر يختلف عن مسألة التفسير بالرأي غير المنضبطة.

ضرب القرآن بعضه ببعض.

إنَّ هذا الأمر من الأمور الخطيرة التي جنح إليها بعض من الناس بسبب دوافع عقائديـة نأت بهم عن مهمتهم الجليلـة في تفسير القرآن الكريم تفسيراً صـادقاً مستندناً إلى أُسس علمية رصينة .

ولهـذا "يُعدُّ ضـرب القـرآن بعضـه بـبعض مقـابلاً لتصـديق بعـض القـرآن بـبعض، ويعني الخلط بين الآيات من حيث مقامات معانيها، والإخلال بترتيب مقاصدها كأخذ المحكم متشابهاً، والمتشابه محكماً ونحو ذلك"[١].

وقد وردت في هذا الجانب روايات أكدت ما ذهب إليه هذا المعنى ؛ لأنّـه يؤدي إلـى الهـلاك والضـلال، فضـلاً عـن تكذيب القـرآن الكـريم، فقد سـمع النبـي k قومـاً يتدارؤن فـي القرآن الكريم ، فقال: "إنما هلك من كان قبلكم بهذا ، ضـربوا كتاب الله بعضه ببعض ، وإنما نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضاً ، فلا تكذبوا بعضه ببعض ، فما علمتم منه فقولوا ، وما جهلتم فكلوه إلى عالمه"[٢].

وعـن الإمـام الصـادق A قـال : "مـا ضـرب رجـل القـرآن بعضـه بـبعض الإ كفر "[٣].

وعليه فإنَّ التعامل مع تفسير القرآن الكريم بآخر يجب أن يكون مبنياً على أسس علميـة منبثقـة من درايـة تامـة ، فضـلاً عن الخـوف والخشية من الله سبحانه وتعالى ،

---

(١) أصول التفسير والتأويل، ١٤٤.

(٢) بحار الأنوار ، ٣٠/ ٥١٣.

(٣) الكافي ، ٢/ ٦٣٢، باب النوادر.

لأنَّ التكلم بالقرآن بالرأي والقول في القرآن بغير علم ، وضرب القرآن بعضه ببعض، مرجعها إلى معنى واحد وهو "الاستمداد في تفسير القرآن بغيره"[1].

انطلاقاً من هذا فقد وضع الإمام أمير المؤمنين A أساساً لكيفية التعامل والتعاطي مع تفسير القرآن الكريم بقوله في نهج البلاغة: "أم أنزل الله سبحانه ديناً ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه، أم كانوا شركاء له فلهم أنْ يقولوا وعليه أنْ يرضى، أم أنزل الله ديناً تاماً فقصر الرسول k عن تبليغه وأدائه والله سبحانه يقول: ﴿... **مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ...**﴾[2]، وقال تعالى: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ القرآن وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**﴾[3]، وأنَّ القرآن ظاهره أنيق وباطنه عميق لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه ولا تكشف الظلمات إلاّ به"[4].

كما أنَّ النهي عن التفسير بالرأي يُستكشَف من كتاب بعثه إلى معاوية جاء فيه:"... فعدوت على طلب الدنيا بتأويل القرآن، فطلبتني بما لم تجن يداي ولا لساني، وعصبته أنت وأهل الشام بي وألَّب عالمكم جاهلكم، وقائمكم قاعدكم فاتق الله في نفسك[5]".

فمؤثرات الدنيا وشوائب العاطفة تجعل المفسر يقول بالرأي كما بين الإمام A ذلك إذْ ليس بمقدور الإنسان أنْ يتحرر وينعتق من قيود الذات، لذا تعد هذه الكلمات قواعد مهمة يمكن الأخذ بها في فهم القرآن الكريم.

فقد أفاد السيد الطباطبائي من هذه القواعد بقوله: "وسنورد ما تيسر لنا مما نقل عن النبي k وأئمة أهل بيته في ضمن أبحاث روائية في هذا الكتاب، ولا يعثر المتتبع الباحث فيها على مورد واحد يستعان فيه على تفسير الآية بحجة نظرية عقلية،

---

(١) ظ : أصول التفسير والتأويل ، ١٤٥.

(٢) الأنعام ، ٣٨.

(٣) النساء:٨٢.

(٤) نهج البلاغة، ١/ ٥٦.

(٥) نهج البلاغة، ١١٢/٣.

ولا فرضية علمية"[1].

وهذا يعني الابتعاد عن التفسير بالرأي المنهي عنه من النبي وأهل بيته **A** ، فقد شجب السيد العلامة تلك التحميلات والتكلفات التي قد تبدو من بعض المفسرين حينما يحاول أنْ ينأى بالآية إلى مرادات بعيدة عنها لأجل إيجاد المطابقة مع ما في ذهنه وما يتبناه من أفكار ويعتقده من رؤى تشكل راسباً لديه، بقوله: "وأنت بالتأمل في جميع هذه المسالك المنقولة في التفسير تجد أنَّ الجميع مشتركة في نقص وبئس النقص، وهو تحميل ما أنتجته الأبحاث العلمية أو الفلسفية من خارج على مداليل الآيات، فتبدل به التفسير تطبيقاً وسمي به التطبيق تفسيراً، وصارت بذلك حقائق من القرآن مجازات، وتنزيل عِدَّة من الآيات تأويلات، ولازم ذلك أنْ يكون القرآن الذي يُعرِّف نفسه بأنَّه هدى للعالمين ونور مبين وتبيان لكل شيء مهدياً إليه بغيره و مستنيراً بغيره ومُبَيَّنًا بغيره"[2].

كما أفاد السيد السبزواري هذه القاعدة مستدلاً بجملة من الروايات عن النبي وأهل بيته **G** أبرزها ما ورد في نهج البلاغة وهو قوله **A** :"ترد على أحدهم القضية في حكم من الأحكام فيحكم فيها برأيه، ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره، فيحكم فيها بخلافه، ثم يجتمع القضاة بذلك عند الإمام الذي استقضاهم، فيصوّب آراءهم جميعا، وإلههم واحد ونبيّهم واحد، وكتابهم واحد، أفأمرهم اللّه تعالى بالاختلاف فأطاعوه أم نهاهم عنه فعصوه..."[3].

ثم قال:"وخلاصة ما يستفاد منها على طولها أنَّ فهم القرآن لا بد وأنْ يكون أوّلاً بإرجاع المتشابه إلى المحكم وإرجاع المحكم إلى السنّة، ثم ترتيب الأثر بما يستفاد من المحكم والاعتراف بالعجز عن الفهم والدرك، وإنَّ التفسير بالرأي والعمل به بدون ذلك يستلزم الاختلال المذموم عقلاً وشرعاً"[4]

---

(١) الميزان، ١/ ١١.

(٢) الميزان، ١/ ٩،٨.

(٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السيد عبد الاعلى السبزواري (ت١٤١٢هـ)، منشورات دار التفسير، قم إيران، ط / ٥، (١٤٣١هـ-٢٠١٠ م)، ٥/ ٦٩، و نهج البلاغة، ١/ ٥٤.

(٤) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ، ٥/ ٦٩.

وأفاد من هذه القواعد في كيفية ولوج العملية التفسيرية الشيخ مكارم الشيرازي في تفسيره الأمثل إذْ قال: "أخطر طريقة في تفسير القرآن هي أنْ يأتي المفسّر إلى كتاب الله العزيز معلّماً لا تلميذاً، أي يأتي إليه ليفرض أفكاره على القرآن، وليعرض آراءه وتصوراته المتولّدة من إفرازات البيئة والتخصّص العلمي، والاتّجاه المذهبي الخاص... ونحن في منهجنا التّفسيري سوف لا ننحو بإذن الله هذا النحو، بل نتّجه بكلّ قلوبنا وأفكارنا نحو القرآن لنتتلمذ عليه لا غير"[١].

ولا يستبعد أنْ يكون هذا المنحى في تفسير القرآن الكريم بكل هذا التواضع أمامه قد استقاه المفسر من معلمي القرآن وهداته، كما لا يستبعد أنْ يكون من فيض علوم الإمام علي A في نهج البلاغة، فإنَّه أول من أسَّس ونظَّر لقواعد فهم القرآن الكريم بعد النبي k .

---

(١) الأمثل، ١/ ٨.

ثالثاً:مرجعية أهل البيت A في التفسير:

اتضح أنَّ الطريق إلى فهم القرآن الكريم غير مسدود وأنَّ البيان الإلهي والذكر الحكيم بنفسه هو الطريق الهادي إلى نفسه، إلاّ أنَّ السؤال الذي يفرض نفسه: هل يمكن ذلك لكل أحد من غير توجيه وهداية من بيانات الرسول وأهل بيته G .

والجواب على هذا السؤال تكفل به حديث الثقلين وغيره من الأحاديث ليثبت أنَّه لولا هداية هؤلاء للمنهج الذي ينبغي اتخاذه لاستخراج معارف القرآن الكريم لما أمكن ذلك.

فقد جاء قول الإمام أمير المؤمنين A مؤكداً مرجعية أهل البيت G إذ قال: وعندنا أهل البيت أبواب الحُكم وضياءُ الأمر[١] .

وقال أيضاً نحن شجرة النبوة ، ومحط الرسالة ، ومختلف الملائكة، ومعادن العلم ، وينابيع الحكم[٢].

وكذلك قوله A أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا ، كذبا وبغيا علينا أن رفعنا الله ووضعهم ، وأعطانا وحرمهم ، وأدخلنا وأخرجهم . بنا يستعطى الهدى ويستجلى العمى ، إن الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم ، لا تصلح على سواهم ، ولا تصلح الولاة من غيرهم[٣]

أبانت هذه الأقوال وأكدت أهلية أهل البيت G وأسست لمرجعيتهم الفكرية ؛ لأنهم سلالة ربيب النبوة الإمام علي A إذ إنه ربط أهل بيته G بالعلم فهم مصدره ومأواه ، لذا قال : "فالتمسوا ذلك من عند أهله فإنهم عيش العلم وموت الجهل، هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم ، وصمتهم عن منطقهم ، وظاهرهم عن باطنهم ، لا يخالفون الدين ولا يختلفون فيه ، فهو بينهم شاهد صادق ، وصامت ناطق"[٤].

---

(١) نهج البلاغة ، ١/ ٢٣٣.

(٢) نهج البلاغة ، ١/ ٢١٥.

(٣) نهج البلاغة ، ٢/ ٢٧.

(٤) نهج البلاغة ، ٢/ ٣٢.

فقد "عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية ، لا عقل سماع ورواية فإن رواة العلم كثير ورعاته قليل[١]

فكل هذه الأقوال تعني أنهم قد تمسكوا بالقرآن الكريم الذي هو مصدر كل المعارف الإلهية ، وتمثلوه حتى صار مظهراً لسلوكهم ، فهم حملة القرآن وعيبة علم الرحمن.

فهذه الروايات وغيرها أسَّست لمرجعية أهل البيت A في كل ميادين المعرفة التي في مقدمتها تفسير القرآن الكريم ، والناظر في كتاب نهج البلاغة للإمام علي A يمكنه أنْ يتلمس ذلك، فمن تلك الأُسس ما جاء في وصيته لابن عباس من أنَّ القرآن يحتمل وجوهاً، وأنَّ هناك من القرآن الكريم ما لا يُعلم ولا يُفهم إلا ببيان من أهل البيان وهم المعصومون G ، ومن القرآن الكريم ما يُفهم معناه بدون حاجة ذلك، بحسب وصية الإمام A لابن عباس إذْ إنَّ ظاهر اللفظ واضح المعنى لا ستر فيه[٢].

قال A لابن عباس عندما بعثه للاحتجاج على الخوارج: "لا تخاصمهم بالقرآن فأنَّ القرآن حمال ذو وجوه، تقول ويقولون، ولكنْ حاججهم بالسنة فأنَّهم لنْ يجدوا عنها محيصاً"[٣].

ومفاد هذا أنَّ القرآن الكريم منه ما يمكن فهمه بأدوات متاحة، ومنه ما اختص المعصوم ببيانه وآخر ما لا بد من التوقف في تفسيره ، وفي ضوء تلك الوصية أفاد ابن عباس أنَّ وجوه التفسير على أربعة أقسام: "تفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير تعرفه العرب بكلامها، وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعرفه إلا للّه عز وجل، فأما الذي لا يعذر أحداً بجهالته فهو ما يلزم الكافة من الشرائع التي في القرآن الكريم، وجمل دلائل التوحيد، وأما الذي تعرفه العرب بلسانها، فهو حقائق اللغة، وموضوع كلامهم، وأما الذي يعلمه العلماء فهو تأويل المتشابه، وفروع الأحكام، وأما الذي لا

---

(١) نهج البلاغة ، ٢/ ٢٣٢.

(٢) ظ: القرآن والعقيدة، مسلم بن حمود الحسيني الحلي، ٣/٣٧٣.

(٣) نهج البلاغة، ٣/ ١٢٦، و ظ: شرح ابن أبي الحديد، ١٨/ ٧١.

يعلمه إلاّ اللّه، فهو ما يجري مجرى الغيوب، وقيام الساعة"[١].

وقطعاً أنَّ هذا القسم لا يستوي وجهاً للتفسير ما لم يُطلع الله أمناء وحيه عليه بدليل قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً إِلاَّ مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً﴾[٢]

وأيضاً بدلالة قول الإمام A في تقسيمه لوجوه التفسير: " ... وقسما لا يعلمه إلا الله وملائكته والراسخون في العلم وإنما فعل ذلك لئلا يدعى أهل الباطل المستولين على ميراث رسول الله صلى الله عليه وآله من علم الكتاب ما لم يجعله الله لهم ، وليقودهم الاضطرار إلى الايتمام بمن ولى أمرهم"[٣].

فجعل الإمام أمير المؤمنين A هذا القسم وهو القسم الثالث من تقسيماته لكلام الله جل وعلا من مختصات الله تعالى ، ومن مختصات أُمناء وحيه، كي يستوي بذلك وجهاً من وجوه التفسير.

وأما القسم الثالث من تقسيمات أبن عباس فقد قيده الإمام A بالعالم الذي صفى ذهنه ولطف حسه، كما في قوله A : "وقسماً لا يعرفه إلا من صفا ذهنه ولطف حسه وصح تمييزه ممن شرح الله صدره للإسلام"[٤].

فجعل هذه الأمور كلها مقدمات لأدراك مراد الله تعالى ، من قبيل "لا يمسه إلا المطهرون" إذ جعل الله سبحانه وتعالى التطهيرَ مقدمةً للمس.

فليس كل عالم يدرك مضامين القرآن الكريم بمجرد علمه ، ما لم يكن مشفوعاً بالعناية واللطف الإلهيين، كي يتمكن العالم من سبر أغوار النص القرآني.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط/٢،١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م، ٢/ ١٠.

(٢) الجن ، ٢٦، ٢٧.

(٣) وسائل الشيعة، ١٨/ ١٤٣.

(٤) وسائل الشيعة، ١٨/ ١٤٣.

وفي ضوء هذا أفاد السيد الطباطبائي أنَّ: "المتعين في التفسير الاستمداد بالقرآن على فهمه وتفسير الآية بالآية، وذلك بالتدرب بالآثار المنقولة عن النبي k وأهل بيته A وتهيئة ذوق مكتسب منها ثم الورود والله الهادي"[١].

ولعله أراد بتهيئة الذوق الاستئناس بالضوابط التي وضعوها عبر الرواية الشريفة، لتوضيح معلم التفسير، ويمكن أنْ يُعدُّ ذلك البداية الأُولى التي يرتكزُ عليها البناء المعرفي الذي يحرص على أن يكون الفكر متعلقاً بكتاب الله تعالى وبيان مقاصده ومراميه ؛ لأنَّ القرآن الكريم حمال ذو وجوه وقد تختلط مفاهيم هذه الوجوه على بعض الباحثين، فلا بد إذن من الرجوع لأهل البيت A للاستئناس بما ورد عنهم من تفسير للقرآن الكريم، أو تأسيس لقواعد فهمه.

وقال أيضاً: "ثم وضعنا في ذيل البيانات متفرقات من أبحاث روائية نورد ما تيسر لنا إيراده من الروايات المنقولة عن النبي k وأئمة أهل البيت سلام الله عليهم أجمعين من طرق العامة والخاصة..."[٢]

---

(١) **الميزان**، ٣/٧٧.

(٢) **الميزان**، ١/١٢.

رابعاً: مصاحبة القرآن الكريم والانسجام مع أهدافه:

إنَّ التمثل بمعاني القرآن الكريم وترجمتها سلوكاً لهو خير وسيلة إلى الوصول إلى معانيه السامية واتخاذها قاعدة ينطلق منها الإنسان في حياته.

ولا يخفى على أحدٍ أنَّ مصاحبة الإنسان لصنعةٍ ما والعيش معها سوف تولد خبرةً وتماسكاً وتعشقاً من لدن ذلك الإنسان بصنعته ، فما بالك بالقرآن الكريم الذي هو الناصح الذي لا يغش كما وصفه الإمام أمير المؤمنين A حين قال :" "اعلموا أنَّ هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش والهادي الذي لا يضل والمحدث الذي لا يكذب وما جالس هذا القرآن أحدٌ إلا قام عنه بزيادة أو نقصان زيادة في هدى ونقصان من عمى واعلموا انَّه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة ولا لأحد قبل القرآن من غنى فاستشفوه من أدوائكم واستعينوا به على لأوائكم فإنَّ فيه شفاً من اكبر الداء وهو الكفر والنفاق والعمى والضلال فاسألوا اللّه به وتوجهوا إليه بحبه ولا تسألوا به خلقه إنَّه ما توجه العباد إلى اللّه بمثله واعلموا أنَّه شافع مُشفَّع وقائل مصدق وأنَّه من شفع له القرآن يوم القيامة شُفِّع فيه ومن محل به القرآن يوم القيامة صدق عليه فإنَّه ينادي مناد يوم القيامة ألا إنَّ كل حارث مبتلى في حرثه وعاقبة عمله غير حرثة القرآن فكونوا من حرثته وأتباعه واستدلوه على ربكم واستنصحوه على أنفسكم واتهموا عليه آراءكم واستغشوا فيه أهواكم"(١).

فانتظم ذلك الآداب التي لابد أنْ يتحلى بها المفسر، من آداب موضوعية وآداب نفسية، تتأتّى من خلال التخلق بأخلاق القرآن الكريم والعيش معه في السلوك والعمل، والانسجام مع أهدافه انسجاماً كاملاً.

فأنَّ من أراد أن يصل إلى مضامين القرآن الكريم فعليه أن يتخلق بأخلاقه ، وأن يستنصحه ، وينسجم مع أهدافه ، فإنَّ القرآن الكريم لا يغش من استنصحه، ولا يحيد به الطريق ؛ لأنه خير هاد ، لذا قال النبي الكرم عن القرآن الكريم : " ... من جعله

---

(١) نهج البلاغة، ٢/ ٩١.

أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلفه ساقه إلى النار"[١].

وقوله A "المحدث الذي لا يكذب" يعني أنَّ أصدق الحديث هو حديث القرآن الكريم ، إذ إنَّ من أراد استنطاق نصوصه على وفق ما رسمه هداه ومعلموه G فإنه الماحل المصدق كما قال رسول الله k "فإنه شافع مشفع وماحل مصدق"[٢].

وأما قوله A "وما جالس هذا القرآن أحدٌ ... " فأن هذه العبارة توحي أنَّ من جاء القرآن تلميذاً لا معلماً ، مؤمناً لا منافقاً ، ثم جالسه ورافقه فما يقوم عنه إلا بزيادة في هدى ، وأي هدى أبلغ من الاهتداء إلى مضامين القرآن والوقوف على خبايا أسراره.

فمصاحبة القرآن والانسجام معه فيه دواء من أكبر الداء وهو النفاق والعجب، فينبغي على المفسر أن يتخلق بأخلاق القرآن الكريم ، ويتوجه إليه وأن يقبل مشورته من دون مشورة نفسه، وهو قوله A : "واستنصحوه على أنفسكم واتهموا عليه آراءكم واستغشوا فيه أهواكم" أي اقبلوا مشورة القرآن دون مشورة أنفسكم.[٣]

فلا حرث أفضل من حرثه ، لذا فقد حث الإمام أمير المؤمنين A على أن نكون من أتباعه ونستدله على ربنا ونستنصحه على أنفسنا.

ولكي يعطي الإمام A على ذلك مثالاً قال : "وإنَّ الكتاب لمعي ما فارقته مذْ صحبته[٤]".

فمعية القرآن الكريم تجعل الإنسان يعيش القرآن الكريم عيشاً عملياً، ليتكيف مع مناخات الوحي، ويقف على خصائص النص الشريف فيعرف حلاله وحرامه وناسخه ومنسوخه....، وهذا لا يحصل إلاّ من خلال مصاحبة القرآن والانسجام مع أهدافه التي في مقدمتها الاهداف التربوية التي تعد باباً من أبواب التفاعل مع هذا الكتاب الكريم الذي لا يفتح كنوزه بحق إلا لمن عاشه وعايشه معايشة فعلية لا معايشة ثقافية

---

(١) الكافي ، الكليني ، ٢/ ٥٩٩ ، باب تمثل القرآن وشفاعته لأهله.

(٢) الكافي ، الكليني ، ٢/ ٥٩٩، الباب نفسه.

(٣) شرح نهج البلاغة ، أبن أبي الحديد ، ١٠/ ٢٠.

(٤) نهج البلاغة، ١/ 236.

ولا فكرية فحسب .

فالمرء لا يستطيع بمجرد فهم ألفاظ القرآن وإدراك معاني جُمَله فقط أنْ يصل إلى إدراك التفاعل النفسي الذي ينطوي عليه رجال تعايشوا مع القرآن الكريم عندما تعاملوا مع هذا السفر الخاد.

فهناك أشواق وتذوقات وإشراقات وومضات ونفحات وفتوحات لا يتوصل إليها المرء بمعرفة الألفاظ والمعاني بل لابد له من أنْ يعيش في نور تلك التذوقات والومضات ولن يكون ذلك إلاّ بالإيمان العميق النامي والعمل الصالح والخلق الحسن[1].

وفي هذا الصدد قال الشيخ محمد جواد مغنية:" اكتشفتُ من تفسيري للقرآن أنْ معانيه لا يدركها ولنْ يدركها على حقيقتها إلاّ المؤمن حقاً الذي اختلط الإيمان بدمه ولحمه.. وانسجم مع أهداف القرآن انسجاماً كاملاً، وهنا يكمن السر في قول الإمام أمير المؤمنين: ذلك القرآن الصامت، وأنا القرآن الناطق"[2].

وعلى وفق هذا فقد ذم A أُناساً عاشوا جهالاً وبين أيديهم القرآن الكريم، وهو المنبع الثر لكل المعارف التي تجعل من الإنسان إنساناً فاعلاً في محيطه، والسبب في ذلك أنَّهم لم يعيشوا القرآن الكريم على مستوى السلوك والعمل، إذْ إنَّ من لا رفقة له مع الكتاب لا رفقة له مع العلم.

---

(١) ظ: بحوث في أصول التفسير، محمد لطفي الصباغ ، طبعة: المكتب الإسلامي، ط /١، ١٤٠٨هـ ـ١٩٨٨م، ٣٤،٣٥

(٢) التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية، ١، ٣٩.

خامساً: فهم دلالات النص القرآني:

ترتبط الدلالة بالسياق الأسلوبي ؛ لأنَّ الدلالة نتاج أساليب القول ، وعليه فإنَّ من يتصدى إلى فهم معاني القرآن الكريم لا بد له أن يكون مطلعاً على خصائصه اللغوية والسياقية والفنية التي تتشابك معاً في النص القرآني حتى كان معجزة تحدى الله تعالى بها العرب.

فكما هو معلوم أنَّ القرآن الكريم نزل بلسان العرب وتحدث بحديثهم وعالج قضاياهم وعبَّر بلغتهم قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[١].

وقد تميز القرآن الكريم في خطابه وبيانه وإرشاده وبلاغته بتراكيب معينة وعبارات خاصة تتطلب فهماً واسعاً من المفسر، فقد ورد عن الإمام علي A : "وتعلموا القرآن فإنه أحسن الحديث ، وتفقهوا فيه فإنه ربيع القلوب ، واستشفوا بنوره فإنه شفاء الصدور وأحسنوا تلاوته فإنه أحسن القصص"[٢].

وكذلك وصفه للقرآن الكريم : "وكتاب الله بين أظهركم ناطق لا يعيى لسانه ، وبيت لا تهدم أركانه ، وعز لاتهزم أعوانه"[٣].

إذ يتبين هنا من كلامه A "تعلموا القرآن وتفقهوا فيه" و "ناطق لا يعيى لسانه" ، أنَّ القرآن الكريم يتميز بأساليب عالية المضامين راقية الأداء ، وعليه ينبغي على المفسر أن يكون بمستوى عال من الإحاطة بهذه الأساليب ، التي حاول تَتَبَعها العلماء قديماً وحديثاً ، إذْ إنَّ وقوف المفسر على هذه التعبيرات وهذه الخصائص يساعده على فهم دقيق لما يعرض له من آيات بينات.

فقد وقف الطاهر بن عاشور على هذه القاعدة وذكرها في المقدمة العاشرة من مقدماته التي قدم بها لتفسيره فأكَّدها ؛ لأنَّها من القواعد المهمة في فهم القرآن الكريم

---

(١) إبراهيم: ٤.

(٢) نهج البلاغة ، ١/ ٢١٦.

(٣) نهج البلاغة ، ٢/ ١٦.

واستيعاب مراده إذْ تتبع بنفسه هذا النمط من تعبيرات القرآن الكريم فوجده يمضي على طريقة مفردة فمن هذه التعبيرات على سبيل المثال: أن كلمة (هؤلاء) إذا لم يجئ بعدها عطف بيان تبين المشار إليهم فإنَّها يراد بها (المشركون من أهل مكة) كقوله تعالي: ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ﴾ [1] وقوله سبحانه: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾[2]، ومن أساليب القرآن أنَّه إذا حكى المحاورات والمجاوبات حكاها بلفظ (قال)، من دون حرف عطف إلاّ إذا انتقل من محاورة إلى أخرى[3].

وغير ذلك من الخصائص التي حفل بها أسلوب القرآن الكريم وانفراداته التي توقف القارئ والمفسر على خبر عظيم إذْ يضع يده على مفاتيح الفهم ووسائل الإدراك.

ومن الأمثلة على ذلك ما روي عن أمير المؤمنين **A** : عند تلاوتة ﴿يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾[4]، "أَدْحَضُ مَسْؤلٍ حُجَّةً وَأَقْطَعُ مُغْتَرٍّ مَعْذِرَةً لَقَدْ أَبْرَحَ جَهَالَةً بِنَفْسِهِ يَا أَيُّهَا اَلْإِنْسَانُ مَا جَرَّأَكَ عَلَى ذَنْبِكَ وَمَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ وَ مَا أَنَّسَكَ بِهَلَكَةِ نَفْسِكَ أَ مَا مِنْ دَائِكَ بُلُولٌ أَمْ لَيْسَ مِنْ نَوْمِكَ يَقَظَةٌ أَمَا تَرْحَمُ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَرْحَمُ مِنْ غَيْرِكَ فَلَرُبَّمَا تَرَى اَلضَّاحِيَ مِنْ حَرِّ اَلشَّمْسِ فَتُظِلُّهُ"[5].

قال أبن أبي الحديد المعتزلي " لقائل أنْ يقول: لو قال: ما غرك بربك العزيز أو المنتقم أو نحو ذلك لكان أولى للإنسان المعاتب أنْ يقول: غرني كرمك الذي وصفت به نفسك "[6].

---

(١) الزخرف: ٢٩.

(٢) الأنعام: ٨٩.

(٣) ظ: التحرير والتنوير، ابن عاشور، المقدمة العاشرة، ١/ ١٢٥.

(٤) الانفطار، ٦.

(٥) نهج البلاغة، ٢١٣/١.

(٦) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد،١١/ ٢٤٠، ظ : نهج البلاغة سراج الفكر وسحر البيان (بحوث المؤتمر العلمي الأول) ، عادل عباس هويدي النصراوي ، جامعة الكوفة ، ط/١ ، ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١١م ، ٢٥١/٣.

وهذا الانتزاع لا يأتي إلا من خلال معرفة معهود الخطاب القرآني وفهم دلالاته ، التي يجب أنْ تكون في حساب كل مفسر يروم مقاصد القرآن الكريم وسبر أغواره والكشف عن مداليله.

ولعل هذا ما انماز به "تفسير الميزان" إذْ لم يَفُت السيد العلامة بعد أنْ يبين الغرض الكلي للسورة أو المقطع القرآني أنْ يبين الأغراض الأُخرى التي لم تقف إلى جانب الغرض الكلي أو الأساسي.

فهو على سبيل المثال لا الحصر نجده عند تفسير سورة (الأحقاف) بعد أنْ يذكر غرض السورة وهو (إنذار المشركين الرادين للدعوة إلى الإيمان بالله ورسوله والمعاد بما فيه من أليم العذاب لمنكريه المعرضين عنه) يبين الأغراض الفرعية في السورة، وهي: أنَّ ثمة أمر غير الإنذار ملحوظ هو: الاحتجاج بأمور عقائدية هامة[١].

وهذا بحد ذاته ناجم عن إحاطة السيد العلامة بأبعاد النص القرآني ومعرفة دلالاته التي تُعدُّ ركيزة مهمة في فهم القرآن الكريم، التي أشار إليها الإمام علي **A** في بعض كلامه في نهج البلاغة.

---

(١) **ظ: الميزان**، ١٨/ ١٨٩.

سادساً: تحديد أحكام النص الروائي في التفسير والحديث:

كان للسنة المطهرة أثر كبير في بيان مغازي القرآن الكريم سواء كان ذلك على مستوى التفسير ، أو على مستوى التأسيس والتقعيد لضوابط الفهم الدقيق للقرآن الكريم ، لذا فقد وقفت السنة المطهرة إلى جانب القرآن الكريم ، وأسهمت مساهمة فاعلة في بيان الأحكام الشرعية المستنبطة من النصوص القرآنية المتمثلة بآيات الأحكام وغيرها من الآيات.

إلا أنَّ الأخذ بالسنة المطهرة يجب أن يكون وفق ضوابط وأسس ؛ لأنَّ سنة المعصوم A هي عبارة عن مفاهيم قرآنية تمثلها المعصوم فانعكست في قوله وفعله وتقريره، وعليه فهي تشترك مع القرآن الكريم من حيث النسخ وعدمه ، والإجمال والتبيين ، والإطلاق والتقييد ، والعموم والخصوص .... وما الى ذلك، فلابد إذن من معرفة أحكام النص الروائي الوارد عن المعصوم A ، ولاسيما إذا كان ذلك النص يحمل تفسيراً لبعض آيات الكتاب العزيز، لذا فقد ورد التأكيد من الإمام أمير المؤمنين A على ضرورة الإمعان في النصوص الروائية الواردة عن النبي الأكرم k ولاسيما فيما يتعلق بتفسير كتاب الله العزيز، ويظهر ذلك التأكيد من خلال جوابه A لسليم بن قيس الهلالي (ت ٨٥هـ) عندما سأله قال: إني سمعت من سلمان والمقداد وأبي ذر شيئاً من تفسير القرآن وأحاديث عن النبي k غير ما في أيدي الناس، ثم سمعت منك تصديق ما سمعت منهم، ورأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن ومن الأحاديث عن نبي الله k أنتم تخالفونهم فيها وتزعمون بأنَّ ذلك كله باطل، أفترى الناس يكذبون على رسول الله k متعمدين ويفسرون القرآن بآرائهم قال: فأقبل عليَّ وقال: قد سألت فافهم الجواب: "إنَّ في أيدي الناس حقاً وباطلاً وصدقاً وكذباً وحفظاً ووهماً وقد كذب على رسول اللّه k على عهده حتى قام خطيباً فقال: أيها الناس قد كثرت عليّ الكذابة فمن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، ثم كُذب عليه من بعده، وإنما أتاكم الحديث من أربعة ليس لهم خامس:

رجل منافق يظهر الإيمان متصنع بالإسلام لا يتأثم ولا يتحرج أنء يكذب على رسول اللّه k متعمداً....

ورجل سمع من رسول الله k فلم يحفظه على وجهه ووهم فيه، ولم يتعمد كذباً فهو في يده يقول به ويعمل به ويرويه فيقول: أنا سمعت من رسول الله k فلو علم المسلمون أنه وهم لم يقبلوه، ولو علم هو أنَّه وهم لرفضه.

ورجل ثالث سمع من رسول اللّه k شيئاً أمر به ثم نهى عنه وهو لا يعلم أو سمعه ينهى عن شيء ثم أمر به وهو لا يعلم فحفظ منسوخه ولم يحفظ الناسخ ولو علم انه منسوخ لرفضه ولو علم المسلمون إذْ سمعوه منه أنَّه منسوخ لرفضوه.

وآخر رابع لم يكذب على اللّه ولا على رسوله، مبغض للكذب خوفاً من اللّه، وتعظيماً لرسول اللّه k لم يسهُ بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به كما سمع لم يزد فيه ولم ينقص منه، وعلم الناسخ من المنسوخ فعمل بالناسخ ورفض المنسوخ، فإنَّ أمر النبي k ناسخ ومنسوخ وخاص وعام ومحكم ومتشابه، قد كان يكون من رسول اللّه الكلام له وجهان، كلام عام وكلام خاص مثل القرآن وقال اللّه عز وجل في كتابه: ﴿. . . **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾[1]، فيشتبه على من لم يعرف ولم يدر ما عنى اللّه به ورسوله، وليس كل أصحاب رسول اللّه كان يسأله عن الشيء فيفهم وكان منهم من لا يسأله ولا يستفهمه حتى كانوا يحبون أن يجيء الإعرابي والطارئ، فيسأل رسول اللّه k حتى يسمعوا ويفهموا..."[2].

فمن خلال هذا الجواب يتضح جلياً حرص الإمام **A** الشديد على توخي الدقة في التعامل مع النصوص الروائية الموروثة عن النبي k ، التي تحمل تفسيراً لبعض آيات القرآن الكريم ، فهي تمثل واحدة من القواعد التفسيرية التي أصل لها الإمام **A** في نهج البلاغة ، إذ يمكن الأفادة منها في تفسير القرآن الكريم، ولاسيما التفسير الذي

(١) الحشر: ٧.

(٢) نهج البلاغة، ٢/١٩٠، الكافي، ١/ ٦٢ ٦٤.

يعتمد الأثر مصدراً ومنهجاً ، فلا بد له من معرفة ناسخ الرواية ومنسوخها، وعامها وخاصها، ومجملها ومبينها ... وما إلى ذلك من أحكام[1].

وبحسب التتبع لمناهج المفسرين في القرن الخامس عشر الهجري لم يعثر الباحث على أثر لهذه القاعدة في تفاسيرهم سوى بعض النقد الذي وجهه السيد العلامة الطبطباطبئي لطبقة المفسرين من التابعين من أمثال (مجاهد)، و (قتادة) و (أبن أبي ليلى) و (الشعبي) و (السدي) وغيرهم في القرنين الأولين من الهجرة، إذ قال: "فإنهم لم يزيدوا على طريقة سلفهم من مفسري الصحابة شيئاً غير أنهم زادوا من التفسير بالروايات، وبينها روايات دسها اليهود أو غيرهم، فأوردوها في القصص و المعارف الراجعة إلى الخلقة كابتداء السماوات وتكوين الأرض و البحار وإرم شداد وعثرات الأنبياء وتحريف الكتاب وأشياء أخر من هذا النوع"[2].

منتقداً بذلك عملية أخذ الرواية التي تحمل تفسيراً من دون التأكد من صحة صدورها عن النبي k أو معرفة أحكامها وما يتعلق بها.

وعليه فقد أورد البحث هذه القاعدة في مؤخرة ما اورده من أسس وقواعد تفسيرية أصل لها الإمام أمير المؤمنين **A** في نهج البلاغة، نظراً لعدم اعتمادها بشكل واضح من مفسري القرن الخامس عشر الهجري.

فهذا ما توصل إليه البحث من قواعد التفسير في نهج البلاغة، ولا أدعي أنني أحطت واستخلصت كل ما أَسس له الإمام **A** في نهج البلاغة، وذلك لعظمة شخصية الإمام علي بن أبي طالب **A** . التي أنتجت هذا السفر العظيم الذي يجد الباحث نفسه أمام صعوبة كبيرة في استنطاق نصوصه وتحليلها.

---

(١) ظ : نهج البلاغة سراج الفكر وسحر البيان ، (بحوث المؤتمر العلمي الأول) ، عدي جواد الحجار، ٣٨/٥.
(٢) الميزان ، ١/ ٤.

المبحث الثاني

الشواهد التفسيرية في نهج البلاغة

بعد أن تم الحديث عن ضوابط فهم النص القرآني في نهج البلاغة ، وكيفية أفادت المفسرين منها ، يلتفت البحث إلى دراسة بعض الشواهد التفسيرية من تراث الإمام أمير المؤمنين A التفسيري الوارد ذكره في كتاب نهج البلاغة بوصفه جزء مهما من تراثه المعرفي.

فقد أخذ تفسير القرآن الكريم حيزاً كبيراً من اهتمامات الإمام علي A وكان حريصاً على إيصال تلك المضامين السامية إلى المسلمين كافة ، فكان يدعو الناس إلى أن تنهل من علمه وأن تستثمر فرصة وجوده بينهم ، حتى قال :"سلوني عن كتاب الله عز وجل ، فوالله ما نزلت آية منه في ليل أو نهار ولا مسير ولا مقام إلا وقد أقرأنيها رسول (الله صلى الله عليه وآله) وعلمني تأويلها"[(١)].

فقال ابن الكواء : يا أمير المؤمنين ، فما كان ينزل عليه وأنت غائب عنه ؟ قال : كان يحفظ على رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما كان ينزل عليه من القرآن وأنا عنه غائب حتى أقدم عليه فيقرئنيه ، ويقول لي يا علي ، أنزل الله علي بعدك كذا وكذا ، وتأويله كذا وكذا ، فيعلمني تنزيله وتأويله"[(٢)].

وعلى ضوء هذا وغيره من النصوص التي تشير إلى اهتمام الإمام علي A بتفسير القرآن الكريم ، فضلاً عن ما أَسَّسه من أُسس يمكن الولوج إلى تفسير القرآن الكريم، الأمر الذي دعا البحث إلى أن يتتبع بعض الأمثلة التفسيرية في نهج البلاغة، التي لم تجد لها محلاً مناسباً في الفصل التطبيقي الثالث كي تندرج في سياقه ، وحتى لا يبقى هناك شك يحوم حول انحصار أثر نهج البلاغة في المستويات التي سترد في الفصل الثالث.

---

(١) الاحتجاج ، ٣٨٨/١.

(٢) الآمالي ، الشيخ الصدوق ، ٥٢٣، بحار النوار ، ١٠/ ١٢٥.

وقد أثمرت هذه الأمثلة رؤى وضحت من خلالها موضوعات مختلفة ، استقى منها بعض مفسري القرن الخامس عشر الهجري مصرحين بنسبتها إلى الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب **A** ، كما سيرد عرضها.

المثال الأول:

ورد عن الإمام أمير المؤمنين A أنه قال" "كان في الأرض أمانان من عذاب الله وقد رُفع أحدهما فدونكم الآخر فتمسكوا به، أمّا الأمان الذي رُفع فرسول الله k وأمّا الأمان الباقي فالاستغفار، قال الله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾[1].

وهذا الأمر من موارد الجري والانطباق المنبثق عن قاعدة تفسير القرآن بالقرآن التي أسس لها النبي الأكرم وأهل بيه G لذا قال الإمام أمير المؤمنين A "ثم أنزل عليه الكتاب نوراً لا تُطفأ مصابيحه، وسراجاً لا يخبو توقده، وبحراً لا يدرك قدره..."[2].

فقد استعرضت هذه الخطبة أموراً ذات شأن كبير، قال عنها السيد الخوئي: "استعرضت هذه الخطبة كثيراً من الأمور المهمة التي يجب الوقوف عليها، والتدبر في معانيها، فقوله: (لا يخبو توقده) يريد بقوله هذا وبكثير من جمل الخطبة أنَّ القرآن لا تنتهي معانيه، وأنَّه غض جديد إلى يوم القيامة، فقد تنزل الآية في مورد أو في شخص أو في قوم ولكنَّها لا تختص بذلك المورد أو ذلك الشخص أو أولئك القوم فهي عامة المعنى"[3].

وقد أكدَّ الإمام الباقر A هذه القاعدة بقوله:" لو أنَّ الآية إذا أُنزلت في قوم ثم مات أولئك القوم ماتت الآية لما بقي من القرآن شيء ولكن القرآن يجري أوله على آخره ما دامت السموات والأرض ولكل قوم آية يتلونها هم منها من خير أو شر"[4].

وأفاد السيد الطباطبائي من هذا المنحى، وإنْ لم يصرح بذلك، فإنَّ من أبرز سمات "تفسير الميزان" هو تحديد موارد الجري والانطباق، فعندما يتصفح الباحث كتاب

---

(١) الأنفال، ٣٣.

(٢) نهج البلاغة، ١٧٧/٢.

(٣) البيان في تفسير القرآن، السيد الخوئي، ٢٨.

(٤) البحار، ١١٥/٨٩

"تفسير الميزان" فإنَّه يجد أنَّ مؤلفه كثيراً ما كان يقول: "وهذا من قبيل الجري والانطباق، أو أنَّه من باب "عد المصاديق"، أو أنَّه من باب "التمثيل أو ذكر المصداق الأكمل" وهكذا...، فقد فصل مورد الجري والانطباق عن المدلول المطابقي للنص القرآني[١].

ولعلَّ هذا من موارد التأثر بما ورد عن الإمام أمير المؤمنين A من التفسير بالجري والانطباق، وإنْ لم يصرحوا بذلك فالإمام A أصَّل لهذه القاعدة وكانت محور هذا المنهج عنده، فنجده يُطبق معنى الآية من القرآن الكريم على ما يقبل أنْ تنطبق عليه من الموارد وانْ كان خارجاً عن مورد النزول.

فالجري والانطباق كان معلماً بارزاً من معالم التفسير عند الإمام أمير المؤمنين A ، وهذه الأمور تمثل عينات من التأثر في نهج البلاغة، وسيأتي البحث على عينات أُخرى من التفسير.

كما أفاد من ذلك أيضاً الشيخ ناصر مكارم الشيرازي إذ قال: "فأنَّ مفهوم الآية لا يختص بمعاصري النبي k بل هو قانون عام كلي يشمل جميع الناس، لهذا فقد روي في مصادرنا عن الإمام علي A ، وفي مصادر أهل السنة عن تلميذ الإمام A أبن عباس، أنَّه قال: كان في الأرض أمانان... وقرأ هذه الآية".[٢]

---

(١) الشمس الساطعة، محمد الحسين الحسيني الطهراني، دار الأولياء، ط/٢، ٢٠٠٨م، ٦٠ ، و ظ: مناهج المتكلمين في فهم النص القرآني ، ستار جبر الأعرجي ، ٩٠ ـ ٩٤.

(٢) الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي ،٢/548 ، و ظ: نهج البلاغة سراج الفكر وسحر البيان (بحوث المؤتمر العلمي الأول)، عدي جواد الحجار، ٥، ٤٣،٤٤.

المثال الثاني:

ورد في تفسير قوله تعالى : ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[١] ، أنها من الآيات التي تطبق على الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) في آخر الزمان ، ففي تفسير الأمثل للشيخ ناصر مكارم الشيرازي: أنَّ هذه الآية هي من جملة الآيات التي تبشّر بجلاء بظهور حكومة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف)[٢].

وقد استدل على ذلك بما روي عن أمير المؤمنين A بقوله ـ أي صاحب الأمثل ـ : "ونقرأ عن أهل البيت(عليهم السلام) في تفسير هذه الآية أنّها إشارة إلى هذا الظهور العظيم ، فقد ورد في نهج البلاغة عن علي (عليه السلام) قوله: (لتعطفن الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس على ولدها)[٣]، وتلا عقيب ذلك: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾"[٤].

وفقد فسر A الآية المتقدمة في حديث آخر له : بأنها نازلة بأهل البيت A قال: "هم آل محمّد (صلى الله عليه وآله) يبعث الله مهديّهم بعد جهدهم فيعزّهم ويذل عدوّهم"[٥]

فقد بين الإمام أمير المؤمنين A مصاديق هذه الآية وهم آل محمد G وأجلى تلك المصاديق هو قائمهم المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف).

ومثل هكذا تفسير يجعل المفسر يتوخى الدقة في تحديد المصاديق الخارجية للآيات القرآن الكريم ، إذ يمكن القول أنَّ تحديد مصداق الآية أعسر مهام المفسر؛

---

(١) القصص ،٥.

(٢) ظ : الأمثل ، ١٧٥.

(٣) نهج البلاغة ، ٤/ ٤٧.

(٤) الأمثل ، ١٢/ ١٧٥، ١٧٦

(٥) الغيبة ، أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، تحقيق (ت ٤٦٠هـ): عبد الله الطهراني ، علي أحمد ناصح ، مؤسسة المعارف إسلامية ، قم المقدسة ، ط/١ ، ١٤١١هـ ، ١٨٤.

لأنَّ اختلاف المفسرين إنما كان بسبب تشخيص المصاديق وهذا ما صرح به السيد الطباطبائي في مقدمة تفسيره الميزان، قال:"وكيف كان فهذا الاختلاف لم يولده اختلاف النظر في مفهوم اللفظ المفرد أو الجملة بحسب اللغة والعرف العربي الكلمات أو الآيات، فإنما هو كلام عربي مبين لا يتوقف في فهمه عربي ولا غيره ممن هو عارف باللغة وأساليب الكلام العربي، وليس بين آيات القرآن وهي بضع آلاف آية، آية واحدة ذات إغلاق وتعقيد في مفهومها بحيث يتحير الذهن في فهم معناها، وكيف وهو أفصح الكلام، ومن شرط الفصاحة خلو الكلام عن الإغلاق والتعقيد، حتى أنَّ الآيات المعدودة من متشابه القرآن كالآيات المنسوخة وغيرها، في غاية الوضوح من جهة المفهوم، وإنّما التشابه في المراد منها وهو ظاهر، وإنما الاختلاف كل الاختلاف في المصداق الذي ينطبق عليه المفاهيم اللفظية من مفردها ومركبها، وفي المدلول التصوري والتصديقي".[١]

لذا يمكن القول إنَّ الصفات أبلغ من الأسماء ؛ لأنَّ الصفات هي عبارة عن كلمات تصف شخص، أو شيء معين أو ضمير معين عن طريق الكلمات الوصفية أو النعتية، فهي عبارة عن محددات يتم من خلالها تحديد الموصوف وتشخيص المصاديق أكثر من الأسماء.

لأنَّ الأسم قد يشترك مع أسم آخر فيحصل الإجمال، أما في الأوصاف المختصة فيحصل الانصراف والانطباق على الشخص أو الشيء أو الضمير الجامع لتلك الأوصاف، لاسيما إذا كانت تلك الأوصاف لا تنطبق إلاّ على الشخصيات الاستثنائية ، من أمثال أهل بيت الرحمة G .

ومن ألأمثلة الأخرى ما روي عنه A عند تلاوته: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾[٢].

---

(١) الميزان، ٩/١.

(٢) النور ، ٣٧.

قال: "وإنَّ للذكر لأهلاً أخذوه من الدنيا بدلاً فلم يشغلهم تجارة ولا بيع عنه يقطعون به أيام الحياة، و يهتفون بالزواجر عن محارم الله في أسماع الغافلين، ويأمرون بالقسط ويأتمرون به وينهون عن المنكر وينتهون عنه كأنما قطعوا الدنيا إلى الآخرة وهم فيها فشاهدوا ما وراء ذلك فكأنما اطلعوا غيوب أهل البرزخ في طول الإقامة فيه، وحققت القيامة عليهم عذابها فكشفوا غطاء ذلك لأهل الدنيا حتى كأنهم يرون ما لا يرى الناس و يسمعون ما لا يسمعون[١].

فقد أوضح **A** أن مصاديق هذه الآية هم رجال أذا حضر وقت الصلاة تركوا التجارة وانطلقوا إلى الصلاة وهم أعظم أجرا ممن لم يتجر.، أي لم يتجر واشتغل بذكر الله كما في روايات أخر.[٢]

---

(١) نهج البلاغة ، ٢١١، ٢١٢.

(٢) ظ: الميزان ، ١٥/ ١٤٣.

المثال الثالث:

ورد في تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسلام وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللهِ فَإِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[1]

أنَّ الدِين في الأصل بمعنى الجزاء والثواب، ويطلق على الطاعة والإنقياد للأوامر، والدين في الإصطلاح : مجموعة العقائد والقواعد والآداب التي يستطيع الإنسان بها بلوغ السعادة في الدنيا، وأن يخطو في المسير الصحيح من حيث التربية والأخلاق الفردية والجماعية.

وأما الإسلام : يعني التسليم، وهو هنا التسليم لله تعالى ، وعلى ذلك، فإنّ معنى ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسلام﴾: إنّ الدين الحقيقي عند الله هو التسليم لأوامره وللحقيقة.

وفي الواقع لم تكن روح الدين في كلّ الأزمنة سوى الخضوع والتسليم للحقيقة ، وإنّما أطلق اسم الإسلام على الدِين الذي جاء به الرسول الأكرم A لأنّه أرفع الأديان.[2]

أفاد هذا المعنى الشيخ مكارم الشيرازي في تفسيره للآية أعلاه من بيان الإمام علي بن أبي طالب A ووصفه بالمعنى العميق ، إذ قال: "وقد أوضح الإمام علي (عليه السلام) هذا المعنى في بيان عميق فقال : «لأنسبنّ الإسلام نسبة لم ينسبها أحد قبلي: الإسلام هو التسليم، والتسليم هو اليقين، واليقين هو التصديق، والتصديق هو الإقرار، والإقرار هو الأداء، والأداء هو العمل[3].

فالإمام في كلمته هذه يضع للاسم ستّ مراحل، أولاها التسليم أمام الحقيقة، ثمّ يقول إنّ التسليم بغير يقين غير ممكن (إذ أنّ التسليم بغير يقين يعني الإستسلام الأعمى، لا التسليم الواعي) ثمّ يقول إنّ اليقين هو التصديق (أي أنّ العلم وحده

---

(١) آل عمران ، ١٩.

(٢) الأمثل ، ناصر مكارم الشيرازي ، ٢/ ٤٢٩.

(٣) نهج البلاغة ، ٤/ ٢٩.

لايكفي، بل لابدّ من الاعتقاد والتصديق القلبيّين) والتصديق هو الإقرار (أي لا يكفي أن يكون الإيمان قلبيّاً فحسب، بل يجب إظهاره بشجاعة وقوّة)، ثمّ يقول إنّ الإقرار هو الأداء (أي أنّ الإقرار لا يكون بمجرّد القول باللسان، بل هو إلتزام بالمسؤولية) وأخيراً يقول إنّ الأداء هو العمل (أي إطاعة أوامر الله وتنفيذ البرامج الإلهية) لأنّ الالتزام وتحمّل المسؤولية لا يعنيان سوى العمل، أمّا الذين يسخّرون كلّ قواهم وطاقاتهم في عقد الجلسات تلو الجلسات وتقديم الإقتراحات وما إلى ذلك من الأُمور التي لا تتطلّب سوى الكلام فلا هم تحمّلوا إلتزاماً ولا مسؤولية، ولا هم وعوا روح الإسلام حقّاً هذا أجلى تفسير للإسلام من جميع جوانبه"[١].

---

(١) الأمثل ، ناصر مكارم الشيرازي ، ٢/ ٤٢٩.

المثال الرابع:

قوله تعالى: ﴿**فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ**﴾[1].

تعددت الآراء حول معنى خيفة موسى، إذ نقل السيد الطباطبائي بعض الآراء فيها.

فقد قيل: إنَّه خاف أن يلتبس الأمر على الناس فلا يميزوا بين آيته وسحرهم للتشابه فيشكوا ولا يؤمنوا ولا يتبعوه ولم يكن يعلم بعد أن عصاه ستلقف ما يأفكون.

وقيل: إنه خاف أن يتفرق الناس بعد رؤية سحرهم ولا يصبروا إلى أن يلقي عصاه فيدعي التساوي ويخيب السعي[2].

ثم قال السيد الطباطبائي: "وكيفما كان يظهر من إيجاسه (عليه السلام) خيفة في نفسه أنهم أظهروا للناس من السحر ما يشابه آيته المعجزة أو يقرب منه وإن كان ما أتوا به سحراً لا حقيقة له وما أتى به آية معجزة ذات حقيقة وقد استعظم الله سحرهم إذ قال: ﴿. . . **فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ**﴾[3]".

وهكذا فقد تعدد الآراء في معنى الخيفة لإطلاق اللفظ ، وبالرجوع إلى كتاب نهج البلاغة نلمح أنَّ الإمام علي A قد أوضح معنى الخيفة بقوله: " لم يوجس موسى خيفة على نفسه أشفق من غلبة الجهال ودول الضلال"[4].

فقد بين A أنَّ خيفة موسى A ليس على أطلاقها ، وإنما من غلبة الجهال واستيلائهم على الأمور .

وقد أفاد هذا المعنى السيد العلامة في تفسيره الميزان بقوله : وفي نهج البلاغة: " قال (عليه السلام): لم يوجس موسى خيفة على نفسه بل أشفق من غلبة الجهال ودول الضلال ، أقول: معناه ما قدمناه في تفسير الآية"[1].

---

(١) طه ، ٦٧.

(٢) ظ: الميزان ، ١٤/ ١٧٨.

(٣) الأعراف، ١١٦، الميزان ، ١٤/ ١٧٨.

(٤) نهج البلاغة ، ١/ ٣٩.

وقد تقدم الكلام أنَّ المفسر كي يتمكن من ولوج التفسير لابد له من جملة علوم مساعدة منها على سبيل المثال لا الحصر معرفة العام والخاص، والمجمل والمبين... وغيرها مما تقدم الكلام حولها، ومن تلك العلوم معرفة المطلق والمقيد، فالمطلق هو الدال على الماهية بلا قيد، وهو مع المقيد كالعام مع الخاص[٢].

لذا فأنَّ المفسر يحتاج إلى معرفة هذا النوع من العلم حتى لا يقع في مزالق التفسير الخاطئ؛ لأنَّ عدم تقييد بعض النصوص قد يستلزم الإساءة للذات الإلهية، أو لشخص نبي من الأنبياء او يؤدي إلى الخطأ في استنباط الأحكام الشرعية ... وما إلى ذلك ، فلا بد من صرف الذهن من اللفظ إلى بعض معانيه أو بعض أصنافه حتى يمنع من التمسك بالإطلاق، وهذا ما أوضحه الإمام علي A في هذا المثال وغيره من الأمثله.

---

(١) الميزان ، ١٨٤/١٤.

(٢) ظ: الإتقان في علوم القرآن، ٦٠/١.

المثال الخامس:

قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ**﴾(١).

عبر القرآن الكريم عن العذاب الذي أنزله فرعون ببني إسرائيل بفعل (يَسُومُونَكُمْ) واستعمال هذا الفعل بصيغة المضارع يشير إلى استمرار العذاب، وإلى أن بني إسرائيل كانوا دوماً تحت التعذيب من قبل الفراعنة.

قال الشيخ مكارم الشيرازي في الأمثل: "من الملفت للنظر أن القرآن يسمّي ذبح الأبناء واستحياء النساء عذاباً، ولو عرفنا أن استحياء النساء يعني استبقاءهنّ، وتركهنّ أحياء، لاتضح لنا أن القرآن يشير إلى أن مثل هذا الاستبقاء المذل هو عذاب أيضاً مثل عذاب القتل"(٢).

وقد أستدل الشيخ في الأمثل على هذا المعنى بقول الإمام علي بن أبي طالب A في نهج البلاغة ، إذ قال مستدلاً: "وهذا المعنى يشير إليه الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) اذ يقول: "الْمَوتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ وَالْحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ"(٣).

فقد عد الإمام امير المؤمنين A البقاء المذل من مصاديق العذاب ، وهذا التوجه من الإمام أمير المؤمنين A هو من باب عد المصاديق للآية الكريمة ، فقد أومأ A إلى ضرورة الالتفات إلى بيان مصاديق الألفاظ العامة ، أي المصاديق المنظوية تحت المفهوم الوارد بلفظ العموم ، أو بيان مصاديق الألفاظ التي تفيد الإطلاق ، أو بيان المصداق الأعلى للآية ... وما إلى ذلك بغية الوصول إلى اقرب المعاني للنص القرآني الشريف.

---

(١) البقرة ، ٤٩.

(٢) الأمثل ، ١/ ٢٢٠، ٢٢١.

(٣) الأمثل ، ١/ ٢٢١ ، و نهج البلاغة ، ١/ ١٠.

ويعدُ هذا الأمر كما أشار البحث سابقاً من أصعب الأمور التي تواجه المفسرين عند استقراء النصوص القرآنية والوصول إلى مقاصدها، وهذا الأمر يعد من السمات البارزة في تفسير "الميزان للعلامة الطباطبائي" كما بين البحث سابقاً[1].

وقد توافرت أمثلة كثيرة في نهج البلاغة لمسائل مختلفة تصدى لها الإمام أمير المؤمنين **A** ، ولكن البحث ملتزم بمنهجية خاصة ، ولذلك توقف عند بعضها حرصاً منه لإثبات مصدرية نهج البلاغة في تفاسير الإمامية في القرن الخامس الهجري، فاكتفى بهذه الأمثلة لتأكيد تلك المصدرية من جهة ، ولإثبات أن أثر نهج البلاغة لم ينحصر في المستوى العقائدي ، والمستوى التعبدي ، والمستوى الأخلاقي ، الذي سيرد ذكره في الفصل الثالث من جهة أخرى.

---

(١) ظ : الشمس الساطعة ، محمد الحسين الطهراني ، ٦٠.

الفصل الثالث

المستويات التوظيفية لنهج البلاغة في تفاسير الإمامية

المبحث الأول: أثر نهج البلاغة في المستوى العقائدي.

المبحث الثاني: أثر نهج البلاغة في المستوى التعبدي.

البحث الثالث: أثر نهج البلاغة في المستوى الأخلاقي.

كان لخطب ووصايا ورسائل الإمام أمير المؤمنين A تأثيرها الواضح، وحضورها الواسع في منظومة المؤلفات التي جاءت من بعدها، ولم يقتصر تأثيرها على المؤلفات التي بالبلاغة وفنونها ، وإنما امتد تأثيرها إلى المؤلفات التفسيرية قديماً وحديثاً، وقد بدا هذا التأثير واضحاً عند مفسري الإمامية في القرن الخامس عشر الهجري ، سواءً على مستوى أُسس وضوابط التفسير، أو على مستوى التوظيف لخطب ووصايا ورسائل الإمام A في الكشف عن مداليل الآيات القرآنية لإثبات صحة رأي المفسر، ولاسيما المفسرون الذين اعتمدوا المنهج الأثري، أو أولئك الذين اعتمدوا منهجاً غير المنهج الأثري إلاّ أنَّ تفاسيرهم ضمت بحوثاً روائيةً عديدة كانت وظيفتها في الأعم الأغلب مؤيدة ومؤكدة لفقرات التفسير، أو لإزالة شبهة معينة، أو بيان حال بعض النصوص.

وكل تلك التفاسير كان لنهج البلاغة فيها أثرٌ ملموس، على أكثر من مستوى مثل "الميزان في تفسير القرآن" للسيد العلامة الطباطبائي، "ومواهب الرحمن في تفسير القرآن" للسيد السبزواري، "والكاشف" للشيخ محمد جواد مغنية، "والبيان في تفسير القرآن" للسيد الخوئي، "والأمثل في تفسير كتاب الله المنزل" بأشراف الشيخ مكارم الشيرازي، وغيرها من التفاسير، وسيورد البحث بعض عينات الأثر في هذه النماذج على أكثر من مستوى، مثل المستوى العقائدي، والمستوى التعبدي ، والمستوى الأخلاقي، فضلاً عن إيراد بعض الأمثلة التفسيرية الأخرى التي أثمرت قضايا أفاد منها مفسروا الإمامية في القرن الخامس عشر الهجري.

المبحث الأول

أثر نهج البلاغة في المستوى العقائدي

لقد اقتضت حكمة الخالق تعالى أنْ يرشد الإنسان إلى الجذور والأصول التي يستقي منها معارفه وينهل منها حقائق هذا الوجود ليصل من خلالها إلى المعتقدات الصحيحة السليمة من الشوائب، والبعيدة عن الانحراف، بعد أنْ منحه الله تعالى الفطرة الصافية مشعلاً يهديه إلى نور العقيدة الإسلامية الحقة، الذي أضاء بسناه ما حوله.

ومتى ما حكّم الإنسان عقله يرى أنّ العقيدة الإسلامية تشكّل نظاماً متكاملاً للحياة البشرية بمختلف أطوارها، ويرسم الطريق لكل جوانبها، وينسجم مع الفطرة الإنسانية التي تضمن تحقق حاجات الفرد الروحية ورغباته المادية بشكل متوازن ودقيق، وبما يضمن كرامته وشخصيته.

وعلى قواعد هذه العقيدة يقوم بناء الشخصية، شخصية الفرد والمجتمع، وتنتظم العلائق والروابط، وتتحدد الحقوق والواجبات، وتتحقق العدالة والمساواة.

لذا نجد أنَّ الجانب الأكبر من خطابات القرآن الكريم قد اختص بتأسيس أصول العقيدة، وإقامة صرح تصور إسلامي متكامل للمنظومة العقائدية التي لا يمكن لأي دين أنْ يكون بدونها رابطاً بين العابد والمعبود.

والأئمة **A** بوصفهم عِدل القرآن الكريم والمستنطقين والمؤهلين للكشف عن معانيه ودلالاته، كانوا أولى بتحمل مسؤولية الكشف عن أُسس العقيدة كخطوة أولى تستلزم بعدها البرهنة عليها ليتم تقديمها إلى متلقيها من أهل العقيدة أو إلى مناوئيها.

وبناءً على هذا فقد أحتل الجانب العقائدي في كتاب نهج البلاغة مساحة واسعة إذْ عُدَّ كتاب نهج البلاغة من الكتب التي حوت من مسائل التوحيد الشيء الكثير، حتى أصبحت تلك المسائل من أساسيات موضوعات نهج البلاغة، الأمر الذي جعل بعض الباحثين يصفها بأنَّها من أعجب بحوث هذا الكتاب إذْ إنَّها تقرب من حدود الإعجاز[١].

ولا غرو في ذلك ؛ لأن قسماً كبيراً من خطب وأقوال الإمام علي **A** كانت مستمدة من الأصول والكليات الثابتة في القرآن الكريم ، مثل التوحيد ، وتوحيد الصفات ، والعدل ، والجبر والتفويض ، وغيرها من أصول العقيدة الإسلامية التي احتلَّت حيزاً كبيراً من اهتمامات الإمام أمير المؤمنين **A** ، فمن تلك المسائل:

---

(١) ظ : في رحاب نهج البلاغة، مرتضى مطهري، ترجمة: هادي اليوسفي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت لبنان، ١٩٧٨م، ٣٥

أولاً :التوحيد ومعرفة الله:

يعدُّ موضوع التوحيد من المواضيع التي شغلت بال المفسرين منذ مجيء الإسلام وإلى يومنا هذا، وقد وصف القرآن الكريم منكري التوحيد بالكفر ، وتكفل بالرد على على النصارى إذْ زعموا أنَّ الله تعالى ثالث ثلاثة، بقوله تعالى:﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

وفي ضوء هذا أخذ أئمة أهل البيت G بيان معنى التوحيد ، فقد سئل الإمام أمير المؤمنين A في هذا الموضوع عدة مرات فكان يؤكد وحدانية الله تعالى ، وله في ذلك رؤية تنبثق من معرفته الصميمية بالرسالة المحمدية ، وفهمه لمعنى العبودية، ووحدانية الله .

فقد روي عنه أن إعرابياً قام يوم الجمل فقال: يا أمير المؤمنين أتقول: إنَّ الله واحد... قال: يا إعرابي إنَّ القول في أنَّ الله واحد على أربعة أقسام: فوجهان منها لا يجوزان على الله عز وجل، ووجهان يثبتان فيه، فأمّا اللذان لا يجوزان عليه فقول القائل: واحد يقصد به باب الأعداد، فهذا ما لا يجوز، لأنَّ ما لا ثاني له لا يدخل في باب الأعداد أما ترى أنَّه كفر من قال: إنَّه ثالث ثلاثة، وقول القائل: هو واحد من الناس يريد به النوع من الجنس فهذا ما لا يجوز لأنَّه تشبيه، وجل ربنا وتعالى عن ذلك، وأمّا الوجهان اللذان يثبتان فيه فقول القائل: هو واحد ليس له في الأشياء شبه، كذلك ربنا، وقول القائل: إنّه عز وجل أَحديُّ المعنى يعني به أنَّه لا ينقسم في وجود ولا عقل ولا وهم، كذلك ربنا عز وجل[2].

---

(١) المائدة، ٧٣.

(٢) ظ : التوحيد، الشيخ الصدوق، ٨٣، و ظ : الخصال، الشيخ الصدوق ، ٢، و ظ : البحار ٣/٢٠٧.

لقد أثرت هذه الرؤية في الجهد التفسيري لدى العلماء في القرن الخامس عشر الهجري ، ومنهم السيد العلامة الطباطبائي ، إذ قال في تفسير قوله تعالى : ﴿. . . وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا إِلَهٌ وَاحِدٌ. . . ﴾ إلى آخر الآية "ردٌّ منه تعالى لقولهم: ﴿ إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ﴾ بأنَّ الله سبحانه لا يقبل بذاته المتعالية الكثرة بوجه من الوجوه فهو تعالى في ذاته واحد، وإذا اتصف بصفاته الكريمة وأسمائه الحسنى لم يزد ذلك على ذاته الواحدة شيئاً، ولا الصفة إذا أضيفت إلى الصفة أورث ذلك كثرة، وتعدداً فهو تعالى أحدي الذات لا ينقسم لا في خارج ، ولا في وهم، ولا في عقل... فهو تعالى واحد في ذاته لكن لا بالوحدة العددية التي لسائر الأشياء المتكون منها الكثرات، ولا منعوت بكثرة في ذات أو اسم، أو صفة، كيف وهذه الوحدة العددية والكثرة المتألفة منها كلتاهما من آثار صنعه وإيجاده فكيف يتصف بما هو من صنعه"[١].

ثم نرى أنَّ السيد الطباطبائي لم يكتفِ بما ورد عن أمير المؤمنين A من دون الرجوع إلى نهج البلاغة لينهل من نبعه المتدفق إذْ قال: "وفي النهج : أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه لشهادة كل صفة أنَّها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنَّه غير الصفة، فمن وصف الله فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثنّاه فقد جزَّأه، ومن جزَّأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حدَّه، ومن حدَّه فقد عدَّه"[٢] ، فقد وصف كلام الإمام A بأنَّه أبدع البيان.[٣]

ثم بيّنَ المقصود من كلامه A بقوله :" ومحصل الشطر الأول من الكلام أنَّ معرفته تنتهي في استكمالها إلى نفي الصفات عنه، ومحصل الشطر الثاني المتفرع على الشطر الأول أي قوله A : فمن وصف الله فقد قرنه... إلخ، أنّ إثبات الصفات يستلزم إثبات الوحدة العددية المتوقفة على التحديد غير الجائز عليه تعالى،

---

(١) الميزان، ٦ / ٥٩.

(٢) نهج البلاغة، ١/ ١٥.

(٣) الميزان، ٦ / ٧٧.

وتنتج المقدمتان أنّ كمال معرفته تعالى يستوجب نفي الوحدة العددية منه، و ثبات الوحدة بمعنى آخر، وهو مراده A من سرد الكلام"[١].

وقال أيضاً: "أما مسألة نفي الصفات عنه فقد بينه A : "بقوله أول الدين معرفته" لظهور أنَّ من لم يعرف الله سبحانه ولو بوجه لم يَحِل بعد في ساحة الدين"[٢].

وهكذا سار السيد الطباطبائي مع كلام الإمام A في نهج البلاغة ليقف عند كل مفردة من مفردات خطابه، حتى أنَّه اقتصر في بحثه الروائي على ما ورد عنه A [٣].

ومن ثمَّ عطف قائلا:" وهذا الذي فسرنا به هذا العقد من كلامه A هو الذي يؤيده أول الخطبة حيث يقول: الذي لا يدركه بُعْدُ الهمم، ولا يناله غوص الفطن، الذي ليس لصفته حد محدود، ولا نعت موجود، ولا وقت معدود، ولا أجل ممدود، على ما يظهر للمتأمل الفطن"[٤].

وهناك كلمة للسيد الطباطبائي في حقيقة التوحيد تظهر للقارئ حجم الأثر الذي تركه نهج البلاغة في هذا التفسير وهي قوله: "ولم نجد ما يكشف عنها غطاءها ـ أي حقيقة التوحيد ـ إلا ما ورد في كلام الإمام علي بن أبي طالب عليه أفضل السلام خاصة، فإنَّ كلامه هو الفاتح لبابها، والرافع لسترها وحجابها على أهدى سبيل وأوضح طريق من البرهان، ثم ما وقع في كلام الفلاسفة الإسلاميين بعد الألف الهجري، وقد صرحوا بأنَّهم إنّما أفادوا من كلامه A ، وهذا هو السر في اقتصارنا في البحث الروائي على نقل نماذج من غرر كلامه A ، لأنَّ السلوك في هذه المسألة وشرحها من مسلك الاحتجاج البرهاني لا يوجد في كلام غيره A "[٥].

---

(١) الميزان، ٦ / ٧٧.

(٢) الميزان، ٦/ ٧٧.

(٣) ظ : الميزان، ٦/ ٧٦ ـ ٨٦.

(٤) الميزان، ٦/ ٧٨، و ظ : نهج البلاغة، ١/ ١٤

(٥) الميزان، ٦/ ٨٧.

فنراهُ يعقدُ فصلاً كاملاً يقف به عند كلام الإمام **A** شارحاً له، وآخذاً منه ما يقيمُ صرحاً من التصور عن معنى توحيد الذات المقدسة، إذْ إنَّه لم يجد ما يكشف عن تلك الحقائق غطاءها سوى كلام الإمام علي **A** .

ثانياً: كيفية "كلام الله" سبحانه:

قد ألجأت الفطرة الإنسان أنْ يسلك إلى الدلالة على الضمير من طريق الصوت المعتمد على مخارج الحروف من الفم، ويجعل الأصوات المؤلفة والمختلطة علامات دالة على المعاني المكنونة في الضمير التي لا طريق إليها إلا من جهة العلائم الاعتبارية الوضعية، فالإنسان محتاج إلى التكلم من جهة أنَّه لا طريق له إلى التفهيم والتفهم إلا جعل الألفاظ والأصوات المؤتلفة علائم جعلية وأمارات وضعية، ولذلك كانت اللغات في وسعتها دائرة مدار الاحتياجات الموجودة[١].

وليس البحث في مصاف التنظير إلى مسألة أولية كلام الإنسان ، وإنما البحث بصدد مسألةٍ أثارت تساؤلات عديدة هي وقوع التكليم منه سبحانه وتعالى لبعض الناس فقوله تعالى: ﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ**. . .﴾[٢] وكذلك قوله تعالى :﴿. . . **وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيما**﴾[٣] يدُّل على وقوع التكليم منه لبعض الأنبياء.

وهذه المسالة أثارت تساؤلات عديدة حول كيفية كلامه سبحانه، وقد كشف الإمام أمير المؤمنين **A** اللثام عن حقيقة هذه المسألة فيما روي عنه في نهج البلاغة قوله : إذْ قال : "الذي كلم موسى تكليماً، وأراه من آياته عظيماً، بلا جوارح، ولا أدوات، ولا نطق، ولا لهوات..."[٤].

كما أنَّه **A** أوضح هذا المعنى بصورة عامة ، وليس فقد فيما يتعلق بكلام الله تعالى لموسى **A** في خطبة إذ قال : "متكلم لا بروية، مريد لا بهمة"[٥].

وقد فسر الإمام الرضا **A** مضمون هذا الأمر فيما يرويه عنه صفوان بن يحيى قال: سأل أبو قرة الإمام الرضا **A** فقال: أخبرني جعلت فداك عن كلام الله

---

(١) ظ : الميزان، ٢/ ٢٦٨.

(٢) البقرة، ٢٥٣.

(٣) النساء ، ١٦٤.

(٤) نهج البلاغة، ٢/ ١٨٩.

(٤) نهج البلاغة، ٢/ ٩٩.

لموسى فقال: الله أعلم بأي لسان كلمه بالسريانية أم بالعبرانية، فأخذ أبو قرة بلسانه فقال: إنما أسألك عن هذا اللسان فقال أبو الحسن A : سبحان الله عما تقول ومعاذ الله أنْ يشبه خلقه أو يتكلم بمثل ما هم متكلمون ولكنه سبحانه ليس كمثله شيء ولا كمثله قائل فاعل، قال: كيف قال : كلام الخالق لمخلوق ليس ككلام المخلوق، لمخلوق ولا يلفظ بشق فم ولسان، ولكن يقول له كن فكان، بمشيئته ما خاطب به موسى من الأمر والنهي من غير تردّد في نفس الخبر[١].

ولم تغب هذه المسألة الهامة عن مفسري الإمامية في القرن الخامس عشر الهجري ، فقد قال السيد الطباطبائي: "فإنَّه تعالى أجلُّ شأناً وأنزه ساحةً أنْ يتجهز بالتجهيزات الجسمانية، أو يستكمل بالدعاوي الوهمية الاعتبارية وقد قال تعالى:﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾[٢]، لكنه سبحانه فيما ذكره من قوله : ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ**﴾[٣]، يثبت لشأنه وفعله المذكور حقيقة التكليم وإنْ نفي عنه المعنى العادي المعهود بين الناس، فالكلام بحده الاعتباري المعهود مسلوب عن الكلام الإلهي لكنه بخواصه وآثاره ثابت له"[٤].

ومن هنا أثبتَ السيد العلامة أن كلامه تعالى ـ الذي يسميه الكتاب والسنة كلاما ـ صفة فعل لا صفة ذات، مستنداً في ذلك على ما ورد عن أئمة أهل البيت G ، وفي مقدمتهم الإمام أمير المؤمنين A فيما روي عنه في نهج البلاغة.

وناقش السيد السبزواري هذه المسألة في تفسيره (مواهب الرحمن) ورأى أنَّ : "كل صفة إذا صح الاتصاف بها ونفيها ــ أي الثبوت والسلب ــ كانت من صفاة الفعل ، وكل صفة لا يمكن سلبها عنه عز وجل فهي صفة الذات ، والتكلم مما يمكن سلبه

---

(١) ظ : الاحتجاج، الطبرسي، ٢/ ١٨٥، و ظ : حياة الإمام الرضا، الشيخ باقر شريف القرشي، انتشارات : سعيد بن جبير ـ قم ، ١٣٧٢ ش، ١٣٠.

(٢) الشورى، ١١.

(٣) الزخرف، ٥١.

(٤) الميزان، ٢/ ٢٦٨.

عنه عز وجل ، وإثباته له تعالى ، فهو من صفات الفعل ، قال تعالى :﴿. . . **وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيما**﴾[١] ، وقال تعالى : ﴿. . . **وَلا يُكَلِّمُهُمْ اللَّهُ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ** . . .﴾[٢] ، فهو كالرزق والهداية وغيرها من صفات الفعل التي يصح الاتصاف بها ونفيها من دون أن يلزم محذور في البين، وفعله حادث ، فالتكلم حادث"[٣].

وعلى وفق ذلك فأن السيد السبزواري يعقب على قوله تعالى : ﴿. . . **مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ**. . .﴾[٤] أنه: "يدل على ثبوت صفة التكليم له مع بعض الأفراد ، وقد ورد ما يدل على وقوع التكليم منه عز وجل في موارد أربعة:

أحدها: المقام ، والثاني: في قوله تعالى :﴿. . . **وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيما**﴾[٥]، والثالث في قوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ** . . . ﴾[٦]، والرابع في قوله تعالى : ﴿. . . **إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي** . . . ﴾[٧] ، ولقد حضي موسى A بهذه الفضيلة السامية والموهبة العظمى في جميع تلك الموارد"[٨].

وقد كان لنهج البلاغة أثر واضح في تحفيز أذهان المفسرين ، ومنهم السيد السبزواري في التقاط هذه الشذرات الجميلة ، إذ ظهر ذلك جلياً من استدلال المفسر بقول الإمام علي A فقد قال في (المواهب) :" في نهج البلاغة في خطبة له A : "متكلم لا بروية، مريد لا بهمة"[٩] ، ثم استدل بالخطبة الأخرى إذ قال : وفيه أيضاً في

---

(١) النساء ، ١٦٤.
(٢) آل عمران ، ٧٧.
(٣) مواهب الرحمن ، ٤/ ٢٠٢.
(٤) البقرة، ٢٥٣.
(٥) النساء ، ١٦٤.
(٦) العراف ، ١٤٣.
(٧) العراف ، ١٤٤.
(٨) مواهب الرحمن ، ٤/ ١٩٥.
(٤) نهج البلاغة، ٢/ ٩٩.

خطبـة لـه A : "الـذي كلـم موسـى تكليمـاً، وأراه مـن آياتـه عظيمـاً، بـلا جـوارح، ولا أدوات، ولا نطق، ولا لهوات..."[١] ، فقد أماط اللثام عن هذه المسالة ، وعضد رأيه بما بما ورد عن الإمام أمير المؤمنين A .[٢]

أذن كان لتلك الشذرات الجميلة من كلام الإمام A حضور واضح في تفاسير الإمامية ، في القرن الخامس عشر الهجري مع تفاوت في عملية التوظيف والاستدلال.

---

(١) نهج البلاغة، ٢/ ١٨٩.

٢ مواهب الرحمن ، ٤/ ١٩٤.

ثالثاً:استحالة رؤية الله تعالى:

وقف الباحثون عند مسألة رؤية الله تعالى ، وهل أنَّ المراد منها الرؤية القلبية، أم الرؤية البصرية ، ولا شك أنَّ الله منزه عن ملاحظة العيون ، وقد أسهم القرآن الكريم في تثوير هذا المعنى عند المفسرين ،إذْ قال تعالى: ﴿. . . **قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[١].

فضلاً عن قوله تعالى: ﴿**مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى**﴾[٢]، فقد ورد عن الإمام أمير المؤمنين **A** في نهج البلاغة بأنَّه تعالى : "لا تدركه العيون بمشاهدة العيان ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان"[٣].

وقد أفاد المفسرون من هذه الرؤية للإمام أمير المؤمنين **A** فأودعوا تفاسيرهم تلك الإفادات المستنبطة والمنبثقة من رؤيتة **A** فقد قال السيد الطباطبائي: "أنَّه تعالى يُثبت في كلامه قسماً من الرؤية والمشاهدة وراء الرؤية البصرية الحسية، وهي نوع شعورٍ في الإنسان يشعر بالشيء بنفسه من غير استعمال آلة حسية أو فكرية، وإنَّ للإنسان شعوراً بربه غير ما يعتقد بوجوده من طريق الفكر واستخدام الدليل بل يجده وجدانا من غير أنْ يحجبه عنه حاجب، ولا يجره إلى الغفلة عنه إلا اشتغاله بنفسه وبمعاصيه التي اكتسبها، وهي مع ذلك غفلة عن أمر موجود مشهود، ثم يقول بعد بيان طويل: "هذا ما بيَّنَهُ كلامه سبحانه، ويؤيّدهُ العقل بساطع براهينه، وكذا ما ورد من الأخبار عن أئمة أهل البيت **G** "[٤].

---

(١) الأعراف، ١٤٣.

(٢) الطور،١١.

(٣) نهج البلاغة، ٢/ ٩٩.

(٤) الميزان، ٨ / ٢٠٠ ، ٢٠١.

ومن جملة تلك الأخبار التي أسهمت في تحفيز عقل المفسر ، قول الإمام علي A على ما في النهج :" لم تره العيون بمشاهدة الأبصار، ولكن تراه القلوب بحقائق الإيمان"[١].

وجلي هذا التأثر برؤية الإمام أمير المؤمنين A إذ لولا بيانات أهل البت G لم تتضح هذه المعارف الإلهية بهذه الصورة وبهذا الوضوح الذي كان بمثابة مشعل هداية ينير الطريق لسالكي هذه المعارف الإلهية ، إذ إنه A نفى عن الذات المقدسة ما لا يليق بها وهي الرؤية البصرية ، وأثبت ما يتناسب ومقام النبوة وهي الرؤية القلبية ، وكانت هذه الفكرة ظاهرة بتأثيرها في آراء المفسرين.

---

(١) ظ : الميزان،٢١١٩/٨، و البلاغة، ١/ ٤٧٤.

رابعاً: الجبر والتفويض:

من المؤكد أنَّ الثواب والعقاب لا يتعلقان إلاّ بالفعل الاختياري، فلو أنَّه سبحانه أجبر عباده على الطاعات أو المعاصي لم يكنْ جزاء المطيع بالجنة، والعاصي بالنار إلا جزافاً في مورد المطيع، وظلماً في مورد العاصي، والجزاف والظلم قبيحان عند العقلاء، ولزم الترجيح من غير مرجح، وهو قبيح عندهم أيضاً، ولا حجة في قبيح، إذ قال عزَّ من قائل: ﴿. . . لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2].

وقد وقف المسلمون عند هذه المسألة بالبحث والنقاش ، وقد اختلفوا في مسألتي الجبر والتفويض ، وجاء المفسرون من اتباع مدرسة أهل البيت G ليلاحقوا ما ورد عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب A في هذه المسألة ليكون ذلك عاملاً موجهاً لآرائهم التفسيرية ، فقد ورد عن الإمام علي A أنَّ رجلاً سأله أثناء مسيره إلى صفين ، قال : "يا أمير المؤمنين خبِّرنا عن مسيرنا هذا أبقضاء من الله وقدر ، فقال له أمير المؤمنين A : "أجل يا شيخ فو الله ما علوتم تلعة ولا هبطتم بطن واد إلا بقضاء من الله وقدر ، فقال الشيخ : عند الله أحتسب عنائي يا أمير المؤمنين فقال: مهلاً يا شيخ ظننت قضاءً لازماً وقدراً حاتماً ولو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب، وسقط الوعد والوعيد، إنَّ الله سبحانه أمر عباده تخيراً ونهاهم تحذيراً"[3].

وقد جاء أئمة أهل البيت G ليؤكدوا هذه الرؤية عن الإمام علي A في القول المشهر "لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين"[4].

وقد أفاد السيد العلامة الطباطبائي من روايات أهل البيت ومن النهج بخاصة، فقد قال في معرض كلامه عن قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ الا

---

(١) النساء، ١٦٥.

(٢) الأنفال، ٤٤.

(٣) الميزان، ١/ ٨٦، و نهج البلاغة، ٤/ ١٧.

(٤) الكافي، ١/ ١٦، باب الاستطاعة، الهداية (في الأصول والفروع)، و التوحيد ، الشيخ الصدوق ،٣٨٠.

﴿الْفَاسِقِينَ﴾[1]: "أنَّ التشريع ليس مبنياً على أساسِ الإجبار في الأفعال، فالتكاليف مجعولة على وفق مصالح العباد في معاشهم، ومعادهم أولاً، وهي متوجهة إلى العباد من حيث إنَّهم مختارون في الفعل والترك ثانياً، والمكلفون إنما يثابون أو يعاقبون بما كسبت أيديهم من خير أو شر اختياراً "[2].

مستدلاً بكلام الإمام علي A الوارد في نهج البلاغة، بل أنه لم يكتفي بإيراد النص من نصوص نهج البلاغة وإنما علق عليه بقوله "أقول: قوله : (بقضاء من الله وقدر)، إلى قوله : (عند الله أحتسب عنائي)، ليعلم أنَّ من أقدم المباحث التي وقعت في الإسلام مورداً للنقض والإبرام، وتشاغبت فيه الأنظار مسألة الكلام، ومسألة القضاء والقدر"[3].

فهو يجعل من كلام الإمام علي A مساراً فكرياً يسير به نحو الكشف عن أدق التفاصيل في الآية القرآنية ، ليعضد به رأيه التفسيري.

وهكذا فقد أفاد المفسرون من خطب وأقوال ووصايا الإمام علي A التي وردت في نهج البلاغة وأصبحت مساراً فكرياً يسير المفسرون بموجبه.

---

(١) البقرة، ٢٦.

(٢) الميزان، ١/ ٨٥.

(٣) الميزان، ١/ ٨٦.

خامساً: الحكمة من بعث الأنبياء وبيان حال الناس معهم:

١. الحكمة من بعثة الأنبياء.

مع تطور الحياة المادية البشرية بدأ الاختلاف يدب بين الناس، وبدأ بعضهم يحاول استغلال بعض،﴿فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾[١].

ليعيدوا البشرية المنحرفة إلى طريقها الصحيح، عن طريق العمل على هداية الناس ؛ لأنَّ هدي الأنبياء ولاسيما هدي نبينا الأكرم k قد اشتمل على جميع ما يرتبط بالسعادة التي هي غاية سعي الإنسان في حياته مطلقاً، فقد استدل على هذه الحقيقة السيد السبزواري في تفسيره بما ورد في نهج البلاغة من قول الإمام A : " اقتدوا بهدي نبيكم فأنَّه أفضل الهدى"[٢].

وانطلاقاً من هذه الأهمية احتل موضوع النبوة والأنبياء مساحة كبيرة من كتاب نهج البلاغة، فقد أولاه الإمام أمير المؤمنين A اهتماماً بالغاً، وعنايةً فائقةً، فقد أفرد "لبيب بيضون" في كتابه (تصنيف نهج البلاغة) فصلاً كاملاً اسماه "النبوة الأنبياء" في كلام الإمام أمير المؤمنين A [٣].

ومن أمثلة هذا الموضوع أيضاً ما روي عنه A في خطبة له يذكر فيها خلق آدم A : إذ قال "وأهبطه إلى دار البلية، وتناسل الذرية، واصطفى سبحانه من ولده أنبياء أخذَ على الوحي ميثاقهم وعلى تبليغ الرسالة أمانتهم لمّا بدّل أكثر خلقه عهد اللّه إليهم، فجهلوا حقه، واتخذوا الأنداد معه، واجتالتهم الشياطين عن معرفته، واقتطعتهم

---

(١) البقرة، ٢١٣.

(٢) مواهب الرحمن، ١٤/ ١٧٨، و نهج البلاغة،١/ ٢١٦.

(٣) ظ : تصنيف نهج البلاغة، لبيب بيضون، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، ١٤١٤هـ، ط/ ٣، ١٨٨-٢٠٣.

عن عبادته، فبعثَ فيهم رُسُلَهُ، وَواترَ إليهم أنبياءه ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكّروهم منسيّ نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ، ويثيروا لهم دفائن العقول، ويروهم الآيات المقدّرة"[١]

فقد ذكر السيد السبزواري هذه الخطبة في ذيل قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّين مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمْ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾[٢] ، بعد أن تعددت الآراء حول معنى الآية ، فقيل أن الناس كانوا امة واحدة على الضلالة ، بقرينة "﴿. . . فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّين. . .﴾ ، لأنَّ إرسال الرسل وإنزال الكتب إنما يكونان لرفع الضلالة.

وقيل أنَّ المراد من الآية المباركة انَّ الناس أمة واحدة من حيث بعض الأمور الاجتماعية الفطرية ، فلا غنى لهم عن الاجتماع والتعاون ، والاجتماع يؤدي بالطبع إلى الاختلاف والتشجار ، فلذلك بعث الله الأنبياء والمرسلين[٣].

ثم بعد ذكره لهذه الآراء أفاد السيد (رحمه الله) الحكمة من بعثة الأنبياء من قول الإمام أمير المؤمنين A الوارد في نهج البلاغة بقوله ـ أي صاحب المواهب ـ :" أقول: إنَّ هذه الخطبة تشتمل على حكمة بعث الأنبياء وإرسال الرسل G وأنّهم يدعون إلى الفطرة الإنسانية، كما أنّ الفطرة تدعو إليهم أيضاً، فهم مع الفطرة متلازمان في الواقع، ولكنّ الفطرة بوجودها الوجداني لا تكفي في نوع الإنسان للداعوية فلا بد من تكميلها بحجة خارجية، وهي الأنبياء والرسل"[٤].

ثم إنَّ المفسر وقف على بعض مفردات خطبة الإمام A بالشرح والتحليل ، الأمر الذي يظهر أهمية تلك الخطبة في بيان المراد من بعثة الإنبياء G .

---

(١) نهج البلاغة، ٢٣.

(٢) البقرة، ٢١٣.

(٣) مواهب الرحمن ، ٢٨٠

(٤) مواهب الرحمن، ٣/ ٢٩٤.

١.بيان حال الناس معهم.

توصل بعض المفسرين إلى معرفة بعض أحوال الأنبياء من خلال الاعتماد على ما جاء من بيان الإمام علي (عليه السلام) بشأنهم، ففي تفسيره لقوله تعالى:﴿**وَعَاداً وَثَمُودَا وَأَصحاَب الرّس وَقُرُونَا بَينَ ذَلِك كَثِيراً**﴾[1]، قال السيد الطباطبائي: "الرس البئر التي لم تطو ذكروا أنَّهم كانوا قوماً بعد ثمود نازلين على بئر أرسل الله إليهم رسولاً فكذبوا به فأهلكهم الله، وقيل هو اسم نهر كانوا على شاطئه وفي روايات الشيعة ما يؤيد ذلك"[2].

من تلك الروايات ما روي عن أمير المؤمنين **A** حديث طويل يذكر فيه قصة أصحاب الرس، ملخصه أنَّهم كانوا قوماً يعبدون شجرة صنوبرة على شفير عين وكان لهم اثنتا عشرة قرية معمورة على شاطئ نهر يقال له الرس وقد غرسوا في كل قرية منها من طلع تلك الصنوبرة حبة، أجروا عليها نهراً من العين التي عند الصنوبرة، وحرّموا شرب مائها على أنفسهم وأنعامهم وقد جعلوا في كل شهر من السنة يوماً في كل قرية عيداً يخرجون فيه إلى الصنوبرة التي خارج القرية يقربون إليها القرابين ويذبحون الذبائح ولما طال منهم الكفر بالله وعبادة الشجرة بعث الله إليهم رسولاً من بني إسرائيل فدعاهم إلى عبادة الله وترك الشرك فلم يؤمنوا فدعا على الشجرة فيبست فلما رأوا ذلك ساءهم فاجتمعت آراؤهم على قتله فحفروا بئراً عميقاً وألقوه فيها وشدوا رأسها فلم يزالوا عليها يسمعون أنينه حتى مات فأتبعهم الله بعذاب شديد أهلكهم عن آخرهم[3].

هذا ما نقله بعض مفسري الإمامية في تفسير هذه الآية، ومن بينهم السيد الطباطبائي معضداً ما قاله بما ورد في نهج البلاغة، من قوله **A** : "أين أصحاب

---

(١) الفرقان، ٣٨.

(٢) الميزان، ١٥/١٧٦.

(٣) ظ: علل الشرائع، الشيخ الصدوق، (ت٣٨١هـ)، تحقيق : السيد محمد صادق بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها، النجف الأشرف، ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٦م،١/٤١، ظ: البحار، ١٤/١٤٩.

مدائن الرس الذين قتلوا النبيين وأطفئوا سنن المرسلين وأحيوا سنن الجبارين"[١].

وأفاد صاحب تفسير الأمثل من خطبة الإمام A أنَّهم كان لهم أكثر من نبي لأنَّ عبارة " قتلوا النبيين" تشعر بذلك ، قال :" ومن عبارة نهج البلاغة يستفاد أنَّه كان لهم أكثر من نبيّ واحد فقط، لأنّه A يقول: "أين أصحاب مدائن الرس الذين قتلوا النبيّين، وأطفئوا سنن المرسلين، وأحيوا سنن الجبارين"[٢] . الخطبة ..

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾[٣]، قال السيد الطباطبائي: "نسبة العقر إلى الجمع ولم يعقرها إلا واحد منهم لرضاهم بفعله، وفي نهج البلاغة، (أيها الناس إنما يجمع الناس الرضا والسخط وإنما عقر ناقة ثمود رجلٌ واحدٌ فعمهم الله بالعذاب لما عموه بالرضا فقال سبحانه: ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾"[٤].

وكما نرى فقد أفاد المفسر هذا القيد من كلام الإمام علي A في نهج البلاغة ، إذ لا يخفى على كل من انعم النظر اتكاء المفسر على نص النهج آخذاً منه ما يقوي حجته في تفسير الآية.

---

(١) نهج البلاغة، ٢/ ١٠٧.

(٢) الأمثل، ٢٦٠/١١.

(٣) الشعراء، ١٥٧.

(٤) الميزان، ١٥، ٢٤٦، و نهج البلاغة، ١٨١/٢.

سادساً: المبدأ والمعاد أساس دعوة الأنبياء:

كثيرةٌ هي الآيات التي تحدثت عن المبدأ والمعاد، إذْ لفتت (سورة الفاتحة) الأنظار إلى هذا الأصل الهام من أصول الإسلام، وهو قوله تعالى : ﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدّينِ**﴾[1]، وبذلك يكتمل محور المبدأ والمعاد، الذي يعتبر أساس كل إصلاح أخلاقي واجتماعي في وجود الإنسان[2].

وهذا الموضوع تناوله القرآن الكريم بتعابير وألفاظ مختلفة، مثل القيامة، والغاشية، والواقعة ، والقارعة، والحاقة، والصّاخة، والآزفة ، والتغابن ، ويوم الفصل ، ويوم التلاقِ ... وما إلى ذلك من التعابير المختلفة.

وكل هذه التعابير وهذه الألفاظ تؤكد حقيقة رجوع الإنسان إلى ربه، إما رجوعاً غير اختياري أو اختياري ، كما ذكر السيد السبزوراي ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ**﴾[3].

والأول هو المعاد الذي دلَّت عليه جميع الكتب السماوية، خصوصاً القرآن الكريم الذي أكَّد هذا الموضوع تأكيداً بليغاً، فهو من الموضوعات التي ينبغي التأكيد عليها لأنَّ به يَثْبُت المبدأ ووحدانية الله تعالى، وإذا ثبت المبدأ ثبت المعاد لا محالة.

وأما الثاني أي الرجوع الاختياري إليه عزّ وجلّ فهو أنْ يهيئ الإنسان نفسه للحضور لدى الحي القيوم العالم بالسرائر والضمائر، حضور مجازاة لما فعل وعمل لا مطلق الحضور إذْ الجميع حاضر لديه تعالى بهذا النحو من الحضور[4].

ثم عضد تفسيره هذا بما روي عن أمير المؤمنين A في نهج البلاغة، إذْ إنَّه سمع رجلا يقول: ﴿**إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ**﴾: فقال له الإمام : "يا هذا إنَّ قولنا : إنّا للّه

---

(١) الفاتحة، ٤.

(٢) الأمثل، ١/ ٤٥.

(٣) البقرة، ٥٦ ، و ظ : مواهب الرحمن ، ٢/ ٢٢١.

(٤) ظ : مواهب الرحمن، ٢/ ٢٢١، ٢٢٢.

إقرار على أنفسنا بالملك، وقولنا: إِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ. إقرار على أنفسنا بالهلاك"[١].

وقد ذكر السيد (رحمه الله) أنَّ كلام الإمام A : يستفاد منه أنَّ هذه الجملة المباركة تشتمل على الاعتراف بالمبدأ والمعاد اللذين هما أساس دعوة الأنبياء والكتب النازلة من السماء[٢].

---

(١) ظ : مواهب الرحمن، ٢/ ٢٣٢، و نهج البلاغة، ٤/ ٢٢.

(٢) ظ : مواهب الرحمن، ٢/١٨٠

سابعاً: أوصاف القرآن وحفظه من التحريف:

١. وصف القرآن الكريم.

لا يخفى على دارسٍ حجم تأثر الإمام أمير المؤمنين A بالقرآن الكريم، فقد استحوذ الكتاب العزيز على اهتماماته، وانعكس على سلوكه وأدائه، حتى صارت علاقة بالقرآن سمة بارزة من سمات الإمام A وخصوصية واضحة من خصوصياته، وذلك ما أثبته حديث الثقلين وغيره من الأحاديث والروايات الشريفة الثابتة عن رسول وأهل بيته G التي تؤكّد على خاصيّة ذلك الرابط.

وقال أمير المؤمنين A في صفة القرآن الكريم : "ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ، نُوراً لَا تُطْفَأُ مَصَابِيحُهُ وَسِرَاجاً لَا يَخْبُو تَوَقُّدُهُ وَبَحْراً لَا يُدْرَكُ قَعْرُهُ وَمِنْهَاجاً لَا يُضِلُّ نَهْجُهُ وَشُعَاعاً لَا يُظْلِمُ ضَوْءُهُ وَفُرْقَاناً لَا يُخْمَدُ بُرْهَانُهُ وَتِبْيَاناً لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ، وَشِفَاءً لَا تُخْشَى أَسْقَامُهُ وَعِزّاً لَا تُهْزَمُ أَنْصَارُهُ وَحَقّاً لَا تُخْذَلُ أَعْوَانُهُ؛ فَهُوَ مَعْدِنُ الإيمان وَبُحْبُوحَتُهُ وَ يَنَابِيعُ الْعِلْمِ وَبُحُورُهُ وَرِيَاضُ الْعَدْلِ وَغُدْرَانُهُ وَأَثَافِيُّ الإسلام وَبُنْيَانُهُ وَأَودِيَةُ الْحَقِّ وَغِيطَانُهُ، وَبَحْرٌ لَا يَنْزِفُهُ الْمُسْتَنْزِفُونَ وَعُيُونٌ لَا يُنْضِبُهَا الْمَاتِحُونَ وَمَنَاهل لَا يَغِيضُهَا الْوَارِدُونَ وَمَنَازِلُ لَا يَضِلُّ نَهْجَهَا الْمُسَافِرُونَ وَأَعْلَامٌ لَا يَعْمَى عَنْهَا السَّائِرُونَ وَآكَامٌ لَا يَجُوزُ عَنْهَا الْقَاصِدُونَ، جَعَلَهُ اللهُ رِيّاً لِعَطَشِ الْعُلَمَاءِ وَرَبِيعاً لِقُلُوبِ الْفُقَهَاءِ ومَحَاجَّ لِطُرُقِ الصُّلَحَاءِ وَدَوَاءً لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ، وَنُوراً لَيْسَ مَعَهُ ظُلْمَةٌ وَحَبْلًا وَثِيقاً عُرْوَتُهُ وَمَعْقِلًا مَنِيعاً ذِرْوَتُهُ، وَعِزّاً لِمَنْ تَوَلَّاهُ وَسِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ وَهُدًى لِمَنِ ائْتَمَّ بِهِ وَعُذْراً لِمَنِ انْتَحَلَهُ، وَبُرْهَاناً لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ وَشَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ وَفَلْجاً لِمَنْ حَاجَّ بِهِ وَحَامِلًا لِمَنْ حَمَلَهُ وَمَطِيَّةً لِمَنْ أَعْمَلَهُ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ وَجُنَّةً لِمَنِ اسْتَلْأَمَ وَعِلْماً لِمَنْ وَعَى وَحَدِيثاً لِمَنْ رَوَى، وَحُكْماً لِمَنْ قَضَى[1]".

---

(١) نهج البلاغة، ٢/ ١٧٧.

وهذا الوصف هو أجلى الأوصاف التي وُصِفَ بها القرآن الكريم، وأنصعها، حتى أنّ السيد الخوئي عقبّ على هذا الكلام بقوله:"استعرضت هذه الخطبة كثيراً من الأمور المهمة التي يجب الوقوف عليها، والتدبر في معانيها..."[١]

وهذا الوصف للقرآن الكريم ناجمٌ من تأثر نهج البلاغة الكبير بالقرآن الكريم الذي، فقد وردت أوصاف القرآن الكريم في بعض آياته، منها قوله تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ**﴾[٢].

فقد بين الشيخ مكارم الشيرازي: أنَّ هذه الآية بيّنت أربع صفات للقرآن الكريم، هي: "الموعظة" التي هي عبارة عن التذكير بالنعم والطيبات المقترن برقة القلب، "والشفاء" والمقصود به شفاء أمراض القلوب، وبتعبير القرآن شفاء ما في الصدور، هي تلك التلوّثات المعنوية والروحية، كالبخل والحقد والحسد والجبن والشرك والنفاق وأمثال ذلك، وكلها من الأمراض الروحية والمعنوية، "والهداية " والمقصود بها تكامل ورقي الإنسان في كافة الجوانب الايجابية، "والرحمة" وهي النعم المادية والمعنوية الإلهية التي تشمل حال الأفراد اللائقين، فالرحمة متى ما نسبت إلى الله فإنّها تعني بذله وهبته للنعم، وإذا ما نسبت إلى البشر فإنّها تعني العطف ورقة القلب[٣].

ثم أتبع كلامه بما ورد عن أمير المؤمنين **A** في نهج البلاغة بقوله :" يوضح أمير المؤمنين علي **A** في كلامه الجامع في نهج البلاغة هذه الحقيقة بأبلغ تعبير، حيث يقول: "فاستشفوه من أدوائكم، واستعينوا به على لأوائكم، فإنّ فيه شفاء من أكبر الداء، وهو الكفر والنفاق، والغي والضلال"[٤].

---

(١) البيان في تفسير القرآن، السيد الخوئي، ٢٨.

(٢) يونس، ٥٧. ٥٨.

(٣) ظ : الأمثل، ٦/ ٣٨٢.

(٤) الأمثل، ٣٨٢/٦، و نهج البلاغة، ٢/ ٩١.

٢. حفظ القرآن الكريم من التحريف.

من المسائل الحيوية ذات الأهمية البالغة في حياة الرسالة الإسلامية : مسألة حفظ القرآن من التحريف، لذا فقد تصدى لهذه المسالة كبار علماء الشيعة بعد أنْ اتُّهموا بالقول بتحريف القرآن.

قال الشيخ الصدوق: "اعتقادنا أنّ القرآن الذي أنزله الله على نبيّه محمد k هو ما بين الدفتين، وهو ما في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك، ومَن نَسب إلينا أنّا نقول أكثر من ذلك فهو كاذب"[١].

وقال الشيخ الطوسي:"وأمّا الكلام في زيادته ونقصانه فما لا يليق به أيضاً؛ لأنّ الزيادة فيه مجمع على بطلانها، والنقصان منه، فالظاهر أيضاً من مذهب المسلمين خلافه، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا وهو الذي نصره المرتضى وهو الظاهر في الروايات.. ورواياتنا متناصرة بالحثّ على قراءته والتمسّك بما فيه، وردّ ما يَرِد من اختلاف الأخبار في الفروع "[٢].

وردَّ الفيض الكاشاني على هذه التهمة بعد أنْ استدلَّ على بطلانها بقوله تعالى: ﴿**وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ**﴾[٣]، وقوله جل من قائل: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[٤] إذْ قال: "فكيف يتطرّق إليه التحريف والتغيير"[٥].

---

(١) الاعتقادات في دين الإمامية، الشيخ الصدوق، (ت٣٨١هـ)، تحقيق: عصام عبد السيد، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ لبنان، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣ م، ط/٢، ٨٤، ظ : أضواء على عقائد الشيعة الإمامية، الشيخ جعفر السبحاني، مؤسسة الإمام الصادق A ـ قم، ١٤٢١هـ ، ٣٥٤.

(٢) أوائل المقالات، الشيخ المفيد، (ت ٤١٣هـ)، تحقيق : الشيخ إبراهيم الأنصاري، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ، ط/ ٢، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣ م، ١٨٧.

(٣) فصلت، ٤١، ٤٢.

(٤) الحجر، ٩.

(٥) تفسير الاصفى، الفيض الكاشاني، ١/ ٥١.

وقال أيضاً: "فإذا كان القرآن الذي بأيدينا محرّفاً، فما فائدة العرض عليه مع أنّ خبر التحريف مخالف لكتاب الله مكذّب له فيجب ردّه والحكم بفساده"[١].

فكانت هذه الآية على رأس أدلة حفظ القرآن من التحريف، فقد استدل الشيخ مكارم الشيرازي بهذه الآية على صيانة القرآن الكريم من التحريف، ثم أتبع استدلاله هذا بما ورد عن أمير المؤمنين A في نهج البلاغة في أكثر من خطبة إذْ قال: "وخطب الإمام علي A في نهج البلاغة خير شاهد ينطق بهذا الإدعاء، فنقرأ في خطبته : (وكتاب اللّه بين أظهركم، ناطق لا يعيا لسانه، وبيتٌ لا تهدم أركانه، وعزٌ لا تهزم أعوانه)[٢]، ويقول في موضع آخر:(واعلموا أنّ هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش، والهادي الذي لا يضل...)[٣]، ونطالع قوله A في الخطبة المذكورة نفسها:(وما جالس هذا القرآن أحدٌ إلا قام عنه بزيادة أو نقصان: زيادة في هدى، أو نقصان من عمى)[٤]، ونتابع الخطبة نفسها حتى نصل لقوله A : (وإنّ اللّه سبحانه لم يعظْ أحداً بمثل هذا القرآن، فإنَّه حبل اللّه المتين، وسببه الأمين)[٥]، ونقرأ في الخطبة: (ثمّ أنزل عليه الكتاب نوراً لا تطفأ مصابيحه، وسراجاً لا يخبو توقده... ومنهاجاً لا يضل نهجه... وفرقاناً لا يُخمد برهانه)[٦]، وأمثال ذلك كثير في كلام الإمام علي والأئمة G "[٧].

وهكذا نرى أن المفسر لم يكتفي بقول واحد ، أو خطبة واحدة من خطب الإمام علي A بل عرض لكل ما له علاقة بالآية من كلام الإمام علي A بغية الوصول إلى أقرب المعاني.

---

(١) تفسير الاصفى، ١/ ٥١.
(٢) نهج البلاغة، ٢ / ١٧.
(٣) نهج البلاغة، ٢/ ٩١.
(٤) نهج البلاغة، ٢/ ٩١.
(٥) نهج البلاغة، ٢/ ٩١.
(٦) نهج البلاغة ، ٢/ ١٧٧.
(٧) الأمثل، ٨/ ٢٦.

وغير ذلك من الشواهد المبثوثة في تفاسير الإمامية التي تبلغ العشرات، بل أكثر إذْ ليس بوسع البحث عرضها جميعها؛ لأنَّ ذلك يستلزم وقتاً كبيراً وتطويلاً لا مسوغ له، فغاية ما أراد البحث إثباته هو أنّ لنهج البلاغة أثراً في تفاسير الإمامية على هذا المستوى، إذْ مثل هذا الأثر حالة شاخصة لا يمكن الاستغناء عنها، فقلما تجد مفسراً لا يعتمد على نهج البلاغة في التفسير أو الاستشهاد، أو دفع لإشكال من الإشكالات وما إلى ذلك.

المبحث الثاني

أثر نهج البلاغة في المستوى التعبدي

تُعدُّ العبادة من أعظم أسباب الثبات على الدين، ولهذا قال الله (جل وعلا): ﴿**وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخرجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلاّ قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً**﴾[١].

لذا فإنَّ من أصول تعاليم الأنبياء والمرسلين عبادة الله الواحد الأحد، وترك عبادة كل شيء سواه، ولم تخلُ تعاليم أي نبي من ذلك، مع اختلاف في كيفية أدائها بين ديانة وأُخرى.

علماً أنَّ الناس لا يستوون في فهم العبادة بل يختلفون في ذلك، فهي عند بعضهم نوع من المعاملة والمعاوضة التي يقع بها التبادل بين العمل والأجر عليه، هذا هو نوع من التصور الجاهل للعبادة عند العوام[٢].

والتصور الآخر عن العبادة هو تصور العارفين بالله سبحانه، فالعبادة عند هؤلاء قربان الإنسان ومعراجه وتعاليمه وصعوده إلى مشارق أنوار الوجود، وهي تربية روحية ورياضة للقوى الإنسانية، وهي ساحة انتصار الروح على البدن، وأسمى مظاهر شكر الإنسان لمبدأ الخلقة ومعيدها، وهي مظهر حب الإنسان للكامل المطلق والجميل على الإطلاق، وهي مسيرة الإنسانية إلى الكمال اللانهائي.

ومما لا شك فيه أنَّ مصاديق العبادة متعددة، لذا فإنَّ المتأمل في كتاب نهج البلاغة يلحظ أنَّه تناول مصاديق كثيرة، وسيأتي البحث على بعض منها نظراً لكثرتها إذْ أنَّ ذكرها يتطلب وقتاً كبيراً، فمن تلك المصاديق:

---

(١) النساء، ٦٦.

(٢) ظ : شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد، ١٩/ ٦٨.

أولا: مراتب العبادة:

لعلَّ أجلى مصاديق العبادة وأنصع صورها تلك الصورة التي رسمها الإمام أمير المؤمنين A في نهج البلاغة، إذ إنَّ كلام الإمام يُعدُّ منبع الإلهام لتصور العارفين بالله تعالى من العبادة في الإسلام بعد القرآن الكريم وسنة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) هو كلام الإمام A .

قال A مشيراً إلى مراتب العبادة: "إنَّ قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار، وإنَّ قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وإنَّ قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار "[1].

والمرتبة الثالثة مقام جليل تقاصرت عنه قوى كثير من البشر وهي شكر مخصوص، فإذا أوقعها على هذا الوجه كانت بحق عبادة الأحرار[2].

وقد عبر A عنها في موضع آخر بقوله: "إلهي ما عبدتك حين عبدتك خوفاً من نارك، ولا طمعاً في جنتك، بل وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك[3]".

وقد أفاد السيد العلامة من كلام الإمام أمير علي A في نهج البلاغة بحسب هذه المراتب، في تفسير قوله تعالى ﴿**إياك نعبد**﴾[4] إذ إنه أومأ إلى الأصناف التي ذكرها الإمام A ، إذ قال مشيراً إلى ما يتعلق بالعبد : "وأما من من جانب العبد، فأن يكون عبادته عبادة عبد حاضر من غير أن يغيب في عبادته فيكون عبادته صورة فقط من غير معنى وجسداً من غير روح أو يتبعض فيشتغل بربه وبغيره، إما ظاهراً وباطناً كالوثنيين في عبادتهم لله ولأصنامهم معا أو باطناً فقط كمن يشتغل في عبادته بغيره تعالى بنحو الغايات والأغراض كأن يعبد الله وهمه في غيره، أو يعبد الله طمعاً في جنة أو خوفاً من نار فإن ذلك كله من الشرك في العبادة الذي ورد عنه النهي، قال

---

(١) نهج البلاغة، ٤/ ٥٣.

(٢) ظ : شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ١٩/ ٦٨.

(٣) الألفين، العلامة الحلي، ١٣٨، ظ : مصباح الفقيه، آقا رضا الهمداني، (ت ١٣٢٢)، منشورات مكتبة الصدر ـ طهران (د. ت)، طبعة حجرية، ١٠٢.

(٤) الفاتحة، ٥.

تعالى: ﴿فَاعْبُدْ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ﴾[١] وقال تعالى: ﴿أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾[٢]، فالعبادة إنما تكون عبادة حقيقة، إذا كان على خلوص من العبد وهو الحضور الذي ذكرناه"[٣]

ويتبين من خلال هذا النص التفسيري أن صاحب الميزان قد أفاد من قول الإمام أمير المؤمنين علي A الذي ورد ذكره في مراتب العبادة ، إذ أورد في تفسيره قول الإمام علي A "إنَّ قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار، وإنَّ ...."[٤]، وأومأ من خلاله إلى هذه المراتب.

وأفاد السيد الخوئي هذه المراتب أيضاً من تقسيم الإمام أمير المؤمنين A في نهج البلاغة، عند تفسيره لسورة (الحمد) إذْ قال:" العبادة فعل اختياري، فلا بد لها من باعث نفساني يبعث نحوها، وهو أحد أمور:

١. أن يكون الداعي لعبادة الله هو طمع الإنسان في أنعامه، وبما يجزيه عليها من الأجر والثواب، حسبما وعده في كتابه الكريم إذْ يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[٥]

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[٦].

---

(١) الزمر ، ٢.
(٢) الزمر ، ٣.
(٣) الميزان ، ١/ ٣٦.
(٤) نهج البلاغة ، ٤/ ٥٣.
(٥) النساء، ١٣.
(٦) المائدة، ٩.

٢. أن يكون الداعي للعبادة هو الخوف من العقاب على المخالفة قال تعالى: "﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[1]، وقوله أيضاً: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً﴾[2].

٣. أن يعبد الله بما أنَّه أهل لأنْ يُعبد، فإنَّه الكامل بالذات والجامع لصفات الجمال والجلال.

وهذا القسم من العبادة لا يتحقق إلا ممن اندكَّت نفسيّته فلم يرَ لذاته إنيّة إزاء خالقه، ليقصد بها خيراً، أو يحذر لها من عقوبة، وإنما ينظر إلى صانعه وموجده ولا يتوجه إلا إليه، وهذه مرتبة لا يسعنا التصديق ببلوغها لغير المعصومين G الذين أخلصوا لله أنفسهم فهم المخلصون الذين لا يستطيع الشيطان أن يقترب من أحدهم"[3].

ثم ذكر تحت عنوان "العبادة وأقسام دوافعها" نص كلام الإمام A الواردة في نهج البلاغة "إنَّ قوماً عبدوا الله رغبة..." [4].

---

(١) الأنعام، ١٥.

(٢) المرسلات، ١٠.

(٣) البيان في تفسير القرآن، السيد الخوئي، ٥٠٧، ٥٠٨.

(٤ ظ : البيان في تفسير القرآن، ٥٦٣.

ثانياً: الارتباط بين المسألة والإجابة:

قال تعالى : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[١].

تجلت في هذه الآية أنصع صور العناية الإلهية، وأرق الأساليب القرآنية وأجملها، فهي تشعر أنَّ دعوة الداع مجابة من غير شرط وقيد، وذلك لأنَّ الله رحم عباده ونظر اليهم بعين العطف ، وجعل الدعاء وسيلة من وسائل التذلل له سبحانه ، "وخير الدعاء ما صدر عن صدر نقي وقلب تقي"[٢].

وقد جاء ما يفيد ذلك في وصية الإمام علي A علي لولده الحسين A جاء فيها: "ثم جعل في يديك مفاتيح خزائنه بما إذن لك فيه من مسألته فمتى شئت استفتحت بالدعاء أبواب نعمه واستمطرت شئآبيب رحمته، فلا يقنطنك إبطاء إجابته، فإنَّ العطية على قدر النية، وربما أُخرت عنك الإجابة ليكون ذلك أعظم لأجر السائل، وأجزل لعطاء الآمل، وربما سألت الشيء فلا تؤتاه وأُوتيت خيراً منه عاجلاً أو آجلاً أو صرف عنك لما هو خير لك، فلربَّ أمرٍ قد طلبته فيه هلاك دينك لو أُوتيته، فلتكنْ مسألتك فيما يبقى لك جماله، وينفي عنك وباله، والمال لا يبقى لك ولا تبقى له"[٣].

وقد أفاد مفسرو الإمامية من مضمون هذه الوصية في مباحثهم التفسيرية ، ففي تفسير قوله تعالى : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[٤]، قال السيد الطباطبائي: "والآية تدعو إلى الدعاء وتعد بالإجابة وتزيد على ذلك حيث تسمي الدعاء عبادة بقولها: ﴿عن عبادتي﴾ أي عن دعائي، بل تجعل مطلق العبادة دعاء حيث إنها تشتمل الوعيد على ترك الدعاء بالنار

---

(١) البقرة، ١٨٦.

(٢) الكافي ، ٢/ ٤٦٨ ، باب :أن الدعاء سلاح المؤمن.

(٣) نهج البلاغة، ٢/ ٢٧.

(٤) المؤمن ، ٦٠.

والوعيد بالنار إنما هو على ترك العبادة رأساً لا على ترك بعض أقسامه دون بعض"[١].

وقد أظهر هذا التفسير عند السيد العلامة معنى آيات أخر من هذا الباب[٢]، "وكلها تشتمل على أركان الدعاء وآداب الداعي، وعمدتها الإخلاص في دعائه تعالى وهو مواطاة القلب اللسان والانقطاع عن كل سبب دون الله والتعلق به تعالى، ويلحق به الخوف والطمع والرغبة والرهبة والخشوع والتضرع والإصرار والذكر وصالح العمل والإيمان وأدب الحضور وغير ذلك"[٣].

والملاحظ أن تأثير نص الإمام علي A :"إنَّ العطية على قدر النية" ، قد ظهر واضحاً في تفسير صاحب الميزان، فقد بيّن السيد العلامة شروط الإجابة بقوله: "إنَّ وعْدَ الإجابة المطلقة، إنما هو إذا كان الداعي داعياً بحسب الحقيقة مريداً بحسب العلم الفطري والغريزي مواطئاً لسانه قلبه، فإنَّ حقيقة الدعاء والسؤال هو الذي يحمله القلب ويدعو به لسان الفطرة، دون ما يأتي به اللسان الذي يدور كيفما أُدير صدقاً أو كذباً جِداً أو هزلاً حقيقةً أو مجازاً... فما لا يستجاب من الدعاء ولا يصادف الإجابة من فَقَدَ أحد أمرين وهما اللذان ذكرهما بقوله : (دعوة الداع) و (إذا دعانِ)[٤].

ثم قال: "فإنَّ قوله (فإنَّ العطية على قدر النية) يريد A به أنَّ الاستجابة تطابق الدعوة فما سأله السائل منه تعالى على حسب ما عقد عليه حقيقة ضميره، وحمله ظهر قلبه هو الذي يُؤتاه، لا ما كشف عنه قوله وأظهره لفظه، فإنَّ اللفظ ربما لا يطابق المعنى المطلوب كل المطابقة، وقد بين A بها عدَّة من الموارد التي يتراءى فيها تخلف الاستجابة عن الدعوة ظاهراً ، كالإبطاء في الإجابة، وتبديل المسؤول عنه في الدنيا بما هو خير منه في الدنيا، أو بما هو خير منه في الآخرة، أو

---

(١) الميزان ، ٢/ ٣٤.

(٢) ظ : الآية (١٤) من سورة المؤمن ، والآية (٥٦) من سورة الأعراف ، والآية (٩٠) من سورة الأنبياء ، والآية (٥٥) من سورة الأعراف ، والآية (٤) من سورة مريم ، والآية (٢٦) من سورة الشورى.

(٣) الميزان ، ٢/ ٣٥.

(٤) الميزان، ٢/ ٣٣.

صرفه إلى شيء آخر أصلح منه بحال السائل، فإنَّ السائل ربما يسأل النعمة الهنيئة ولو أُوتيها على الفور لم تكن هنيئة وعلى الرغبة فتبطئ إجابتها لأنَّ السائل سأل النعمة الهنيئة فقد سأل الإجابة على بُطء، وكذلك المؤمن المهتم بأمر دينه لو سأل ما فيه هلاك دينه وهو لا يعلم بذلك ويزعم أنَّ فيه سعادته وإنَّما سعادته في آخرته فقد سأل في الحقيقة لآخرته لا دنياه فيستجاب لذلك فيها لا في الدنيا"[١].

وذهب السيد السبزواري في مواهبه إلى ما ذهب إليه السيد الطباطبائي من أنَّ الاستجابة يجب أنْ تطابق الدعوة، إذْ إنَّ الإخلاص في الدعاء وعقد القلب عليه وحسن الظن بالإجابة من شروط صحة الدعاء مستدلاً بجملة من الروايات عن النبي وأهل بيته G منها قول الإمام علي A في نهج البلاغة ومن خلال هذا الاهتمام بكلام الإمام A يتضح للقارئ حجم الأثر الذي تركه نهج البلاغة في تفاسير الإمامية، لذا كان لا بد للبحث من إيراد ونقل نص كلام المفسر ليتجلى للمتلقي مدى اعتماد ذلك المفسر على كتاب نهج البلاغة ويقف بنفسه على أنَّ هذا الاستشهاد بهذه النصوص وهذه الخطب والوصايا لم يكن استشهاداً عابراً، وإنّما يُتناول عادةً بالبحث والتحليل.

---

(١) الميزان، ٢/ ٣٧.

ثالثاً: ماهية التقوى وحقيقتها:

تعد التقوى من الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها المؤمن ، إذ إنها تعمل على تحصينه ، وتمنعه من الوقوع في كل ما من شأنه أن يؤثم قلبه ، أو يشغله عن ذكر الله سبحانه وتعالى، فهي إذن مأخوذة من الوقاية، والوقاية تعني الحذر والاحتراز والبعد والاجتناب، وكلما كان الحذر أكثر كانت التقوى أكمل، ولهذا نرى أنَّ المتظاهرين بالتقوى يحذرون التدخل في أي عمل، حرصاً على سلامة تقواهم[١].

وهذا المفهوم يُولِّد قوة روحية لدى الإنسان، تتولد من التمرين العملي الذي يحصل من الحذر المعقول من الذنوب، وقد أشار الإمام أمير المؤمنين A : إلى هذا المعنى إذ قال :"عباد الله إنَّ تقوى اللَّه حمت أولياء اللَّه محارمه، وألزمت قلوبهم مخافته، حتى أسهرت لياليهم، وأظمأت هواجرهم"[٢].

وفي هذه الكلمة يصرح الإمام A : بأنَّ التقوى شيء يكون الحذر من الحرام والخوف من اللَّه من لوازمه وآثاره، إذْ يعطي للتقوى مفهوماً واسعاً.

لهذا نجد أنَّ الإمام A في نص آخر من نصوص نهج البلاغة يعطف نظره إلى الناحية الروحية والنفسية والمعنوية للتقوى وآثارها في الروح، بحيث تبعث فيه الإحساس بحب البر والطهر، والإحساس بالتذمر من الذنوب والأرجاس والأنجاس ، بقوله: "فإنَّ التقوى في اليوم الحرز والجُنَّة، وفي غد الطريق إلى الجنة"[٣].

وبعبارة أخرى فهي الحصن المنيع الذي يصون الإنسان أمام طغيان الشهوات، لهذا السبب وصف أمير المؤمنين علي A التقوى بأنَّها الحصن الذي يقي الإنسان أخطار الانزلاق إذْ قال: "اِعْلَمُوا عِبَادَ الله أَنَّ التَّقْوَى دَارُ حِصْن عَزِيز، والفجور دار حصن ذليل لا يمنع أهله ولا يحرز من لجأ إليه، ألا وبالتقوى تُقطع حمَّة الخطايا،

---

(١) مجمع البيان، الطبرسي، ١/ ٨٠.

(٢) نهج البلاغة، ١/ ٢٢٤.

(٣) نهج البلاغة، ٢/ ١٣٢.

وباليقين تدرك الغاية القصوى"[1].

وفي نص آخر من نصوص نهج البلاغة وصف الإمام A التقوى بالمطايا الذلل التي توصل الناس إلى مأمنهم ، وقصد بذلك الجنة ، إذ قال: "ألا وَإِنَّ التَّقْوَى مَطَايَا ذُلُلٌ، حُمِلَ عَلَيْهَا أهلها، وأُعْطُوا أزِمَّتَها، فَأَورَدَتْهُمُ الْجَنَّةَ"[2].

ومن خلال هذه الخطبة والخطبة التي قبلها نجد تأثيراً واضحاً لهما في تفسير بعضهم ، كما هي الحال عند الشيخ مكارم الشيرازي ، حين فسر قوله تعالى : [3] ، مبيناً أن اختصاص هداية القرآن بالمتقين في الوقت الذي هو هداية للبشرية جمعاء، إنما يعود إلى أن الإنسان لا يتقبل هداية الكتب السماوية ودعوة الأنبياء، ما لم يصل إلى مرحلة معينة من التقوى ، (مرحلة التسليم أمام الحق وقبول ما ينطبق مع العقل والفطرة)، ومثل هذا القسم هم الذين يستفيدون من القرآن أو أيّ كتاب سماوي آخر، فكما إنّ "فاعليّة الفاعل" شرط في الهداية التكوينية وفي الهداية التشريعية، كذلك "قابلية القابل" شرط فيهما أيضاً.[4]

بعدها توصل الشيخ مكارم الشيرازي إلى حقيقة التقوى ، وأنها مأخوذة من الوقاية، وأنها تعني الحفظ والصيانة من خلال رؤية الإمام علي A في موضوع التقوى ، بقوله : "التقوى من الوقاية، أي الحفظ والصيانة، ...لهذا السبب وصف أمير المؤمنين علي(عليه السلام) التقوى بأنها الحصن الذي يقي الإنسان أخطار الانزلاق إذ قال: (اِعْلَمُوا عِبَادَ الله اَنَّ التَّقْوَى دَارُ حِصْن عَزِيز) ، مستشهداً بقول الإمام A في معنى التقوى[5].

---

(١) نهج البلاغة، ٢/ ٥١.

(٢) نهج البلاغة، ١/ ٤٨.

(٣) البقرة، ٣ ٥.

(٤) ظ: الأمثل ، ١/ ٧٤.

(٥) ظ : الأمثل، ١/ ٨٣.

ثم استشهد بنص آخر من نصوص نهج البلاغة ، الذي يجسم حالة التقوى إذ أورد في السياق ذاته قول الإمام A "ألا وَإِنَّ التَّقْوَى مَطَايَا ذُلُلٌ، حُمِلَ عَلَيْهَا أهلها، وأُعْطُوا أزِمَّتَها، فَأَورَدَتْهُمُ الْجَنَّةَ. [١]

الأمر الذي يظهر أهمية نهج البلاغة عند المفسرين ، إذ نرى بعضهم لا يغادر تفسير الآية ما لم يمر بها في رحاب نهج البلاغة علَّه يجد ما يعضد تفسيره ويقوي حجته ، فلا يكتفي بإيراد نص واحد إلا في حالة عدم وجود غيره يناسب المقام، فالملاحظ عند المفسرين أنه يستشهد في أكثر من نص من نصوص نهج البلاغة ، وغايته في ذلك تعضيد رأيه بأبلغ الحجج ، إذ ليس بعد كلام الإمام علي A حجة ما خلا كلام الله تعالى وكلام نبيه المصطفى k .

---

(١) نهج البلاغة ، ١/ ٤٨، و ظ : الأمثل، ١/ ٨٣.

رابعاً: الاستغفار:

الاستغفار هو طلب المغفرة، والمغفرة هي الوقاية من شر الذنوب مع سترها، أي أنَّ الله عز وجل يستر على العبد فلا يفضحه فى الدنيا ويستر عليه في الآخرة، وقد كثر ذكر الاستغفار في القرآن الكريم فتارة يأمر به كقوله تعالى: ﴿**وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[1] وتارة يمدح أهله كقوله تعالى:﴿**وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأسْحَارِ**﴾[2] وتارة يذكر الله عز وجل أنَّه يغفر لمن استغفره كقوله تعالى:﴿**وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرْ اللَّهَ يَجِدْ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً**﴾[3].

إلا أنَّه لا يتحقق ما لم يستوف جملة من الشروط التي أوضحها الإمام أمير المؤمنين **A** لقائل قال بحضرته (أستغفر الله) فقال الإمام : "ثكلتك أمك أتدري ما الاستغفار، الاستغفار درجة العليين وهو اسم واقع على ستة معان: أولها الندم على ما مضى، والثاني العزم على ترك العود إليه أبداً، والثالث أنْ تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله أملس ليس عليك تبعة، والرابع أنْ تعمد إلى كل فريضة عليك ضيعتها فتؤدي حقها، والخامس أنْ تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحتَ فتُذيبهُ بالأحزان حتى يلتصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد، والسادس أنْ تذيق الجسم ألمَ الطاعة كما أذقته حلاوةَ المعصية فعند ذلك تقول أستغفر الله"[4].

وهكذا تعدد معاني الاستغفار في نهج البلاغة حتى بات لزاماً على بعض المفسرين في معرفة معنى الاستغفار وآثاره الرجوع إلى خطب الإمام ووصاياه في للإفادة منها.

---

(١) البقرة، ١٩٩.

(٢) آل عمران، من الآية، ١٧.

(٣) النساء، ١٠.

(٤) نهج البلاغة، ٤/ ٩٧.

فقد قال السيد الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿فَقُلْت اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً﴾[١]: "علل أمرهم بالاستغفار بقوله: (إنَّه كان غفاراً) دلالة على أنَّه تعالى كثير المغفرة، وهي مضافاً إلى كثرتها منه سنة مستمرة له تعالى"[٢].

وفي أثناء حديثه عن الاستغفار وسببيّته لسعة الرزق والإمداد بالأولاد من هذه الآيات، استدل السيد العلامة بكلام الإمام A في نهج البلاغة حول الاستغفار وآثاره إذْ قال A : "وقد جعل الله سبحانه الاستغفار سبباً لدرور الرزق ورحمة الخلق فقال سبحانه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلْ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً﴾[٣] فرحم الله امرئً استقبل توبته، واستقال خطيئته، وبادر منيَّته"[٤].

---

(١) نوح، ١٠.

(٢) الميزان، ٢٠/ ٢٧.

(٣) نوح، ١٠ـ ١١.

(٤) الميزان، ٢٠/٢٧، والنص في نهج البلاغة، ٢/ ٢٥.

خامساً: التوسل إلى الله سبحانه:

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَهِدُوا فِى سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1].

إنّ أهم موضوع تناولته هذه الآية، هو الدعوة الموجهة للإنسان المؤمن لاختيار طريقة تؤدي به إلى التقرب لله سبحانه وتعالى، إذ تتضمن تكاليف ثلاثة يؤدي الالتزام بها وتطبيقها إلى نيل الفلاح، وهذه التكاليف هي:

١. إتباع الحيطة والتقوى، كما تقول الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله...﴾..

٢. لختيار وسيلة للتقرب إلى الله سبحانه وتعالى، حيث تقول الآية : ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ...﴾.

٣. الجهاد في سبيل الله، إذْ تقول الآية: ﴿وَجَهِدُوا فِى سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2].

قال الشيخ مكارم الشيرازي :" فكلمة (الوسيلة) في الأصل بمعنى نشدان التقرب أو طلب الشيء الذي يؤدي إلى التقرب للغير عن ميل ورغبة، وعلى هذا الأساس فإِنَّ كلمة (الوسيلة) الواردة في هذه الآية لها معان كثيرة واسعة، فهي تشمل كل عمل أو شيء يؤدي إلى التقرب إلى الله سبحانه وتعالى، وأهم الوسائل في هذا المجال هو الإيمان بالله وبنبيّه k والجهاد في سبيل الله، والعبادات كالصّلاة والزكاة والصوم، والحج إلى بيت الله الحرام وصلة الرحم والإنفاق في سبيل الله سرّاً وعلانية وكذلك الأعمال الصالحة"[3].

فهذا التعداد لمصاديق الوسيلة أفاده الشيخ مكارم من كلام الإمام أمير المؤمنين A في نهج البلاغة إذْ قال مباشرة بعد تعداده لهذه المصاديق :" كما يقول الإمام

---

(١) المائدة، ٣٥.

(٢) ظ: الأمثل، ٣ / ٦٩٤.

(٣) الأمثل، ٣/ ٦٩٤.

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب **A** في خطبة له وردت في نهج البلاغة منها:" إنّ أفضل ما توسل به المتوسلون إلى الله سبحانه وتعالى الإيمان به وبرسوله والجهاد في سبيله فإنّه ذروة الإسلام وكلمة الإخلاص فإنّها الفطرة، وإقامة الصّلاة فإنّها الملّة، وإيتاء الزكاة فإنّها فريضة واجبة، وصوم شهر رمضان فإنَّه جُنّة من العقاب، وحج البيت واعتماره فإنَّهما ينفيان الفقر، ويرحضان الذنب، وصلة الرحم فإنَّها مثراة في المال ومنساة في الأجل وصدقة السرّ فإنّها تكفر الخطيئة، وصدقة العلانية فإنّها تدفع ميتة السوء، وصنائع المعروف فإنّها تقي مصارع الهوان"[١].

ويلاحظ أنَّ هذا التفسير هو عين ما أشار له الإمام أمير المؤمنين **A** في نهج البلاغة، الأمر الذي يظهر للمتلقي حجم التأثر وحجم الاعتماد على كتاب نهج البلاغة في العملية التفسيرية على كل مستوياتها.

---

(١) الأمثل، ٣/ ٦٩٤، والنص في نهج البلاغة، ١/ ٢١٦.

سادساً: الصوم وآثاره التربوية والاجتماعية:

الصوم ببعده التربوي يعد عاملاً فعّالاً في تربية روح التقوى في جميع المجالات والأبعاد، أما ببعده الأخلاقي فيُعدُّ كاسراً لهوى النفس لتقوى على التقوى بمخالفة عالم المادة والشهوة.

وبعبارة موجزة : الصوم يرفع الإنسان من عالم البهيمية إلى عالم الملائكة وعبارة (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[١]، تشير إلى هذه الحقائق[٢].

وهكذا الحديث المعروف: "الصَّوْمُ جَنَّةٌ مِنَ النَّارِ"[٣] يشير إلى هذه الحقائق، فالأثر الروحي والمعنوي للصوم يشكل أعظم جانب من جوانب فلسفة هذه العبادة ، التي عرضت لها الآية الكريمة ، وابتدأت بخطاب يفتح شغاف القب.

قال الشيخ مكارم الشيرازي :" تبتدىء الآية أولاً بأُسلوب خطابي وتقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وهو نداء يفتح شغاف القلب، ويرفع معنويات الإنسان، ويشحذ همته ... ثم تبيّن الآية فلسفة الصوم وما يعود به على الإنسان من منافع، لتكون هذه العبادة محبوبة ملتصقة بالنفس"[٤].

---

(١) البقرة، ١٨٣.

(٢) الأمثل، ١/ ٥٢٢.

(٣) الخلاف، الشيخ الطوسي، ١٧١/٢.

(٤) الأمثل، ١/ ٥١٨.

ثم أتبع تفسيره أستدلاً بنهج البلاغة على فلسفة الصوم ، إذ قال:" وفي نهج البلاغة عرض لفلسفة العبادات ، وفيه يقول أمير المؤمنين علي A : "فرض الله الإيمان تطهيراً من الشرك، والصلاة تنزيها عن الكبر ، والزكاة تسبيباً للرزق، والصيام ابتلاءً لإخلاص الخلق... "[1]، موظفاً قول الإمام علي A في بيان حقيقة الصوم [2].

---

(١) نهج البلاغة، ٤/ ٥٥.

(٢) الأمثل، ١/ ٥٢٢.

سابعاً: فلسفة الحج:

لا يخفى على وجدان كلّ مسلم ما للحج من أهمية قصوى وصولاً إلى مرضاة من الله تعالى، إذْ أنَّه يُعدُّ ركناً من أركان الإسلام وهذا هو الثابت من حديثه k : "بُني الإسلام على خمس : شهادة أنْ لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسولُ الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً"[١].

لذا يُعدُّ الحجّ من أهم العبادات التي شُرّعت في الإسلام ولها آثار وبركات كثيرة جدّاً، فهو مصدر عظمة الإسلام وقوّة الدّين واتّحاد المسلمين، إذْ إنَّها الشعيرة العباديّة التي ترعب الأعداء وتضخ في كلّ عام دماً جديداً في شرايين المسلمين[٢].

لهذا فليس غريباً أنْ نرى مثلَ أمير المؤمنين علي A في لحظات فوزه بالشهادة وختام حياته الكريمة يوصي بالحج ويَعدُّه رمز بقاء الأمة والمسلمين، إذْ قال A : "الله الله في بيت ربكم لا تخلوه ما بقيتم، فإنَّه إنْ ترك لم تناظروا"[٣].

وفي الحديث المروي عن أمير المؤمنين A في بيان وصف الأحكام كما ورد في نهج البلاغة أنّه أشار إلى أهميّة الحجّ الكبيرة وقال: "فرض الله الإيمان تطهيراً من الشرك... والحجّ تقوية للدّين"[٤].

ففي بيان هذه الأهمية الكبرى لهذه الشعيرة استدل الشيخ ناصر مكارم الشيرازي بهذا الحديث في تفسيره مبيناً أهمية هذه الشعيرة [٥].

كما أنَّه استدل بالخطبة المسماة "بالقاصعة" على أنَّ فريضة الحج أول ما شرعت في زمن آدم A وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ**

---

(١) المعتبر في شرح المختصر، نجم الدين أبو القاسم جعفر بن الحسن المحقق الحلي (ت٦٧٦ هـ)، تنقيح: عدة من الأفاضل، مؤسسة سيد الشهداء A . قم، (د. ت)، ٢/ ١١.

(٢) ظ: حول مسائل الحج، السيد محمد رضا الموسوي الگلپايگاني، (ت١٤١٤هـ)، دار القرآن الكريم . قم المشرفة . إيران، ط/٢، ٥.

(٣) نهج البلاغة، ٣/ ٧٧.

(٤) نهج البلاغة، ٤/ ٥٥.

(٥) الأمثل، ٢/ ٤٥.

﴿وَإِسْمَعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[(١)]، إذْ قال ما نصه : "فإبراهيم وإسماعيل قد رفعا قواعد البيت التي كانت موجودة، وفي خطبة للإمام أمير المؤمنين علي A في نهج البلاغة، وهي المسماة بالقاصعة، يقول: ألا تَرَوْنَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ اِخْتَبَرَ الأولِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ إلى الآخرينَ مِنْ هذَا الْعَالَم بِأَحْجَار... فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ الْحَرَامَ... ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ A وَوَلَدَهُ أَنْ يَثْنُوا أَعْطَافَهُمْ نَحْوَهُ..."[(٢)]

وهكذا نرى المفسر ينوع في اختيار الخطب ليقوي بها رأيه ويعضد تفسيره، فخطب نهج البلاغة هي القول الفصل في ترجيح بعض الوجوه على بعض، إذْ اتضح من خلالها أنَّ تشريع الحج كان منذ زمن آدم A ، وهذا مؤكد ؛ لأنَّ عبادة الله سبحانه وتعالى وإقامة أماكن العبادة لم تبدأ في زمن إبراهيم، بل كانتا منذ أنْ خلق الإنسان على ظهر هذه الأرض.

---

(١) البقرة، ١٧٢.

(٢) الأمثل، ٣٨٣/١، والنص في نهج البلاغة، ٢/ ١٤٧.

ثامناً: حقيقة الاستقراض وأهمية الإنفاق:

١. حقيقة الاستقراض.

قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[١].

لعلَّ السؤال الذي يفرض نفسه هو لماذا عبر الله سبحانه وتعالى عن الإنفاق بالاستقراض، في معظم الآيات التي تحدثت عن الإنفاق، بالرغم من أنَّ المالك الحقيقي لجميع عالم الوجود هو الله تعالى وأنَّ الناس يمثلون وكلاء عن الله في التصرف في جزء صغير من هذا العالم كما ورد ذلك في سورة الحديد ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾[٢]، ولكن مع ذلك يعود سبحانه إلى العبد ليستقرض منه، والحال أنَّ الله هو الغني المطلق.

والجواب الفصل في هذه المسألة في قول الإمام أمير المؤمنين A فقد ورد عنه في نهج البلاغة قوله:"وأنفقوا أموالكم، وخذوا من أجسادكم فجودوا بها على أنفسكم، ولا تبخلوا بها عنها، فقد قال الله سبحانه: ﴿إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[٣]، فلم يستنصركم من ذُل، ولم يستقرضكم من قِلّ، استنصركم وله جنود السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم، واستقرضكم وله خزائن السماوات والأرض وهو الغنى الحميد، وإنّما أراد أنْ يبلوكم أيّكم أحسن عملاً"[٤].

فهذه النصوص من خطبة الإمام A أوردها صاحب تفسير الأمثل، مستدلاً بها على أنَّ هذا الاستقراض إنما كان هدفه ابتلاء المؤمنين، حتى لا يتصوروا أنَّ الإنفاق والبذل سوف يؤدي إلى قلّة أموالهم ؛ لأنّ سعة أرزاقهم وضيقها بيد الله سبحانه

---

(١) البقرة، ٢٤٥.

(٢) الحديد، ٧.

(٣) محمد، ٧.

(٤) نهج البلاغة، ١٣١/٢.

وتعالى، فهو القادر على أن يعوض ما أنفقتموه أضعافاً مضاعفة، فإنَّ تلك الأموال التي أنفقتموها نفسها سوف تعود إليكم في الواقع، هذا من حيث البعد الدنيوي، وأمّا البعد الأخروي للإنفاق فأراد للمسلمين أنْ لا ينسوا أنَّ جميع المخلوقات سوف تعود إلى الله عزّ وجلّ وسوف يثيبهم حينذاك ويجزل لهم العطاء[١].

كما أوردها أيضاً الشيخ محمد جواد مغنية في تفسيره الكاشف إذ قال: "المراد بالإقراض هنا النفقة؛ لأنَّ اللّه غني عن العالمين"[٢]، ثم أورد نص كلام الإمام A حول حقيقة الاستقراض.

٢. أهمية الإنفاق.

في معرض حديثه عن الإنفاق وأهميته عدَّ السيد الطباطبائي هذه المسألة من أعظم المسائل التي اهتم بأمرها الإسلام، وقد توسل إليها بأنحاء التوسل إيجاباً وندباً، وإنما يريد بذلك ارتفاع سطح معيشة الطبقة الفقيرة التي لا تستطيع رفع حوائج الحياة من غير إمداد مالي من غيرهم، ثم أورد السيد العلامة في هذا الصدد تأسف الإمام أمير المؤمنين A على انحراف مسرى الإنفاق بقوله A : " وقد أصبحتم في زمن لا يزداد الخير فيه إلا إدباراً، والشر فيه إلا إقبالاً، والشيطان في هلاك الناس إلا طمعاً، فهذا أوانٌ قويت عدَّتُه وعمت مكيدته وأمكنت فريسته، اضرب بطرفك حيث شئت هل تبصر إلا فقيراً يكابد فقراً أو غنياً بدَّل نعمة الله كفراً أو بخيلاً اتخذ البخل بحق الله وفراً أو متمرداً كأنَّ بأُذنه عن سمع المواعظ وقراً"[٣].

فمن هنا تجلت للمفسرين والدارسين حقيقة وأهمية الإنفاق الذي يعد ضمانة لبناء مجتمع متماسك لا وجود فيه للفقر ولا للطبقية ؛ لأنَّ الإنفاق يحصّن المجتمع من الفقر، بل أنَّه يحصن أموال الأغنياء لأنَّه يعود بالخير على الأثرياء قبل أنْ يصيب خيره المحرومين، لأنّ تعديل الثروة يصون الثروة كما قال الإمام علي A : "سوسوا

---

(١) ظ : الأمثل، ٢/٢١٢.

(٢) الكاشف، ٧/٢٤٤.

(٣) ظ :الميزان، ٢/ ٣٨٤، و ، ٢/ ١٢.

إيمانكم بالصدقة، وحصنوا أموالكم بالزكاة"[١].

موانع الإنفاق.

قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٢].

تشير الآية هنا إلى أحد الموانع المهمّة للإنفاق، وهو الوساوس الشيطانيّة التي تخوّف الإنسان من الفقر والعوز وخاصّة إذا أراد التصدّق بالأموال الطيّبة والمرغوبة.

والمعنى الإجمالي للآية الوعد من الشيطان أنكم متى أخرجتم من أموالكم الصدقة وأديتم الزكاة الواجبة عليكم في أموالكم افتقرتم ويأمركم أيضاً بالفحشاء من المعاصي وترك طاعته، والله تعالى يعد بالمغفرة منه والستر عليكم، والصفح عن العقوبة،"وفضلاً"، يعني ويعدكم أنْ يخلف عليكم خيراً من صدقتكم ويتفضل عليكم ويسبغ عليكم في أرزاقكم[٣].

قال ابن عباس: "اثنان من الله، واثنان من الشيطان، الشيطان يعدكم الفقر يقول: لا تنفق مالك، وأمسكه عليك، فإنَّك تحتاج إليه، ويأمركم بالفحشاء، والله يعدكم مغفرة منه على هذه المعاصي وفضلاً في الرزق"[٤].

ومن هنا يتجلى لنا أنَّ أهم ما يمنع الإنسان من الإنفاق هو وساوس الشيطان، إذْ يولد لدى الإنسان قناعة توحي له أنَّ الإنفاق يؤدي به إلى نقص المال، وهذه هي النظرة الشيطانية الضيّقة.

---

(١) نهج البلاغة ٤/ ٣٥.

(٢) البقرة، ٢٦٨.

(٣) ظ : التبيان، الشيخ الطوسي، ٢/ ٣٤٦.

(٤) جامع البيان، ابن جرير الطبري، ٣/ ١٢١، و ظ : فقه القرآن، القطب الراوندي، (ت ٥٧٣هـ)، تحقيق : السيد أحمد الحسيني، مكتبة آية الله العظمى النجفي المرعشي، ١٤٠٥هـ، ١/ ٢٣٣. مع اختلاف في متن الحديث.

وفي هذا الشأن قال الشيخ مكارم : "ولكنّنا بتدقيق النظر ندرك أنَّ الإنفاق هو ضمان بقاء المجتمع، وتحكيم العدل الاجتماعي، وتقليل الفواصل الطبقية، فالقرآن أراد أنْ يُعلِّم الناس أنّ الإنفاق وإنْ بدا في الظاهر أنّه أخذ، ولكنّه في الواقع عطاء لرؤوس أموالهم مادّياً ومعنوياً"[١].

ثم دلَّل على ذلك بما ورد عن الإمام أمير المؤمنين **A** في نهج البلاغة أنّه قال : "إذا أملقتم فتاجروا الله بالصدقة"[٢].

---

(١) الأمثل، ٢/ ٣١٣.

(٢) نهج البلاغة، ٤/ ٥٧.

تاسعاً: الخمس:

الموضوع المهم الذي يجب أنْ يُبحَث في مسألة الخمس، وهو في الحقيقة بمثابة العمدة في هذا الموضوع ، هو: هل لفظ الغنيمة في قوله تعالى : ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ**﴾[1]، يطلق على الغنائم الحربية فحسب، أم أنَّ الموضوع أوسع من ذلك فيشمل كل زيادة في المال.

والجواب على هكذا تساؤل: أنَّ القرآن الكريم وإنْ كان لم يبين الخمس فيما عدا ما غُنِم في المعركة، لكنَّ هذا لا يعني عدم تعلقه في سائر الموارد الأُخرى، وعليه لابد من الرجوع للسنة المطهرة لمعرفة ذلك، إذْ لا مانع من أنْ يشير القرآن الكريم إلى قسم من أحكام الخمس بما يناسب مسائل الجهاد، وأنْ تتناول السنة الشريفة بيان أقسامه الباقية.

والشواهد على ذلك كثيرة، فمثلاً قد وردت الصلوات الخمس اليومية صريحة في القرآن الكريم، كما أشير إلى صلاة الطواف التي هي من الصلوات الواجبة أيضاً، ولم ترد أيّة إشارةٍ في القرآن الكريم إلى صلاة الآيات المتفق على وجوبها بين الفرق الإسلامية من أهل السنة والشيعة كافة، ولا نجد قائلاً يقول بأنّه لا يجب الإتيان بصلاة الآيات لأنّها لم تذكر في القرآن الكريم، أو أنَّ القرآن أشار إلى بعض الأغسال ولم يذكر غيرها، فهل يجب ترك ما لم يشر إليه القرآن الكريم، فهذا المنطق لا يُقرُّه أي مسلم أبداً.

وبناءً على ذلك، فلا إشكال في أنْ يبيّن القرآن الكريم قسماً واحداً من أقسام الخمس وتتكفل السنة ببيان الأقسام الأُخرى.

ثم إنَّ معنى الغنيمة في اللغة لا ينحصر في غنائم الحرب، بل تشمل كل أنواع الزيادة المالية وغيرها، قال الزبيدي في تاج العروس: "والغنم الفوز بالشيء بلا مشقة،

---

(١) الأنفال، ٤١.

رهن لمن رهنه، له غنمه، وعليه غرمه، غُنمه أي : زيادته ونماؤه وفاضل قيمته"[١].

ومما يؤيد عدم انحصار معنى الغنيمة في غنائم الحرب، ورودها في نهج البلاغة على لسان الإمام أمير المؤمنين A إذْ قال " اغتم المهل"[٢]، وقال أيضاً: "من أخذ بها لحق وغنم"[٣]، ويقول في كتابه إلى مالك الأشتر: "ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أُكُلَهم"[٤]، وكذلك في كتابه إلى عثمان بن حنيف: "فو الله ما كنزت من دنياكم تبراً ولا ادخرت من غنائمها وفراً"[٥]، والمعنى نفسه ورد في بعض كلماته القصار كقوله A : "إنَّ الله جعل الطاعة غنيمة الأكياس[٦]"، ويقول: "واغتنم من استقرضك في حال غناك"[٧]، ونظير هذه التعابير والكلمات التي تدل على عدم انحصار معنى الغنيمة في غنائم الحرب كثير.

من هنا استدل مفسرو الإمامية على أنَّ الغنيمة في الآية محل البحث لا ينحصر معناه بغنائم الحرب، وإنَّما تشمل كل ما غنمه الإنسان في حياته، اعتماد على ما جاء في كتب اللغة، وما ورد في نهج البلاغة، فمنهم من صرَّح باعتماده على نهج البلاغة مثل الشيخ مكارم الشيرازي في تفسيره الأمثل، إذ يبدو حجم الاعتماد واضحاً وجلياً، وأثر نهج البلاغة فيه بينٌ، ومن هنا كان الخمس أحد فروع الدين المعمول بها لدى أتباع مدرسة أهل البيت A [٨].

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس، محب الدين السيد مرتضى الحسيني الزبيدي، (ت ١٢٠٥هـ)، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م، ١٧/ ٥٢٧، مادة (غنم).

(٢) نهج البلاغة، ١٢٦/١.

(٣) نهج البلاغة،١ /٢٣٣.

(٤) نهج البلاغة، ٣٤/٣.

(٥) نهج البلاغة، ٧٠/٣.

(٦) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ٣/ ١٨٥.

(٧) نهج البلاغة، ٣/ ٤٦.

(٨) ظ : الأمثل، ٥/ ٤٣٦، ٤٣٧.

عاشراً: الجهاد:

إنَّ من يطّلع على مصادر التشريع الإسلامي من الكتاب والسّنة يجد فيهما تركيزاً كبيراً واهتماماً واضحاً بموضوع الجهاد، ففي القرآن الكريم ما يُقارب (٤٠ آية) تتحدّث عن الجهاد بلفظ الجهاد ومشتقاته، كقوله تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيهِم**﴾[(١)]، وكقوله تعالى: ﴿**إِنْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالا وَجَاهِدُواْ بِأَمْوالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبيلِ الله**﴾[(٢)]، وقوله سبحانه: ﴿**فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً**﴾[(٣)]، وهناك أكثر من (١٠٠ آية) تتحدّث عن الجهاد بلفظ القتال ومشتقّاته.

فضلاً عن مجموعة من الآيات التيَ تتحدّثُ عن الجهاد بلفظ الغزو والحرب والشّهادة ومشتقّاتها.

وحينما نرجع إلى السّنة المطهّرة نجد مئات الأحاديث والنُّصوص تركّز على موضوع الجهاد وتقرّر بصراحة أنّ الجهاد أهمّ وأفضل من جميع الأعمال والعبادات الأُخرى، فعن الرّسول الأعظم k : "فَوقَ كُلِّ ذِي بِرٍ بر حَتَّى يُقْتَل فِي سَبيلِ اللهِ فَإذا قُتِلَ فِي سَبيلِ اللهِ فَلَيْسَ فَوْقَه بر"[(٤)].

وفي مصدر واحد فقط من مصادر الحديث هو كتاب (وسائل الشّيعة) نجد (١٢٢٣حديثاً) عن الجهاد وفضله وأحكامه وما يتعلَّق به.

وإذا ما قُمنا بجولة عابرة في ربوع نهج البلاغة، فسنرى أنّ الإمام علي بن أبي طالب A ، يعطي للجهاد مكانة خاصّة، ويرفعه إلى أعلى مستوى من الأهمية والتّقدير، ويمنحه أعظم الصّفات، إذ يقول A : " الله الله فِي الْجِهَادِ بِأَمْوالِكُمْ وَأَنفُسِكُم

---

(١) التوبة، ٧٢.

(٢) التوبة، ٤١.

(٣) النساء، ٥٩.

(٤) الكافي، ٢/ ١٩٩، ظ : حرير الأحكام، العلامة الحلي، تحقيق : الشيخ إبراهيم البهادري، مؤسسة الإمام الصادق A ، ١٤٢٠هـ، ٢/ ١٢٩.

وَأَلْسِنَتِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ"[١].

وقال أيضا :"الجنة تحت أطراف العوالي"[٢]، وكذا في قوله A :"وَجَاهِدْ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ وَلاَ تَأْخُذُكَ فِي اللهِ لَوْمَةَ لاَئِمٍ"[٣].

وفي خطبة له A في فضل الجهاد قال :"إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إلى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتعالى الإِيمَانَ بِهِ وَبِرَسُولِهِ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ، فَإِنَّهُ ذُرْوَةُ الإسلام"[٤].

أما الخطبة التي أخذت أثرها في تفسير الآيات المتعلقة بالجهاد فهي خطبته التي يقول فيها: "أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوابِ الْجَنَّةِ فَتَحَهُ اللهُ لِخَاصَّةِ أولِيَائِهِ، وَهُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى، وَدِرْعُ اللهِ الْحَصِينَةُ، وَجُنَّتُهُ الْوَثِيقَةُ، فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ، أَلْبَسَهُ اللهُ ثَوْبَ الذُّلِّ، وَشَمِلَهُ الْبَلاَءُ، وَدُيِّثَ بِالصغَارِ وَالْقَمَاءَةِ، وَضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بالإسهاب، وَأُدِيلَ الْحَقُّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ الْجِهَادِ، وَسِيمَ الْخَسْفَ وَمُنِعَ النَّصَفَ"[٥].

فقد أورد الشيخ مكارم الشيرازي بعض نصوص هذه الخطبة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً﴾[٦]، فبعد أنْ تكلم عن أهمية الجهاد، إذ قال: "... وهذا هو الشيء الذي يؤكّد عليه رسول الله محمد k إذ يقول: فمن ترك الجهاد ألبسه الله ذلاً وفقراً في معيشته، ومحقاً في دينه، إنّ الله أعزّ أمّتي بسنابك خيلها ومراكز رماحها"[٧]، ثم ذكر بعد ذلك مستهل خطبة الإمام A في الجهاد[٨].

---

(١) تصنيف نهج البلاغة، لبيب بيضون، ٣٠٠.

(٢) نهج البلاغة، ٢/ ٤.

(٣) نهج البلاغة، ٣/ ٣٩.

(٤) نهج البلاغة، ١/ ٢١٥.

(٥) نهج البلاغة، ١/ ٦٧.

(٦) النساء، ٩٥.

(٧) تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي، تحقيق: السيد حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلامية ـ طهران، ١٣٦٥ ش، ط/٤، ٦/ ١٢٣.

(٨) ظ : الأمثل، ٣ / ٤٠٤.

حادي عشر: في الأمر بالمعروف ومنهج الدعاة إلى الله :

١. الأمر بالمعروف.

هذا البحث يُعدُّ من أهم الأبحاث القرآنية، وقد أشارت إليه آيات كثيرة في الكتاب العزيز كقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ﴾(١) وقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾(٢) وكذلك قوله سبحانه: ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾(٣)، وغير ذلك من الآيات، فهو مظهر من مظاهر الجهاد في سبيل الله، بل هو الجهاد الأكبر إذا توجه به الإنسان نحو نفسه فوعظها وأمرها بالمعروف ونهاها عن المنكر كما يظهر من حديث رسول الله k ، الذي يرويه عنه الإمام أمير المؤمنين A : "إنَّ رسول الله k بعث سرية، فلما رجعوا قال: مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر، قيل: يا رسول الله، وما الجهاد الأكبر قال: جهاد النفس ثم قال k :أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه"(٤).

فهو فريضة يتوقف عليها صلاح الفرد وصلاح المجتمع، وتترتب على تركه آثار وخيمة، فقد روي عن الإمام أمير المؤمنين في لحظاته الأخيرة أنَّه قال: "لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولى عليكم شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم"(٥).

---

(١) آل عمران، ١٤٠.

(٢) آل عمران،١١٠.

(٣) آل عمران، ١١٤.

(٤) جواهر الكلام، الشيخ الجواهري،(ت ١٢٦٦هـ)، تحقيق: الشيخ عباس القوچاني، دار الكتب الإسلامية ـ طهران، ط / ٢، ١٣٦٢ ش، ٢١/ ٣٥١.

(٥) نهج البلاغة،٣/٧٧.

فمن هنا تتجلى لنا أهمية هذه الفريضة، وانشغال الذمة بها، فلعلَّ العقل يحكم بوجوبها قبل النقل ؛ وذلك لما للمنكر من آثار سيئة لا تنحصر في نقطة وقوعها، بل تتعداها إلى العلاقات الاجتماعية، إذْ يمكن َسراية شرارته إلى كلّ نواحي المجتمع ، فتتضح بذلك الأهمية العقلية لهاتين الوظيفتين.

ولهذا يؤكد العقل والمنطق السليم لأفراد المجتمع بأنْ لا يألوا جهداً في الإبقاء على سلامة البيئة الاجتماعية وطهارتها من كلّ دنس، فعن النبي k أنَّه قال: "مَثَلُ القائم على حدود الله والمدهن فيها كمثل قوم اسْتَهَموا على سفينة في البحر فأصاب بعضهم أعلاها وأصاب بعضهم أسفلها... فقال الذين في أسفلها : إنَّا ننقبها من أسفلها فنستقي، فإنْ أخذوا على أيدهم فمنعوهم نجوا جميعاً، وإنْ تركوهم غرقوا جميعاً"[1].

ولقد جسد النبي الأكرم k بهذا المثال الرائع موضوعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنطقية هاتين الفريضتين بغض النظر عن أمر الشارع بهما.

لذلك حظي هذا الموضوع باهتمام الإمام أمير المؤمنين A ، فقد روي عنه أنه قال: "وَلَا تُنَالُ مَرْضَاتُهُ إلا بِطَاعَتِهِ لَعَنَ اللَّهُ الآمرين بِالْمَعْرُوفِ التَّارِكِينَ لَهُ وَالنَّاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ الْعَامِلِينَ بِهِ"[2].

وقال أيضاً :"وما أعمال البر كلّها والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفثة في بحر لجيّ"[3].

فقد استدل الشيخ مكارم الشيرازي بهذه الخطبة على أهمية فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعد أنْ أورد بعضاً من كلام الإمام A في أهمية هذه

---

(١) مسند احمد، الإمام احمد بن حنبل، (ت٢٤١هـ)، دار صادر ـ بيروت ـ لبنان (د.ت)، ٤/ ٢٦٨، ظ : مواهب الجليل، الحطاب الرعيني، (ت ٩٥٤هـ)، تحقيق : زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥ م، ٧/ ٧٢.

(٢) نهج البلاغة، ٢/ ١٢.

(٣) نهج البلاغة، ٤/ ٨٩.

الفريضة التي لا تساوي أعمال البر بالقياس بها إلا كنقطة في بحر لجي[1].

وقد اكتفى المفسر بإيراد هذه الكلمات من خطبة الإمام A وذلك عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[2].

الأمر الذي يظهر بشكل واضح عدم استغناء المفسر لاسيما المفسر الإمامي عن نهج البلاغة وذلك على كل المستويات.

٢. منهج الدعاة إلى الله.

قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[3].

ذكر المفسرون أنَّ هذه الآية : خطاب لعلماء اليهود، وكانوا يقولون لأقربائهم من المسلمين : اثبتوا على ما أنتم عليه، ولا يؤمنون هم فوبّخهم الله تعالى على ما كانوا يفعلون من أمر الناس بالإيمان بمحمد k ، وترك أنفسهم عن ذلك[4].

وهذا التوبيخ وإنْ كان موجهاً إلى علماء اليهود، إلا إنَّه يجري في كل زمان وينطبق على ما يمكن أنْ ينطبق عليه وإنْ كان خارجاً عن مورد النزول، وكما قيل العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

فالآية فيها توبيخ للداعية الذي يقول ما لا يفعل، إذْ إنَّ منهج الدعاة إلى الله سبحانه يقوم على أساس العمل أولاً، ثم القول ثانياً، فالدّاعية إلى الله تعالى يبلّغ بعمله قبل قوله، كما جاء في الحديث عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق A : "كُونُوا دُعَاةَ

---

(١) ظ :الأمثل، ٢/ ٦٢٨ ـ ٦٣٣.

(٢) آل عمران، ١٠٤، و ظ : الأمثل، ٢/ ٦٢٨ ـ ٦٣٣.

(٣) البقرة، ٤٤.

(٤) ظ : مجمع البيان، الطبرسي، ١/ ١٩٢، و ظ : البحار، ٩/ ٦٤.

النَّاسِ بِأَعْمَالِكُمْ وَلاَ تَكُونُوا دُعَاةً بِأَلْسِنَتِكُمْ"[(١)].

والتأثير العميق للدعوة العملية يأتي من قدرة مثل هذه الدعوة في فتح منافذ قلب السامع، فالسامع يثق بما يقوله الداعية العامل، ويرى أنَّ هذا الداعية مؤمن بما يقول وأنَّ ما يقوله صادر عن القلب، والكلام الصادر عن القلب ينفذ إلى القلب، وأفضل دليل على إيمان القائل بما يقوله، هو العمل بقوله قبل غيره.

وبهذا الشأن قال الإمام علي A في نهج البلاغة: "أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي وَاللهِ مَا أَحُثُّكُمْ على طَاعَة إلا وأَسْبِقُكُمْ إِلَيْهَا، وَلاَ أَنْهَاكُمْ عَنْ مَعْصِيَة إلا وَأَتَنَاهَىٰ قَبْلَكُمْ عَنْهَا"[(٢)].

ذكر الشيخ مكارم الشيرازي هذه الكلمات عن الإمام أمير المؤمنين A في نهج البلاغة، في أثناء حديثه عن أخلاقيات الداعية، وما ينبغي عليه الالتزام به وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَبَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ**﴾[(٣)].

---

(١) قرب الإسناد، الشيخ أبو العباس عبد الله بن جعفر الحميري القمي،(ت٣٠٠هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت G لإحياء التراث، مؤسسة آل البيت G لإحياء التراث ـ قم، ١٤١٣هـ، ٧٧، و ظ: بحار الأنوار،٥/ ١٩٨.

(٢) نهج البلاغة، ٢/ ٩٠.

(٣) البقرة، ٤٤، و ظ : الأمثل، ١/ ١٩٢.

المبحث الثالث

اثر نهج البلاغة في المستوى الأخلاقي

من أهم المرتكزات التي بني عليها الإسلام، وندب إليها القرآن الكريم التحلي بالأخلاق الفاضلة وترك السلوكيات المشينة، قال عز من قائل:﴿**وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً وَلا تَمْشِ فِي الأَرض مَرَحاً إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرض وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً كُلُّ ذِلِكَ كَانَ سَيِّئُه عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً**﴾[1].

ولقد بين الله تعالى هذا المعنى أحسن بيانٍ حين جمع بين الإيمان به ومكارمِ الأخلاق في آية واحدة عرض فيها لمدلول البر العام فقال سبحانه :﴿**لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَـئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**﴾[2].

كما أنَّ نبي الإسلام k جاء لتكميل هذا المخطط بإيصال الإنسان إلى أعلى المراتب فقال: "إنما بعثت لأُتمِّم مكارم الأخلاق"[3]، وحثَّ المسلمين على أفضل سُبل المعاشرة والسلوك مع بني نوعهم للوصول إلى الحياة الفضلى، وهو في هذا الحديث يبين الخصال التي تجعل من الفرد إنساناً كاملاً وتؤهله للأمانة الاعتماد والثقة.

مما يكشف أنَّ الشريعة الإسلامية عندما نزلت بالجزيرة العربية لم تلغ المنظومة

---

(١) الإسراء، ٣٦، ٣٧.

(٢) البقرة، ١٧٧.

(٣) مكارم الأخلاق، الشيخ الطبرسي، (ت ٥٤٨هـ)، منشورات الشريف الرضي، ١٣٩٢هـ -١٩٧٢م، ٨، ظ : البحار، ١٦ / ٢١.

الخلقية وقتذاك كلها، وإنّما باركت بعض الممارسات، وأعطتها أبعاد إيمانية مختلفة، وأضفت على بعضها صفة الوجوب، وعلى البعض الآخر الاستحباب، مثل حفظ الجوار، وأداء الأمانة، والوفاء بالعهد، والنجدة، وإقراء الضيف، وما إلى ذلك من الأخلاق المعمول بها أيام الجاهلية.

فقضية الأخلاق من القضايا الجوهرية في حياة البشر، وحسنُ الخلق والسلوكُ الطيب من لوازم الإيمان بالله تعالى كما هو معلوم، فكلما قوي إيمان العبد كان التزامُه بالخلق الحسن أقوى واحترافه للسلوك أمتن، قال k : "إنَّ أَكْمَلَ المؤمنينَ إيماناً أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً"(١) ، وقال أيضاً: "مَا مِنْ شَيْءٍ يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الْخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةَ صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصلاة"(٢).

ولا شك أنَّ أغنى رصيد للإنسانية في ذلك هو القرآن الكريم، إلا إنَّه أعطى درساً دستورياً مكثفاً، بعيد الآفاق والأعماق في الأخلاق ـ أي أنَّه لم يعنى بالتفصيلات ـ ومن بعده تأتي وظيفة الرسول الأكرم k فهو أول من جاء حاملاً شعار مكارم الأخلاق، إلا أنَّ دوره كان التأسيس وطرح القضايا المبدئية، إذْ إنَّ المهمة الأساس كانت متمثلة بإقامة قواعد الإيمان وشعائره، كلما تراخى الصراع الدائر حول مبدأ التوحيد وأصل الرسالة.

لذا كان في مقدور الإمام أمير المؤمنين **A** أنْ يقف تحت مظلة القرآن الكريم والرسول الأكرم، ويعمق المفاهيم الجديدة، ويركز الأُسس التي أتى بها القرآن والرسول k ، ابتداءً من أول الدين، وتوحيد الله، وصفاته تعالى، ومروراً بفلسفة الرسالات، وتقييم الإسلام ومفاهيمه وأحكامه، وشرح مواقف الرسول، وانتهاءً بوصف السماء، والأرض، والطاووس، والنملة، وأشياء كثيرة، وبحوث متنوعة، كان للجانب الأخلاقي فيها حيز كبير، تناوله المفسرون في تفاسيرهم، منها:

---

(١) الكافي، ٢/٦٥.

(٢) سنن الترمذي، ٣/ ٢٤٥، ظ : الجامع الصغير، جلال الدين السيوطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١ م، ٢/ ٥١٥.

أولاً: الخلق المحمدي:

إنَّ من أوضح مصاديق الجانب الأخلاقي في نهج البلاغة الخلق المحمدي، فقد كان رسول الله k يمتاز بسمو خلق لا يحيط بوصفه البيان ما خلا القرآن الكريم، وكان من أثره أنَّ القلوب فاضت بإجلاله وتفانى الرجال في حياطته وإكباره، بما لا تعرف الدنيا لرجل غيره، فالذين عاشروه أحبوه إلى حد الهيام ولم يبالوا أنْ تندق أعناقهم ولا يخدش له ظفر.

فكان يرقّع ثوبه، ويخصف نعله، ويحلب شاته، ويأكل مع العبد، ويجلس على الأرض، ولا يمنعه الحياء أنْ يحمل حاجته من السوق إلى أهله، ويصافح الغني والفقير، ولا ينزع يده من يد أحد حتى ينزعها هو، ويسلم على من استقبله من غني وفقير وكبير وصغير، ولا يحقر ما دعي إليه ولو إلى حشف التمر، وإذا انتهى إلى القوم جلس حيث ينتهي به المجلس، ويأمر بذلك، ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه أنَّ أحدًا أكرم عليه منه، من جالسه أو قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه، ومن سأله حاجة لم يَردَّه إلا بها أو بميسور من القول، وقد وسع الناس بسطه وخلقه، فصار لهم أباً، وصاروا عنده في الحق متقاربين، يتفاضلون عنده بالتقوى(١).

وأفضل وصف وِصِفَ به k ما ورد في نهج البلاغة على لسان الإمام أمير المؤمنين **A** إذْ قال: " فتأس بنبيك الأطيب الأطهر صلى الله عليه وآله، فإنَّ فيه أسوة لمن تأسى، وعزاء لمن تعزى وأحب العباد إلى الله المتأسي بنبيه والمقتص لأثره. قَضَم الدنيا قضماً، ولم يعرها طرفاً، أهضم أهل الدنيا كشحاً، وأخمصهم من الدنيا بطناً عرضت عليه الدنيا فأبى أنْ يقبلها، وعلم أنَّ الله سبحانه أبغض شيئاً فأبغضه، وحقر شيئاً فحقره، وصغر شيئاً فصغره، ولو لم يكن فينا إلا حبنا ما أبغض الله ورسوله، وتعظيمنا ما صغر الله ورسوله لكفى به شقاقاً لله ومحادة عن أمر الله، ولقد كان صلى

---

(١) ظ: سنن النبي k ، السيد محمد حسين الطباطبائي، تحقيق : الشيخ محمد هادي الفقهي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، ١٤١٩هـ، ١١٧.

الله عليه وآله يأكل على الأرض، ويجلس جلسة العبد، ويخصف بيده نعله، ويرقع بيده ثوبه، ويركب الحمار العاري ويردف خلفه، ويكون الستر على باب بيته فتكون فيه التصاوير فيقول يا فلانة لإحدى أزواجه غيبيه عني فإني إذا نظرت إليه ذكرت الدنيا وزخارفها، فأعرض عن الدنيا بقلبه، وأمات ذكرها من نفسه، وأحب أنْ تغيب زينتها عن عينه، لكيلا يتخذ منها رياشاً، ولا يعتقدها قراراً، ولا يرجو فيها مقاماً، فأخرجها من النفس، وأشخصها عن القلب، وغيبها عن البصر وكذا من أبغض شيئاً أبغض أنْ ينظر إليه وأنْ يُذكر عنده"[١].

فهذه الخطبة التي حوت أوصافاً لا يفوقها وصف، ذكرها كاملة السيد الطباطبائي في الميزان وذلك عند حديثه عن أخلاق الأنبياء، وفي مقدمتهم نبينا الأكرم محمد k إذْ أورد بعدها مجموعة من الروايات الواردة في مجامع أخلاقه التي تلوح إلى أدبه الإلهي الجميل والمؤيدة للآيات القرآنية الشريفة الحاكية عن سمو أخلاقه، فكان من ابرز تلك الروايات ما ورد عن الإمام في نهج البلاغة في وصف الخلق المحمدي[٢].

---

(١) نهج البلاغة، ٢/ ٦٠.

(٢) ظ: الميزان، ٦/ ٢٥٣ـ ٢٥٧.

ثانيا: أداء الأمانة:

الأمانة صفة الأنبياء ودأبهم، فقد جاء في القرآن الكريم على لسان عدد منهم: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾[1]، وقد رشحت الأمانة نبي الله يوسف A ليكون أميناً على خزائن الأموال في مصر، قال تعالى:﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[2]، وكانت الأمانة باعثاً على اختيار شعيب لنبي الله موسى H ليعمل لديه ويزوجه ابنته، قال الله تعالى:﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾[3]، ولقد كان خلق الأمانة بارزاً في شخص رسول k قبل البعثة وبعدها، فقد كان معروفاً بالصادق الأمين، وتجلى هذا يوم ارتضوا حكمه في وضع الحجر الأسود، فقد هتفوا لما رأوه وقالوا: "هذا الأمين قد رضينا بما قضى بيننا"[4].

وكانت الأمانة من أهم الدوافع التي رَغبَتْ السيدة خديجة في الزواج منه k .

ولا تقتصر الأمانة على أداء الودائع لأصحابها، بل يدخل فيها كل ما ائتمن الله تعالى العبد عليه، ولعل من أصدق معانيها ولاية أهل البيت G ، قال تعالى :﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمانة عَلَى السماواتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنهَا وَحَمَلَهَا الأنسنُ إِنَّهُ كانَ ظلُوماً جَهُولاً﴾[5].

---

(١) الشعراء، ١٠٧.

(٢) يوسف، ٥٤. ٥٥.

(٣) القصص، ٢٦.

(٤) سيرة ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار، (ت ١٥١هـ)، تحقيق : محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث للتعريف (د. ت)، ٢/ ٨٧، ظ : الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، (ت ٢٣٠هـ)، دار صادر . بيروت، (د. ت)، ١/ ١٤٦.

(٥) الأحزاب، ٧٢.

فقد ورد في تفسير هذه الآية أنَّ المراد بالأمانة هي "الولاية الإلهية، وبعرضها على هذه الأشياء اعتبارها مقيسة إليها والمراد بحملها والإباء عنه وجود استعدادها وصلاحية التلبس بها وعدمه، وهذا المعنى هو القابل لأنْ ينطبق على الآية فالسماوات والأرض والجبال على ما فيها من العظمة والشدة والقوة فاقدة لاستعداد حصولها فيها وهو المراد بإبائهن عن حملها وإشفاقهن منها"[١].

لكنَّ الإنسان الظلوم الجهول لم يأبَ، ولم يشفق من ثقلها وعظم خطرها فحملها على ما بها من الثقل وعظم الخطر فتعقب ذلك أنْ انقسم الإنسان من جهة حفظ الأمانة وعدمه بالخيانة إلى منافق ومشرك ومؤمن، بخلاف السماوات والأرض والجبال فما منها إلا مؤمن مطيع، قال تعالى :﴿**ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ**﴾[٢].

وذهب السيد العلامة إلى أنَّ المقصود بالأمانة : ولاية أمير المؤمنين **A** فقد أستدل على ما ذهب إليه بجملة من الأحاديث عن أئمة أهل البيت **G** ، إذْ قال ما نصه :" ما ورد في روايات عديدة وردت عن أهل البيت **G** من تفسير هذه الأمانة بقبول ولاية أمير المؤمنين علي **A** وولده، فمن أجل أنّ ولاية الأنبياء والأئمة نور ساطع من تلك الولاية الإلهية الكليّة، والوصول إلى مقام العبودية، وطي طريق التكامل لا يمكن أن يتمّ من دون قبول ولاية أولياء الله"[٣].

ومن ثم نقل السيد العلامة ما ورد عن الإمام أمير المؤمنين **A** في نهج البلاغة : قوله :" ثم أداء الأمانة فقد خاب من ليس من أهلها إنَّها عرضت على السماوات المبنية والأرض المدحوة والجبال ذات الطول المنصوبة فلا أطول ولا أعرض ولا أعلى ولا أعظم منها ولو امتنع شيء بطول أو عرض أو قوة أو عز لأمتنعن ولكن أشفقن من العقوبة، وَعَقِلن ما جهل من هو أضعف منهن وهو الإنسان إنَّه كان ظلوماً

---

(١) الميزان، ١٦/ ٢٨٢.

(٢) فصلت، ١١.

(٣) الميزان، ١٦/ ٢٨٦.

جهولا"[1].

ويستشف من كلام الإمام A أنَّ المقصود بالأمانة هي ولاية أهل البيت G بقوله " فقد خاب من ليس من أهلها" إذْ إنَّ ولايتهم هي الضمانة من الخيبة والخسران بدلالة حديث الثقلين.

وما يعضد هذا الرأي حديث الإمام الصادق A في قول الله عز وجل :﴿**إِنّا عَرَضنَا الأمانة عَلى السماواتِ وَالأرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَينَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشفَقْنَ مِنهَا وَحَمَلَهَا الأنسنُ إِنّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولاً**﴾[2]، قال: "هي ولاية أمير المؤمنين عليه السلام".[3]

وإذا تنزلنا وقلنا أنَّ المقصود بها ليست ولاية أهل البيت G ، فالجواب : انَّه قد ثبت من خلال تفسير الآية محل البحث أنَّ الأمانة هي الولاية الإلهية والإمامة مصداق من مصاديق الأمانة، ولعلَّه أجلاها ؛ لأنّ الإمامة هي في طول ولاية الله سبحانه وتعالى، فمن أنكرها أنكر ولاية الله عزّ وجلّ، وإلا فانّ كل ما هو خير وصالح في سبيل الله سبحانه وتعالى فهو في خط ولاية الله تعالى.

---

(١) الميزان، ١٦/ ٢٨٦، و نهج البلاغ، ٢/١٨٠.

(٢) الأحزاب ، ٧٢.

(٣) الكافي ، ١/ ٤١٣، باب : فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

ثالثاً: الوفاء بالعهد والميثاق:

من أهم الأمور التي تعمل على تقوية دعائم الثقة العامة والخاصة بين الأفراد هو "الوفاء بالعهد والميثاق" الذي يُعدُّ من الفضائل الأخلاقية المهمة في حركة الإنسان التكاملية، وبعكس ذلك "نقض العهد" الذي يُّعدُّ من أسوأ الخصال والرذائل الأخلاقية.

لذا نجد أنَّ الإسلام لا يعذر أحداً ـ وبأي حال من الأحوال ـ في نقض العهود والمواثيق، وهذا ما أكَّده الإمام الصادق **A** بقوله: "ثلاثة لا عذر لأحد فيها : "أداء الأمانة إلى البر والفاجر، والوفاء بالعهد إلى البر والفاجر، وبر الوالدين برَّين كانا أو فاجرين"[١].

ويتضح من خلال هذا الحديث إنَّ لزوم الوفاء بالعهد يُعدُّ ركناً من أركان الفطرة الإنسانية السليمة، وبتعبير آخر أنَّ هذا المفهوم هو من الأمور الفطرية غير القابلة للتسامح وإعطاء الرخص؛ لأنها تدخل في صميم بناء الإنسان التكاملي.

وحتى في الأقوام الجاهلية نرى أنَّ الوفاء بالعهد والميثاق يُعدُّ من الوظائف والواجبات الحتمية للأفراد إذْ نجد سعيهم الكبير في حفظ عهودهم والتعامل مع الآخرين من موقع الوفاء بالعهد والميثاق وما قصة "عبيد بن الأبرص الأسدي الشاعر إلا خير دليل على ذلك[٢].

ونقرأ في الآيات القرآنية والروايات الإسلامية في هذا الباب تعابير قوية وشديدة تبين أهمية الوفاء بالعهد وتذم الذين ينقضون العهد والميثاق.

قال تعالى: ﴿**وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا**﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ**﴾[٤]، وأيضاً :﴿**وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا**﴾[١]، وكذلك قوله

---

(١) الكافي ، ٥، باب: أداء الأمانة.

(٢) ظ : تاريخ الكوفة ، السيد حسين بن السيد احمد البراقي،(ت ١٣٣٢هـ)، تحقيق: ماجد أحمد العطية، انتشارات المكتبة الحيدرية، ١٤٢٤هـ ـ ١٣٨٢ ش، ١٩٩.

(٣) البقرة،١٧٧.

(٤) المؤمنون، ٨.

تعالى :﴿بَلَى مَنْ أَوفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾[2]، وفي قوله : ﴿إِلا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئاً وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَداً فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾[3]، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَوفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلا﴾[4]، مما يكشف أهمية هذه المسألة، فقد نقل عن النّبي k أنّه قال: "لا دين لمن لا عهد له"[5].

لذا فقد جاءت آخر سورة في القرآن الكريم نزولاً تأكد هذا المعنى وتطرح قاعدة فقهية عامة بقوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوفُوا بِالْعُقُودِ﴾[6].

فهذه الآية من الآيات التي تستدل بها كتب الفقه، في البحوث الخاصّة بالحقوق الإسلامية وتستخلص منها قاعدة فقهية مهمة هي "أصالة اللزوم في العقود" أي أنَّ كل عقد أو عهد يُقام بين اثنين حول أشياء أو أعمال يكون لازم التنفيذ[7].

ولهذا تؤكد مصادر التشريع الإسلامي بشكل لا مثيل له على قضية الوفاء بالعهود التي قد تكون من القضايا النوادر التي تمتاز بهذا النوع من السعة والشمولية ؛ لأنّ الوفاء لو انعدم بين أبناء المجتمع الواحد لظهرت الفوضى وعم الاضطراب فيه وزالت الثقة العامّة، وزوال الثقة يُعدُّ من أكبر الكوارث وأخطرها.

---

(١) الإسراء، ٣٤.

(٢) آل عمران، ٧٦.

(٣) التوبة، ٤.

(٤) النحل، ٩١.

(٥) بحار الأنوار، ٧٢/ ٩٦.

(٦) المائدة، ١.

(٧) ظ : منية الطالب في شرح المكاسب، الشيخ موسى بن محمد النجفي الخونساري (ت ١٣٦٣ ه(، تقريرات المحقق الميرزا محمد حسين النائيني (١٣٥٥هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين قم المقدسة، ١٤١٨هـ، ٣/ ١٦.

فقد جاء في نهج البلاغة من قول الإمام علي A لمالك الأشتر: "فإنّه ليس من فرائض الله شيء للناس أشدّ عليه اجتماعاً مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود، وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لمّا اسْتَوْبَلوا من عواقب الغدر"(١).

وجملة لما استوبلوا من عواقب الغدر معناها: لمّا نالهم من وبال من عواقب الغدر، على حدِّ قول الشيخ مكارم في الأمثل(٢).

وقد أفاد الشيخ هذه الأهمية الكبرى للوفاء بالعهد التي تناولها قوله تعالى : ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوفُوا بِالْعُقُود**﴾، من خلال هذا العهد الشهير لمالك الأشتر عندما ولاه الإمام A ولاية مصر(٣).

---

(١) نهج البلاغة، ٣/ ١٠٦.

(٢) ظ : الأمثل، ٣/ ٥٧٩.

(٣) الأمثل، ٣/ ٥٧٩.

رابعاً: المعاشرة الزوجية:

قال الإمام أمير المؤمنين A في نهج البلاغة موضحاً كيفية التعامل مع الزوجة وذلك من كتاب بعثه إلى ابنه محمد بن الحنفية قال فيه "... وإنْ استطعت أنْ لاُ تمّلك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها فافعل فإنَّه أدوم لجمالها وأرخى لبالها وأحسن لحالها فإنَّ المرأة ريحانة لا قهرمانة، فدارها على كل حال وأحسن الصحبة لها فيصفو عيشك..."[١].

وبهذا يؤكد الإمام A أنَّ وظيفة المرأة هي في ممارسة الأعمال المناسبة لها، كإنجاب أولادها ورعاية أسرتها، فهي لم تخلق لتحمّل المسؤوليات الشائكة والأعمال التي تضر بأنوثتها، بل خلقت لتظل وردةً جميلةً وريحانةً عطرةً، فقال A : "ولا تملك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها، فإنَّ المرأة ريحانة وليست بقهرمانة"[٢].

وفي هذا رفق كبير بالمرأة يتناسب مع رقتها وأنوثتها ولا يزيدها أعباء فوق أعبائها، ولا يفقدها شيء من أناقتها وجمالها إذْ إنَّ مثل هكذا أمر يسهم مساهمة كبيرة في تحقيق رغبات زوجها المتعلقة بها.

وفي حديثه عن معنى قيمومة الرجال على النساء في قوله تعالى : ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا**﴾[٣]، وحسن تبعل المرأة أشار السيد الطباطبائي إلى كتاب الإمام أمير المؤمنين A لولده وعدَّه "أُس ما بني عليه التشريع"[٤].

---

(١) تصنيف نهج البلاغة، لبيب بيضون، ٦٤٠.

(٢) نهج البلاغة، ٣/ ٥٦.

(٣) النساء، ٣٤، ٣٥.

(٤) الميزان، ٤/ ٢٤٧.

فقال في الميزان : "ومن أجمع الكلمات لهذا المعنى مع اشتماله على أُس ما بني عليه التشريع ما في نهج البلاغة " أنَّ المرأة ريحانة، وليست بقهرمانة"[١].

---

(١) الميزان، ٤/ ٢٤٧.

خامساً: أخلاقيات المعركة:

قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[(١)].

هذه الآية تُعدُّ بحسب جملة من المفسرين أول آية نزلت في أمر المسلمين بقتال أهل الشرك، وقالوا : أُمرَ فيها المسلمون بقتال من قاتلهم من المشركين، والكف عمن كف عنهم، ومنهم ابن جرير الطبري في تفسير هذه الآية[(٢)].

وقال الثعالبي: "هذه أول آية نزلت في القتال فلما نزلت كان رسول الله k يقاتل من يقاتله ويكف عمن كف عنه... ثم نهت الآية عن قتال النساء والصبيان، والشيخ الكبير ولا من ألقى إليكم السلم وكف يده فإنْ فعلتم ذلك فقد اعتديتم"[(٣)].

وذكر السيد الطباطبائي: أنَّ سياق الآيات الشريفة يدل على أنَّها نازلة دفعة واحدة، وقد سيق الكلام فيها لبيان غرض واحد وهو تشريع القتال لأول مرة مع مشركي مكة، فإنَّ فيها تعرضاً لإخراجهم من حيث أخرجوا المؤمنين، وللفتنة، وللقصاص، والنهي عن مقاتلتهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوا عنده، وكل ذلك أمور مربوطة بمشركي مكة، ثم قال :"أنَّه تعالى قيد القتال بالقتال في قوله :﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ ـ الآية ـ وليس معناه الاشتراط أي قاتلوهم إنْ قاتلوكم وهو ظاهر، و(لا) قيداً احترازياً، والمعنى قاتلوا الرجال دون النساء والولدان الذين لا يقاتلونكم كما ذكره

---

(١) البقرة / ٩٠، ٩١، ٩٢.

(٢) ظ : جامع البيان، ابن جرير الطبري، ٢/ ٢٥٨.

(٣) تفسير الثعلبي، الثعلبي، (ت ٤٢٧هـ)، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م، ٢/٨٧.

بعضهم، إذْ لا معنى لقتال من لا يقدر على القتال حتى ينهى عن مقاتلته، ويقال: لا تقاتله بل إنما الصحيح النهى عن قتله دون قتاله"[١].

عموما إنَّ الآية تأمر بمقاتلة الذين يشهرون السلاح بوجه المسلمين، وتجيز لهم أنء يواجهوا السلاح بالسلاح، بعد أنْ انتهت مرحلة صبر المسلمين على الأذى، وحلّت مرحلة الدفاع الدامي عن الحقوق المشروعة.

وعبارة " فِي سَبِيلِ الله" توضّح الهدف الأساسي من الحرب في المفهوم الإسلامي، فالحرب ليست للانتقام ولا للعلوّ في الأرض والتزعم، ولا للاستيلاء على الأراضي، ولا للحصول على الغنائم... فهذا كلّه مرفوض في نظر الإسلام، فحمل السلاح إنّما يصحّ حينما يكون في سبيل الله تعالى، وفي سبيل نشر الحقّ والعدالة والتوحيد، واقتلاع جذور الظلم والفساد والانحراف[٢].

وهذه هي الميزة التي تميّز الحروب الإسلامية عن ساير الحروب في العالم، وهذا الهدف المقدّس يضع بصماته على جميع أبعاد الحرب في الإسلام ويصبغ كيفيّة الحرب وكميّتها ونوع السلاح والتعامل مع الأسرى وأمثال ذلك بصبغة "في سبيل الله".

لذلك يوصي الإسلام برعاية كثير من الأصول الخلقية في الحرب، وهو ما تفتقر إليه حروب عصرنا أشدّ الافتقار، إذْ منعت الآية تعرض المدنيين ــ خاصّةً النساء والأطفال ـ لهجوم، فهم مصونون ؛ لأنّهم لا يقاتلون ولا يحملون السلاح.

كما يجب اجتناب التعرض للمزارع والبساتين، وعدم اللجوء إلى المواد السامة لتسميم مياه شرب العدوّ كالسائد اليوم في الحروب الكيمياوية والجرثوميّة.

وهذه المعاني السامية، والأخلاق الكريمة في التعامل مع العدو في ساحة المعركة وخارجها، تمثلها الإمام أمير المؤمنين **A** في قتال أعدائه إذْ قال لأفراد جيـــشه كما

---

(١) الميزان، ٢/٥١.

(٢) ظ: الأمثل، ٢/ ١٨.

ورد في نهج البلاغة وذلك قبل شروع القتال في صفين: "لا تقاتلوهم حتّى يبدؤوكم فإنَّكم بجهد الله على حجّة، وترككم إيّاهم حتّى يبدؤوكم حجّة أُخرى لكم عليهم، فإذا كانت الهزيمة بإذن الله فلا تقتلوا مدبراً ولا تُصيبوا مُعوراً ولا تجهزوا على جريح، ولا تهيجوا النساء بأذىً وإنْ شتَمْن أعراضكم وسَبَبْنَ أُمراءكم"[١].

وهذه هي أوضح مصاديق أخلاق الحرب التي ندب إليها الإسلام في الآيات محل البحث، والتي تعرض إليها المفسرون، فضلاً عن تعرضهم لكلام الإمام أمير المؤمنين A في نهج البلاغة، إذْ إنَّه أسَّس لمنطق التعامل مع العدو داخل المعركة وخارجها، وهو ما أفاده الشيخ مكارم في تفسيره الأمثل[٢].

بل إنَّ الإمام علي A ذهب إلى أكثر من ذلك إذْ خاطب فريقاً من أصحابه الذين كانوا يسبون أتباع معاوية في حرب صفين، فقال: "إنِّي أكره لكم أنْ تكونوا سبابين، ولكنّكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم كان أصوب في القول وأبلغ في العذر "[٣].

ولاشك أنَّ هذا الخلق الرفيع في التعاطي مع العدو هو من آثار تعاليم القرآن الكريم التي عكسها A وحولها إلى واقع عملي، إذْ إنَّ القرآن الكريم نهى عن شتم عقائد الكافرين ؛ لانَّ أمثال هؤلاء إذا أُثير غضبهم سعوا للانتقام والثأر بأي ثمن كان، حتى وإنْ كان ذلك بالإساءة إلى عقائد مشتركة، لذا قال عز من قائل : ﴿**وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾[٤].

---

(١) نهج البلاغة، ٣/ ١٥.
(٢) ظ : الأمثل، ٢/ ٢٠.
(٣) نهج البلاغة، ٢/ ١٨٥.
(٤) الأنعام، ١٠٨.

وسلوك الإمام هذا بحدٍّ ذاته تواصل مع منطق القرآن الكريم في ترك سبّ الضالين والمنحرفين، فقد أمر الإسلام كبار قادته بضرورة الاستناد إلى المنطق والاستدلال دائماً، وبلزوم تجنب شتم عقائد الآخرين، وقد استشهد صاحب تفسير الأمثل بنص كلام الإمام علي A في نهج البلاغة[١].

---

(١) ظ: الأمثل، ٤/ ٤٢٧.

سادساً: النفاق:

ظاهرة النفاق هي من أخطر الظواهر، وأكبرها ضرراً على الأمة الإسلامية إذْ عانت الأمة الإسلامية منذ اليوم الأول لولادتها من هذه الظاهرة الخطيرة.

وقد حذَّرَ الله عَزَّ و جَلَّ في القرآن الكريم رسوله الأكرم k من خطر المنافقين في آيات عدة وبيَّن بعض صفاتهم وأساليبهم وكشف عن بعض نواياهم وخططهم الخؤونة، وأساليبهم وأهدافهم وتوعدهم بالخزي والفضيحة والعذاب الأليم في آيات كثيرة من القرآن الكريم، كما خصص الله عَزَّ وجَلَّ سورة كاملة من سُور القرآن باسم "سورة المنافقون" لتحذير المؤمنين منهم، فمن تلك الآيات على سبيل المثال لا الحصر:

قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذا قَامُواْ إِلى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلا قَلِيلاً**﴾[1]، وقوله عزَّ مِنْ قائل: ﴿**إِذا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ**﴾[2]، وقوله جلَّ جلاله: ﴿**اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاء مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[3]، وغير ذلك من الآيات التي تبلغ العشرات في ذم النفاق والمنافقين، والتحذير منهم ومن مخططاتهم.

كما حذر الرسول المصطفى k من ظاهرة النفاق والمنافقين وفضح مخططاتهم في مواقف كثيرة، فقد ذكرت بعض الأحاديث جانباً من علامات المنافقين وصفاتهم، ففي الحديث النّبوي: "ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقاً وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ: مَنْ إذا ائْتُمُنَ خَانَ، وَإِذا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذا وَعَدَ أَخْلَفَ"[4].

والحديث لا يدور هنا طبعاً عن المنافق بالمعنى الخاص، بل عن الذي في قلبه خيوط من النفاق، تظهر على سلوكه بأشكال مختلفة، وخاصة بشكل رياء، كما جاء

---

(١) النساء، ٤٢.

(٢) المنافقون، ١.

(٣) المنافقون، ٢.

(٤) الكافي، ٢/ ١٧٠.

في الحديث عن الإمام الصادق A : "اَلرِّيَاءُ شَجَرَةٌ لاَ تُثْمِرُ إلا الشِّرْكَ الْخَفِيَّ، وَأَصْلُهَا النِّفَاقُ"[١].

واظهر وصف للمنافقين بعد وصف القرآن الكريم، ما جاء في نهج البلاغة على لسان الإمام أمير المؤمنين A الذي وصفه الشيخ مكارم الشيرازي في تفسير الأمثل "بالنص الرائع"، إذْ قال :"وفي نهج البلاغة نصّ رائع في وصف المنافقين عن أمير المؤمنين علي A يقول فيه: "أوصِيكُمْ عِبَادَ الله بِتَقْوَى الله، وَأُحَذِّرُكُمْ أهل النِّفَاقِ، فَإِنَّهُمُ الضَّالُّونَ المُضِلُّونَ، وَالزَّالُّونَ الْمُزِلُّونَ، يَتَلَوَّنُونَ أَلْوَاناً، وَيَفْتَنُّونَ افْتِنَاناً، وَيَعْمِدُونَكُمْ بِكُلِّ عِمَاد"[٢].

فبين A أنَّ النفاق مرض خطير وجرم كبير وهو إظهار الإسلام وإبطان الكفر... والنفاق أخطر من الكفر، وقد كان استشهاد صاحب الأمثل بهذا النص عند تفسيره لقوله تعالى:﴿وَإِذا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذا خَلَوا إِلى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾[٣].

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿فَإِذا جاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغشى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدادٍ﴾.

قال الشيخ محمد جواد مغنية في الكاشف: "تعكس هذه الآية جبن المنافقين وخورهم عند القتال، وجرأتهم على الذنوب والآثام وهم آمنون مطمئنون ترتعش منهم القلوب، وتدور العيون في رؤوسهم فزعاً وهلعاً في ساحة الوغى وعند السلم والأمن يطلقون ألسنتهم السلاط تنهش المؤمنين والمجاهدين"[٤].

---

(١) مستدرك الوسائل، ١/ ١٠٧.

(٢) ظ : الأمثل،١/ ٩٩، و نهج البلاغة، ٢/ ١٦٦.

(٣) البقرة، ١٤.

(٢) الكاشف، محمد جواد مغنية، ٦/ ٢٠٣.

معضداً رأيه بما ورد في نهج البلاغة من قول الإمام **A** : "إنَّ المنافق يتكلم بما أتى على لسانه لا يدري ما ذا له وما ذا عليه"[١].

---

(١) الكاشف، ٦/٢٠٣، و نهج البلاغة، ٢/ ٩٤.

سابعاً: التكبر:

قال تعالى :﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِّنَ السَّٰجِدِينَ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ**﴾[١].

هذا النص يوضح أنَّ شقاء الشيطان كله كان وليدَ تكبره، وانَّ أنانيته هذه التي جعلته يرى نفسه أفضلَ ممّا هو، هي التي تسببت في أنْ لا يكتفي بعدم السجود لآدم، بل وينكر علم الله تعالى وحكمته، ويعترض على أمر الله سبحانه، وينتقده، فخسر على أثر ذلك منزلته ومكانته، ولم يحصد من موقفه إلا الذلة والصغار بدل العظمة، فإنَّ امتناع الشيطان من السجود لآدم A كان تمرّداً مقروناً بالاعتراض والإنكار للمقام الربوبي، لأنّه قال: "أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ"، وهذه الجملة تعني في حقيقة الأمر أنَّ أمرك بالسجود لآدم أمرٌ مخالفٌ للحكمة والعدالة وموجب لتقديم "المرجوح" على "الراجح".[٢]

لهذا فإنّ مخالفته كانت تعني الكفر وإنكار العلم والحكمة الإلهيين، فوجب أنْ يخسر جميع مراتبه ودرجاته، وبالتالي كل ما له من مكانة عند الله سبحانه وتعالى، ولهذا أخرجه الله عز وجل من ذلك المقام الكريم، وجرّده من تلك المنزلة السامقة التي كان يتمتع بها في صفوف الملائكة، فقال له: ﴿**قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنْ الصَّاغِرِينَ**﴾[٣].

وهذا ما بيَّنه الإمام A في "الخطبة القاصعة" عند ذمّه للتكبر والعجب بقوله: "فاعتبروا بما فعل الله بإبليس إذْ أحبط عمله الطويل، وجهده الجهيد، وكان قد عبد الله ستة آلاف سنة... عن كبر ساعة واحدة، فمن ذا بعد إبليس يسلَم على الله بمثل معصيته كلا، ما كان الله سبحانه ليدخل الجنّة بشراً بأمر أخرج به منها مَلَكاً، إنّ

---

(١) الأعراف، ١١، ١٢.

(٢) ظ : الأمثل، ٤/ ٥٨٥.

(٣) الأعراف ١٣.

حكمه في أهل السماء وأهل الأرض لواحد"[١].

فأمر الإمام A في هذه الخطبة: بالاعتبار بحال إبليس الذي عبد الله ستة آلاف سنة ؛ لا يُدرى أمن سني الدنيا أم من سني الآخرة، ومما لا شك فيه أنَّ قول: "لا يُدرى" فيه حكمة قد لا يهتدي إليها الناس، إذْ لا يعقل أنَّ الإمام A تخفى عليه هذه السنين فلا يعرف من أيِّ السنين هي، قال ابن أبي الحديد : "وهذا يدلُّ على أنه قد سمع فيه نصاً من رسول k مجملاً لم يفسره له، أو فسره له خاصة، ولم يفسره أمير المؤمنين A للناس لما يعلمه في كتمانه عنهم من المصلحة"[٢].

وفي هذا السياق أورد صاحب الأمثل بعضاً من كلام الإمام أمير المؤمنين A في نهج البلاغة، الذي أمر من خلاله بالاعتبار بإبليس في تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّار وَخَلَقْتَهُ مِن طِين﴾[٣]، وغيرها من الآيات التي جاءت في سياقها، وقد توصل إلى حقيقة أنَّ الشيطان ارتقى الدرجات العُلا ونال شرف العيش بين صفوف الملائكة نتيجة لطاعته السابقة للّه عزَّ وجلّ، حتى أنّ البعض قال عنه: إنّه كان معلماً للملائكة إلى، مفيداً ذلك كله من خطبة الإمام المسماة "بالقاصعة"[٤].

الأمر الذي يكشف بوضوح أثر نهج البلاغة في هذا التفسير، إذْ استدل الشيخ في موضع آخر من تفسيره بالخطبة القاصعة في (نهج البلاغة) أنّه عبد اللّه عزَّ وجلّ آلاف السنين، لكن شراك التعصب الأعمى وعبادة هوى النفس المهلك قد أدّيا إلى خسرانه كل ذلك في لحظة تكبر وغرور[٥].

---

(١) نهج البلاغة، ٢/ ١٣٨.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ١٣/ ١٣٣.

(٣) ص، ٧٦.

(٤) ظ : الأمثل، ٤/ ٥٨٥.

(٥) ظ : الأمثل، ٨/ ٦٥.

وغير ذلك من الشواهد المبثوثة في تفاسير الإمامية، التي توزعت على مستويات عدَّة، اختصر الباحث فيها على المستوى العقائدي، والمستوى التعبدي، والمستوى الأخلاقي، بوصفها جامعة لأكثر عينات الأثر، مما يظهر للقارئ أنَّ لنهج البلاغة أثراً كبيراً في العملية التفسيرية برمتها، ولا أدعي هنا أنَّني أحطتُ بكل ما هو موجود في هذه التفاسير على كل هذه المستويات، وذلك لعظمة كتاب نهج البلاغة، وكثرة ما تناوله المفسرون من خطب وأقوال ووصايا وكتب، وقصار الحكم، آملا أنْ تتاح الفرصة لباحث آخر لإكمال المشوار، وإتمام المهمة، والعون منه وحده.

والحمد لله رب العالمين

الخاتمة

يُعدُّ نهج البلاغة ذا أهمية كبرى في العلوم الشرعية وعلوم اللغة والعلوم التي تَصبُّ في خدمتها عموماً، فهو منهل للباحثين في الحكمة والأدب والعرفان، فضلا عن علوم القرآن الكريم وتفسيره، إذْ إنَّها احتلت حيزاً كبيراً أفاد منه مفسرو الإمامية.

فبعد رحلة شاقة وممتعة مع المصادر والمراجع التي تضمنتها هذه الدراسة وهي تبحث عن أثر نهج البلاغة في تفاسير الإمامية في القرن الخامس عشر الهجري تبين مايلي:

أولاً : تبيّنَ من خلال البحث أنَّ كتاب نهج البلاغة عبارة عن تجليات قرآنية، تمثلها الإمام أمير المؤمنين A ثم عكسها على أرض الواقع بأسلوبه وبيانه الذي انماز عن كل أسلوب، فكان بحق فوق كلام المخلوقين ودون كلام الخالق.

ثانياً : أتضح من البحث أنَّ المسائل المتعلقة بالتوحيد هي من أساسيات مواضيع نهج البلاغة، بل من أعجب بحوثه، إذْ إنَّه حوى طرحاً فلسفياً بالنسبة للإلهيات لا يجاريه أي طرح آخر.

ثالثاً: بيَّن البحث أنَّ كتاب نهج البلاغة يحوي في طياته أُسُساً وضوابطَ يبتني عليها أصول النظر إلى القرآن الكريم، كان أبرزها نظرية تفسير القرآن بالقرآن التي ظهرة بصورة جلية في تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي.

خامساً : رصد البحث بعض العينات التفسيرية المبثوثة في "نهج البلاغة" التي أفاد منها المفسرون قديماً وحديثاً، لاسيما مفسرو الإمامية، توزعت على قضايا مختلفة، كان في مقدمتها : التفسير بالجري والانطباق، وهو مما تفرد به أئمة أهل البيت G إذْ إنَّه ذو بعد مرتبط بنظرية تفسير القرآن بالقرآن.

سادساً: تبين من خلال الدراسة أن هنالك أثراً لنهج البلاغة في قضايا متعددة مثل موضوع البلاء وموضوع استحياء النساء وخلق البعوضة وغير ذلك من المواضيع التي يتطلب إحصاؤها وقتاً كبيراً.

توصية البحث:

يرى البحث أمرين مهمين على الباحثين أن يلتفتوا إليهما:

أولاً : اعتماد منهج جديد في التفسير يجعل من نهج البلاغة مصدراً في التفسير بوصفه يمثل جزءً مهماً من تراث الإمام علي **A** المعرفي الذي في مقدمته التراث التفسيري، ولا سيما وقد ابتعدنا كثيراً عن عصر النص.

ثانياً : إنّ الأثر الذي تركه نهج البلاغة في العملية التفسيرية لا يمكن أنْ يختزل برسالة ماجستير، ولا حتى بأطروحة دكتوراه، وإنّما هو بحاجة إلى عمل مؤسساتي من أجل إحصائه وتدوينه والإفادة منه على كل الصُعد والمستويات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

جريدة المصادر والمراجع

v القرآن الكريم.

١. الإتقان في علوم القران ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١ هـ) ، تحقيق: محمد سالم هاشم ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ، ط/١، ١٤٢٨ هـ . ٢٠٠٧ م .

٢. الإحتجاج : أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (٥٨٩٨هـ) تحقيق الشيخ : أحمد إبراهيم البهادري ومحمد هادي به ، دار الأُسوه للطباعة وللنشر، إيران ، ١١٤٢هـ .

٣. الإرشاد ، الشيخ المفيد (ت٤١٣هـ) تحقيق مؤسسة آل البيت G لتحقيق التراث دار المفيد ، بيروت . لبنان ، ط/٢، ١٤١٤هـ . ١٩٩٣م .

٤. أُسد الغابة في معرفة الصحابة ، محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الواحد الشيباني المعروف بأبن الأثير (ت٦٣٠هـ)، دار الكتاب العربي . بيروت . لبنان ، (د. ت) .

٥. أُصول التفسير والتأويل ، السيد كمال الحيدري ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت . لبنان ، ط/١، ١٤٢٧هـ . ٢٠٠٦ .

٦. أضواء على عقائد الشيعة الإمامية ، الشيخ جعفر السبحاني ، مؤسسة الإمام الصادق A . قم ، ط/١، ١٤٢١هـ .

٧. الاعتقادات في دين الإمامية ، الشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ) ، تحقيق : عصام عبد السيد ، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت . لبنان ، ط/٢ ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٣م.

٨. أعراب القرآن ، أبي جعفر أحمد بن محمد بن أسماعيل النحاس (ت ٣٣٨هـ) ، اعتنى به الشيخ : خالد العلي ، دار المعرفة ، بيروت ـ لبنان ، ط /٨ ، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

٩. أعيان الشيعة ، السيد محسن الأمين (ت١٣٧١هـ)، تحقيق : حسن الأمين ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت . لبنان ، (د . ت) .

١٠. الألفين في إمامة أمير المؤمنين، العلامة الحلي (ت٦٧٦هـ) المطبعة الحيدرية ، النجف الاشرف ، ط/٢ ، ١٣٨٩هـ . ١٩٦٩م.
١١. الآمالي ، الشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ) مؤسسة البعثة قم المقدسة، ١٤١٧هـ.
١٢. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، مطبعة أمير المؤمنين ، قم . إيران، ط /١ ، ١٤٢١هـ .
١٣. الانتصار، الشريف المرتضى (ت٤٣٦هـ) ، تحقيق : مؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة ، ١٤١٥هـ .
١٤. أوائل المقالات، الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، تحقيق: الشيخ إبراهيم الأنصاري ، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت ، ط/٢، ١٤١٤هـ . ١٩٩٣ م .
١٥. بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ) مؤسسة الوفاء ، بيروت . لبنان (د.ت)
١٦. بحوث في أصول التفسير، محمد لطفي الصباغ، طبعة: المكتب الإسلامي، ط /١ ، ١٤٠٨هـ . ١٩٨٨.
١٧. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي(ت٧٩٤هـ) دار الكتب العلمية، بيروت ، ط/١.
١٨. بصائر الدرجات، محمد أبن الحسن الصفار(ت٢٩٠هـ)، تحقيق: ميرزا حسن كوجه باغي، منشورات الأعلمي، طهران، ١٤٠٤هـ .
١٩. البيان في تفسير القرآن، السيد أبو القاسم الخوئي(ت١٤١١هـ) منشورات : دار العلم للأمام السيد الخوئي، النجف الأشرف، ١٤١٠هـ . ١٩٨٩م.
٢٠ تاج العروس من جواهر القاموس، محب الدين السيد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥هـ)، دار الفكر: بيروت ـ لبنان، ١٤١٤هـ . ١٩٩٤م .
٢١. تاريخ الكوفة، السيد حسين بن السيد احمد البراقي (ت ١٣٣٢هـ)، تحقيق ماجد أحمد العطية،انتشارات المكتبة الحيدرية،١٤٢٤هـ .١٣٨٢ش.
٢٢. التبيان في تفسير القرآن، الشيخ محمد بن الحسن الطوسي(ت٤٦٠هـ)، تحقيق: أحمد حبيب قصير، مكتب الإعلام الإسلامي ، ١٤٠٩هـ .

٢٣.تحرير الأحكام ، العلامة الحلي(ت٦٧٦هـ) تحقيق: الشيخ إبراهيم البهادري، مؤسسة الإمام الصادق A ، ط/١، ١٤٢٠هـ.
٢٤.التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع . تونس . ١٩٩٧ م.
٢٥.تخريج الأحاديث والآثار، الزيلعي (ت٧٦٢هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة، الرياض ، ١٤١٤هـ.
٢٦. تصنيف نهج البلاغة، لبيب بيضون، مكتب النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي ، ط/٣ ، (د.ت).
٢٧.تصنيف نهج البلاغة، لبيب بيضون، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، ط/٣، ١٤١٤هـ .
٢٨.تعليق التعليق، أبن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق: سعيد عبد الرحمن موسى القزقي، المكتب الإسلامي . دار عمار، ط/١ ١٤٠٤هـ .
٢٩.تفسير الإمام العسكري ، المنسوب للإمام العسكري، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي قم المقدسة ، الناشر : المحقق ، ١٤٠٩هـ.
٣٠.تفسير الثعلبي، الثعلبي(ت ٤٢٧هـ)، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ .٢٠٠٢م.
٣١.التفسير الصافي، محمد محسن الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١هـ)، مكتبة الصدر . طهران ، ط / ٢ ، ١٤١٦ – ١٣٧٤ ش .
٣٢تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي(ت٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط/٢، ١٤٢٠ هـ. ١٩٩٩ م .
٣٣.تفسير القرآن، عبد الرزاق الصنعاني(ت٢١١هـ)، تحقيق: مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، السعودية. الرياض، ١٤١٠هـ. ١٩٨٩م .
٣٤. تفسير القرآن الكريم برواية الإمام A علي عاشور ، دار الصفوة ، بيروت ـ لبنان ، ط /١ ، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١ م

٣٥.تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي(ت٣٢٩هـ)، تحقيق: السيد طيب الموسوي الجزائري، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر . قم . إيران، ١٤٠٤هـ .
٣٦.التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية(ت١٤٠٠هـ)، دار الأنوار، بيروت . لبنان ، ط/٤، (د.ت).
٣٧.تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم ، السيد حيدر الآملي ، تنقيح : السيد محسن الموسوي التبريزي ، مؤسسة الطباعة والنشر ، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران ، ١٤١٤ هـ.
٣٨.تفسير جوامع الجمع ، الشيخ الطوسي (ت ٥٤٨هـ)، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامية، قم المقدسة ، ١٤٢١هـ ، ط/١.
٣٩.تفسير جوامع الجمع، الشيخ الطوسي، (ت ٥٤٨هـ)، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامية، قم المقدسة، ١٤٢١هـ.
٤٠.تفسير نور الثقلين، الشيخ عبد علي بن جمعة العوسي الحويزي (ت١١١٢هـ)، تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع ، قم المقدسة ، ط/٤، ١٤١٢هـ .١٣٧٠ ش.
٤١.التفسير والمفسرون،محمد حسين الذهبي، اوند للطباعة والنشر، ط/١، (د.ت).
٤٢.تقريب المعارف، أبو الصلاح الحلبي (ت٤٧٤هـ)، تحقيق: فارس حسون تبريزيان، الناشر: المحقق ، ١٤١٧هـ.
٤٣.التمحيص ، محمد بن همام الإسكافي (ت ٣٣٦هـ) ، تحقيق : مدرسة الإمام المهدي **A** الناشر: المحقق ، قم المقدسة ، (د ت)
٤٤.تهذيب الأحكام ، الشيخ الطوسي (ت٦٧٢هـ)، تحقيق: السيد حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلامية . طهران ، ط/٤، ١٣٦٥ ش .
٤٥.التوحيد ، أبي جعفر محمد علي بن الحسين بن بابويه القمي (الصدوق) (ت ٣٨١هـ) ، تحقيق : هاشم الحسيني الطهراني ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة ، (د ت).
٤٦.جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردي (ت ١٣٨٣هـ)، المطبعة العلمية . قم ، ١٣٩٩هـ .

٤٧.جامع أحاديث الشيعة، السيد حاج آقا حسين الطباطبائي البروجردي(ت١٣٨٣هـ)، المطبعة: المطبعة العلمية – قم ، ١٣٩٩هـ .
٤٨.جامع البيان ، ابن جرير الطبري (ت ٣٦٠هـ) تحقيق : خليل الميس ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت . لبنان ، ١٤١٥هـ . ١٩٩٥م .
٤٩.الجامع الصحيح سنن الترمذي ، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي (ت٢٧٩هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر ، دار إحياء التراث العربي . بيروت (د. ت).
٥٠.الجامع الصغير ، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت ، ط/١، ١٤٠١هـ . ١٩٨١ م .
٥١.جامع بيان العلم وفضله، أبن عبد البر(ت٤٦٣هـ)، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٣٩٨هـ .
٥٢.جواهر الكلام: الشيخ الجواهري، (ت ١٢٦٦هـ)، تحقيق: الشيخ عباس القوچاني ، دار الكتب الإسلامية . طهران ، ط/٢، ١٣٦٢ ش.
٥٣.حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت٤٣٠هـ) دار الكتاب العربي . بيروت ، ط/ ٤ ، ١٤٠٥هـ .
٥٤.حول مسائل الحج ، السيد محمد رضا الموسوي الگلپايگاني (ت١٤١٤هـ)، دار القرآن الكريم . قم المقدسة . إيران ، ط/٢ ،(د.ت)
٥٥.حياة الإمام الرضا، الشيخ باقر شريف القرشي ، انتشارات: سعيد بن جبير . قم ، ١٣٧٢ ش .
٥٦.الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي(ت٥٧٣هـ)، تحقيق مؤسسة الإمام المهدي (عجل الله فرجه)، الناشر: المحقق، ط/١، ١٤٠٩هـ .
٥٧.الخصال ، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ) ، تحقيق وتصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة ، ١٤٠٣هـ – ١٣٦٢ ش.
٥٨.خصائص الأئمة ، الشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ)، تحقيق: محمد هادي الأميني، مجمع البحوث الإسلامية، الآستانه الرضوية المقدسة، مشهد . إيران، ١٤٠٦ هـ .

٥٩.الخلاف، الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ)، تحقيق: جماعة من المحققين، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، ١٤٠٧هـ.

٦٠.دلائل الإمامة، محمد بن جرير الطبري (ت٩٢٣هـ)،تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية . مؤسسة البعثة . قم . ط/١، ١٤١٣هـ.

٦١. ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري، (ت٦٩٤هـ)، مكتبة القدسي . القاهرة ، ١٣٥٦ .

٦٢. روضة الواعظين، محمد بن الفتال النيسابوري (ت ٥٠٨هـ)، تحقيق محمد مهدي السيد حسن الخرسان، منشورات: الشريف الرضي، قم المقدسة (د ت).

٦٣.سنن الترمذي، الترمذي (ت٢٧٩هـ)، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت . لبنان، ط/٢، ١٤٠٣هـ . ١٩٨٣م.

٦٤.السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي(ت٤٥٨هـ)،مجلس دائرة المعارف النظامية،الهند . حيدر آباد، ط/١، ١٣٤٤ هـ.

٦٥. سنن النبي k ، السيد محمد حسين الطباطبائي (ت١٤٠٢هـ)، تحقيق: الشيخ محمد هادي الفقهي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، ١٤١٩هـ .

٦٦.سيرة أبن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار (ت ١٥١هـ)، تحقيق: محمد حميد الله ، معهد الدراسات والأبحاث للتعريف (د. ت) .

٦٧.شرح نهج البلاغة ، أبن أبي الحديد عز الدين أبو حامد بن عبد الحميد بن هبة الله المدائني (ت٦٥٦ هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم ، دار أحياء الكتب العربيه، القاهرة ، عيسى التابي الحلبي، ١٣٨٥ هـ . ١٩٦٥م.

٦٨.الشمس الساطعة، محمد الحسين الحسيني الطهراني(ت١٢٨٦هـ)، دار الأولياء، ط/٢، ٢٠٠٨م .

٦٩.شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، عبيد الله بن أحمد الحاكم الحسكاني (ت٤٧٠هـ)، تحقيق: محمد باقر المحمودي ، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ط/١، ١٤١١هـ . ١٩٩٠م .

٧٠.الشيعة وفنون الإسلام، السيد حسن الصدر(ت١٣٥٤هـ)، (د . ت) .

٧١.الطبقات الكبرى، محمد أبن سعد(ت٢٣٠هـ)، دار صادر . بيروت، (د.ت).
٧٢. عدة الأصول، الشيخ الطوسي (ت٦٧٢هـ)، تحقيق: محمد مهدي نجف، مؤسسة أهل البيت G للطباعة والنشر (د .ت).
٧٣.العرفان الشيعي،خنجر علي حميه، دراسة في الحياة الروحية والفكرية لحيدر الآملي، دار الهادي، (د.ت).
٧٤.عقائد السنة وعقائد الشيعة، صالح الورداني، الغدير للدراسات والنشر، بيروت . لبنان، ١٤١٩هـ. ١٩٩٩م .
٧٥.علل الشرائع، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: السيد محمد صادق بحر العلوم ، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها ، النجف الأشرف، ١٣٨٥هـ . ١٩٦٦ م .
٧٦.علوم القران ، السد محمد باقر الحكيم ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت . لبنان ، ط/٤ ، ١٤٢٨هـ. ٢٠٠٧م .
٧٧.عوالي اللآلئ، أبن جمهور الأحسائي (ت٨٨٠هـ)، تحقيق: آقا مجتبى العراقي، مطبعة سيد الشهداء ، قم المقدسة ، ط/١، ١٤٠٥هـ. ١٩٨٥م.
٧٨.عيون أخبار الرضا، الشيخ ابو جعفر الصدوق محمد بن على بن الحسين بن بابويه القمى (ت١٣٨١هـ)، تنقيح: الشيخ حسين الأعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت . لبنان، ط/١، ١٤٠٤هـ .١٩٨٤م.
٧٩.عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي(ت٣٦٥هـ)، تحقيق: حسين الحسيني البير جندي، دار الحديث، (د.ت).
٨٠.الغدير، الشيخ الأمين(ت١٣٩٢هـ)، دار الكتاب العربي . بيروت . لبنان، ط/٤، ١٣٩٧هـ . ١٩٧٧ م .
٨١.الغيبة ، أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، تحقيق (ت ٤٦٠هـ): عبد الله الطهراني ، علي أحمد ناصح ، مؤسسة المعارف إسلامية ، قم المقدسة ، ط/١ ، ١٤١١هـ .
٨٢.فقه القرآن، القطب الراوندي(ت ٥٧٣هـ)، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، مكتبة آية الله العظمى النجفي المرعشي، ١٤٠٥هـ .

٨٣.فهرست أبن النديم البغدادي(ت٤٣٨هـ)، تحقيق: رضا تجدد، (د ت) .

٨٤.في رحاب نهج البلاغة، مرتضى مطهري ، ترجمة: هادي اليوسفي ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت . لبنان ، ط/١، ١٩٧٨م .

٨٥.القرآن واعجازه العلمي ، محمد اسماعيل إبراهيم ، دار الفكر العربي، (د ت).

٨٦.القرآن والعقيدة، مسلم الحلي(ت١٤٠١هـ)، تحقيق: فارس حسون، (د.ت).

٨٧.قرب الاسناد، الشيخ أبي العباس عبد الله بن جعفر الحميري القمي(ت٣٠٠هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت G لإحياء التراث . قم ، ١٤١٣هـ

٨٨.الكافي، (الأصول) محمد بن يعقوب الكليني (ت٣٢٩هـ)، منشورات الفجر، بيروت . لبنان، ١٤٢٨هـ . ٢٠٠٧م .

٨٩. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي المتقي الهندي(ت٩٧٥هـ)، تحقيق: بكري حياني، مؤسسة الرسالة، بيروت . لبنان، ١٤٠٩هـ . ١٩٨٩م .

٩٠.كنز الفوائد، أبو الفتح الكراجكي(ت٤٤٩هـ)، مكتبة المصطفوي، قم المقدسة، ط/٢.

٩١.كيف نتعامل مع القرآن، محمد الغزالي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط/١، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

٩٢. لمحات من تاريخ القران، محمد علي الاشيقر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت . لبنان، ١٤٠٨هـ . ١٩٨٨م .

٩٣.مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح (ت١٤٠٧هـ)، دار العلم للملايين، بيروت . لبنان، ط/٦، ١٩٦٩م.

٩٤.مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو الفضل علي بن الحسين الطبرسي(ت٥٤٨هـ)، تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي، منشورات شركة المعارف الإسلامية، ١٣٧٩هـ .

٩٥.مجمع الزوائد ، الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان ، ١٤٠٨هـ . ١٩٨٨ م .

٩٦.المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي(ت٢٧٤هـ)، تنقيح: السيد جلال الدين الحسيني، دار الكتب الإسلامية . طهران، ١٣٧٠هـ .١٣٣٠ش.

٩٧.المحكم والمتشابه ، الشريف المرتضى (ت٦٧٦هـ) الطبعة الحجرية ، إيران ، ١٣١٣ هـ .

٩٨.المدرسة القرانية، السيد محمد باقر الصدر (ت١٤٠١هـ)، مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، قم المقدسة، ط/٤.

٩٩.مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، الحاج ميرزا حسين النوري الطبرسي(ت١٣٢١هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت G دار إحياء التراث، الطبعة المحققة الأُولى، ١٤٠٨ هـ . ١٩٨٧ م .

١٠٠.المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ)تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية . بيروت، ط/١، ١٤١١هـ.١٩٩٠م.

١٠١.مسند أحمد ، الإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ) ، دار صادر . بيروت . لبنان (د . ت) .

١٠٢.مسند الرضا A ، داود بن سليمان الغازي(ت ٢٠٣هـ)، تحقيق: محمد جواد الحسيني الجلالي، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، ١٤١٨هـ .

١٠٣.مسند زيد بن علي بن أبي طالب ، منشورات : مكتبة الحياة – بيروت – لبنان (د ت).

١٠٤.مصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ، حسن الميرجهاني الطباطبائي (ت ١٣٨٨هـ)

١٠٥.مصباح الفقيه، آقا رضا الهمداني(ت١٣٢٢هـ)، منشورات مكتبة الصدر . طهران، طبعة حجرية، (د.ت) .

١٠٦.معاني الأخبار ، الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسين بن بابويه القمي العروف (بالصدوق) (٣٨١هـ) ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم المقدسة ، ١٣٧٩هـ ـ ١٣٣٨ش.

١٠٧. المعتبر في شرح المختصر، نجم الدين أبو القاسم جعفر بن الحسن المحقق الحلي (ت٦٧٦ هـ)، تنقيح: عدة من الأفاضل ، مؤسسة سيد الشهداء A ـ قم، (د.ت).

١٠٨.المعجم الموضوعي لنهج البلاغة، أويس كريم محمد، مؤسسة الطبع والنشر في الآستانة الرضوية المقدسة، ١٤٠٨هـ .
١٠٩.مقالات تأسيسية في الفكر الإسلامي، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، تعريب خالد توفيق جواد علي ط/١، ١٤١٥هـ .
١١٠.مكارم الأخلاق، الشيخ الطبرسي(ت ٥٤٨هـ)، منشورات الشريف الرضي ، ١٣٩٢هـ.١٩٧٢ م .
١١١.مناقب آل أبي طالب، أبن شهر آشوب (ت٥٨٨هـ)، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٧٦هـ . ١٩٥٩م .
١١٢.مناهج المتكلمين في فهم النص القراني، الدكتور ستار الأعرجي، بيت الحكمة ، العراق . بغداد ، ط/١ ، ٢٠٠٨م.
١١٣.منية الطالب في شرح المكاسب، الشيخ موسى بن محمد النجفي الخوانساري (ت١٣٦٣هـ)، تقريرات المحقق الميرزا محمد حسين النائيني(١٣٥٥هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين قم المقدسة، ١٤١٨هـ .
١١٤.مواهب الجليل، الحطاب الرعيني (ت٩٥٤هـ)، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان، ط/١، ١٤١٦هـ . ١٩٩٥م.
١١٥.مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السيد عبد الاعلى السبزواري(ت١٤١٢هـ)، منشورات دار التفسير ، قم . ايران ، ط / ٥ ، ١٤٣١هـ . ٢٠١٠ م
١١٦.موسوعة المصطفى والعترة G ، حسين الشاكري، نشر الهادي ـ قم . إيران ، ط/١، ١٤١٨هـ .
١١٧.الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي(ت١٤٠٢هـ)، تحقيق:أياد باقر سليمان، دار إحياء التراث العربي، بيروت . لبنان، ط /١ ، ١٤٢٧هـ . ٢٠٠٦ م .
١١٨.الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية . قم المقدسة، (د.ت).

١١٩. الناسخ والمنسوخ في كتاب الله تعالى ، قتادة بن دعامة السدوسي (سنة ١١٧ هـ) ، تحقيق: حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ط/٣، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٨ م.

١٢٠. النشر في القراءات العشر، ابن الجزري(ت٨٣٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان ، ط/٣.

١٢١. نهج البلاغة، الشيخ محمد عبده (ت ١٣٢٣هـ) دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت . لبنان، ط/١،(د ت)

١٢٢. نهج الحق وكشف الصدق، العلامة الحلي(ت٦٧٦هـ)، تحقيق: رضا الصدر، مؤسسة الطباعة والنشر دار الهجرة . قم المقدسة، ١٤٢١هـ.

١٢٣. نيل الأوطار من أحاديث سيد الاخيار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني(ت١٢٥٥هـ)، دار الجيل . بيروت . لبنان، ١٩٧٣م .

١٢٤. الهداية (في الاصول والفروع)، الشيخ الصدوق(ت٣٨١هـ)، تحقيق: مؤسسة الإمام الهادي **A** ، الناشر: المحقق، قم المقدسة، ١٤١٨هـ .

١٢٥. وسائل الشيعة ، الحر العاملي (ت١١٠٤هـ) دار إحياء التراث العربي ، بيروت . لبنان ، ط /٤ ، ١٣٩١ هـ .

١٢٦. وصول الأخيار إلى أصول الأخبار، حسين بن عبد الصمد العاملي(ت٩٨٤هـ)، تحقيق: عبد اللطيف الكوهكمري، مجمع الذخائر الاسلامية، ١٤٠١هـ.

١٢٧. ينابيع المودة، سلمان بن إبراهيم القندوزي(ت١٢٩٤هـ)، تحقيق: علي جمال أشرف، دار أُسوة للطباعة والنشر، ط/١، ١٤١٦هـ.

المؤتمرات والبحوث.

١. نهج البلاغة سراج الفكر وسحر البيان ، بحوث المؤتمر العلمي الدولي الأول، جامعة الكوفة ، ٢٧ـ ٢٨ آذار ٢٠١١م ، ط /١ ، ٢٠١١م.